شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الأول

www.almosleh.com

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

سئل شيخ الإسلام: العالم الرباني تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى: ما قول السادة العلماء أئمة الدين في " آيات الصفات " كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾[2] وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[3] إلى غير ذلك من آيات الصفات و " أحاديث الصفات " كقوله: صلى الله عليه وسلم ((إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن))[4] وقوله: ((يضع الجبار قدمه في النار))[5] إلى غير ذلك؟ وما قالت العلماء فيه؟ وابسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى.

فأجاب رضي الله عنه: الحمد لله رب العالمين. قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره؛ فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[6].

تبين مما سمعناه أن هذه الرسالة هي جواب لسؤال ورد على شيخ الإسلام رحمه الله عن صفات الله جل وعلا وما الواجب فيها وهذه الرسالة تدور على الجواب عن إشكالات أوردها السائل وفصل في جوابها شيخ الإسلام رحمه الله وابتدأ جوابه بقاعدة مهمة أساسية هي بمثابة التوطئة لجميع الإشكالات

---

(١) سورة : الفرقان (٥٩).

(٢) سورة : طه (٥).

(٣) سورة : فصلت (١١).

(٤) أخرجه : أحمد (٦٥٣٣) ، و مسلم (٢٦٥٤).

(٥) البخاري (٤٨٤٨) ، و مسلم (٢٨٤٦).

(٦) سورة : يوسف (١٠٨).

التي ترد في هذا الباب وهو ما بينه رحمه الله في قوله: **(قولنا فيها ما قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولــون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء)**. فبين رحمه الله أن القول في باب الصفات موقوف على ما جاء عن الله جل وعلا وعــن نبيه صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف الأمة من القرون المفضلة ومن ســار علــى طــريقهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين فهذه القاعدة هي قاعدة أساسية كلية في باب ما يُعتقــد في الله جــل وعلا لأن الإخبار عن الله جل وعلا إخبار عن أمر غيبي والخبر عن أمر مغيب لا تدركه العقــول ولا تستقل العقول بمعرفته فلابد في هذا الباب من الرجوع إلى ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفســه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم وما قاله السلف الذين أخذوا من هذين ـــ من الكتاب والسنة ـــ وهم أعلم الناس بمراد الله وبمراد رسوله صلى الله عليه وسلم وسلك الشيخ ـــ رحمه الله ـــ في جوابه وضع هذه المقدمة الأساسية فذكر في هذه المقدمة ما يجب اعتقاده ثم استدل له وذلك ببيان أن طريقة السلف هي أحسن الطرق وأنها الطريق الذي يوصل إلى معرفة الله جل وعلا وأنها الطريــق الــذي جاءت به الرسل وأن كل طريق يسلكه العبد ليتعرف به على الله جل وعلا غير طريق هؤلاء فإنه لا يصل إلا إلى ضلال ولا يحصل إلا خبالا وقال في الاستدلال لهذه الطريقة وهي وجوب الوقوف على ما جاء عن الله وعلى ما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء عن سلف الأمة مــن القــرون المفضلة ومن بعدهم قال رحمه الله: **(وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المســلمون علــى هدايتهم ودرايتهم)** وهذا كالاستدلال لصحة هذه الطريقة: –

أولا: إجماع الأمة على صحة طريق هؤلاء. فإن الأمة أجمعت على اختلاف مشاربها أن طريق هؤلاء هو أحسن السبل وهو أحسن الطرق؛ **(وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغــيره)** يعني في باب الأسماء والصفات وفي باب الغيبيات التي جاءت الرسل بالإخبار عنها كالإخبــار عمــا يكون في يوم القيامة يعني ما يتعلق باليوم الآخر وما إلى ذلك من الأمور المغيبة (فــإن الله ســبحانه وتعالى) وهذا مبدأ التعليل بعد أن ذكر الإجماع أتى بالتعليل لصحة هذه الطريقة وأنها هي الطريقة التي يجب سلوكها قال:

(فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج النــاس مــن الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) فإذا كان بعثه بذلك فإن أعظم ما يحتــاج

إليه الخلق ـــ كما سيذكره الشيخ ـــ هو ما يتعلق بمعرفة الله جل وعلا إذ إن العباد خلقوا على الفطرة والفطرة تقتضي أن يتوجه الخلق إلى رب يعبدونه ويحبونه و يلجؤون إليه فإذا كان كذلك فلابد أو من مقتضيات إخراجهم من الظلمات إلى النور أن يخرجهم من الجهل الذي يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله إلى العلم به سبحانه وتعالى الذي هو النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فهو نور والعلم به من أكمل النور الذي يجب على العبد أن يهتم به ويعتني به ولذلك لما كان هذا أهم المعلومات كان أول ما يُسأل عنه العبد في قبره من ربك؟ لأن معرفة الرب بها تستقيم الأمور كلها.

قال رحمه الله: **(فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا وأمره أن يقول ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء سراجا منيرا جاء داعيا إلى الله جل وعلا بإذنه ثم وصف طريقته بأنه صلى الله عليه وسلم على بصيرة فيما يتعلق بما يخبر به عن الله جل وعلا وفيما يتعلق بما يخبر به من أحكامه وشرعه جل وعلا فهو على بصيرة في الأمر كله ولذلك إذا كنا نعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم على بصيرة فالواجب الوقوف على ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم دون زيادة ولا نقصان فإذا كان كذلك إذا كان الله سبحانه وتعالى قد بعث محمداً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بعثه داعيا إليه سبحانه وتعالى بإذنه وبعثه سراجا منيرا وأقره بل أمره أن يخبر الناس بأنه على بصيرة

(فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته – محال مع هذا وغيره: أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل

---

(١) سورة : النور (٣٥).

وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا) هذا الوجه الأول من الأدلة العقلية على صحة ما ذهب إليه السلف الصالح فيما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته إذ أن من المحال كما قال المؤلف رحمه الله: **(فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي بعثه الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور)** محال عليه أن يترك إخبار الناس وتعليمهم وما يتعلق بالله عز وجل فقال: **(محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها)**وهذا محال لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتى معلما وذكرنا قبل قليل وأشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك: أن أولى ما يتعلمه الناس وآكد ما يحتاجون إلى معرفته هو ما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته لأنهم يعبدونه والخلق لا يعبدون شيئا مجهولا فُطرت قلوبهم ونفوسهم على أن يعبدوا ما يعلمون فكلما ازداد العبد لله معرفة كلما ازداد له عبودية ولذلك إذا أردت أن تعرف درجة العبد من العبودية فانظر إلى درجته من المعرفة بالله عز وجل فإن كان عالما بالله عالما بأمره فإنه في أكمل درجات العبودية ولذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم: **((والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له))**[1] فجعل العلم سببا للخشية والخشية إنما تكون بعد العلم بالله وصفاته وأفعاله جل وعلا فكون الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الحال وكون الله شهد له بأنه أكمل الدين وأتم عليه النعمة يوجب الوقوف على ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم دون زيادة ولا نقصان وأن أي زيادة أو أي نقصان أو أي اختيار غير ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم هو محض ضلال فإن الله قد سد الطرق الموصلة إليه إلا طريق النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك لما يخلص أهل الجنة من العبور على جهنم على الصراط المضروب على متن جهنم ويريدون دخول الجنة لا يفتح لهم إلا عن طريقه فيطرق صلى الله عليه وسلم الباب فيقول خازنها: من؟ فيقول محمد فيقول الخازن: بك أمرت لا أفتح لأحد من قبلك هذا يدل دلالة واضحة على أن كل طريق يسلكه العبد غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم للوصول إلى مرضاة الله ونعيمه في الدنيا والآخرة لا يحصل بذلك إلا ضلالاً وأنه لن يصل إلا عن طريق صراط الله المستقيم الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه : أحمد (٢٣٧٩٨) ، والبخاري (٦١٠١).

(ومن المحال أيضا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة[1] وقال: ((تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[2] وقال فيما صح عنه أيضا: ((ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم))[3] وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما[4]. وقال عمر بن الخطاب: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق؛ حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري[5].

هذا الوجه الثاني في بيان صحة طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه و السلف الصالح ووجوب اتباع هذا السبيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته دقيق الأمور وجليلها فمحال على من علم أمته كل شيء حتى الخراءة حتى آداب التخلي أن يتركهم في جهل والتباس واشتباه فيما يتعلق بمن يعبدونه ويتوجهون إليه ويسألونه ويرغبونه فمقتضى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته دقيق الأمر وجليلها أن يكون قد بصرهم وعلمهم بما يجب لله عز وجل وما يتعلق به سواء في أفعاله أو في أسمائه وصفاته أو فيما يجب له من الألوهية والربوبية.

(ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين – وإن دقت – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم و معبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب. بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع ذلك منه: فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل

---

(١) ثبت ذلك عند مسلم (٢٦٢) من حديث سلمان الفارسي .

(٢) أخرجه : أحمد (١٦٦٩٢) ، وابن ماجة (٤٣) من طريق عبدالرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية وفيه عبدالرحمن بن عمرو السلمي مختلف فيه فأقل ما يقال أنه حسن وصححه الألباني.

(٣) مسلم (١٨٤٤).

(٤) أخرجه : أحمد (٢٠٨٥٤).

(٥) البخاري (٣١٩٢).

قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه) وهذا الوجه مبني على ما تقدم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه أن يترك الأمة في جهل وضلال فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى مع أن المعرفة بالله عز وجل هي زبدة الرسالة وهي غاية البعثة وانظر إلى قوله: **(الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب)** هذا الترتيب ترتيب بديع فبدأ أولا بالمعرفة لأنه لا تتم العبادة إلا بعد معرفته ولذلك بدأ بالمعرفة فمن أراد أن يعبد الله حق عبادته فليتعرف عليه حق معرفته فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت عبادته له سبحانه وتعالى وتعلقه به وحبه له سبحانه وتعالى ثم إذا حصلت له المعرفة حصلت له العبادة وإذا حصلت له العبادة المبنية على المعرفة به سبحانه وتعالى حصل له الوصول إليه الذي هو غاية المطالب ويتم الوصول إليه جل وعلا بدخول جنته التي من أعظم نعيمها أن يتجلى جل وعلا لعباده فيكشف لهم الحجاب فيرونه **(بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية)** يعني معرفة الله جل وعلا وقد ذكر ابن القيم رحمه الله كلاما بديعا جيدا في أن الرسل إنما جاؤوا ليعرفوا الخلق بربهم وليدلوهم عليه فقال رحمه الله أن الرسل قد بينوا كل ما يحتاجه الخلق فيما يتعلق بالله عز وجل فبينوا لهم صفاته وبينوا لهم أفعاله سبحانه وتعالى. يقول رحمه الله حتى غدا من طالع كلام الرسل كأنما يرى الله جل وعلا بعينه يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء يرفع ويخفض، وذكر كلاما بديعا جيدا في أن الرسل أوفوا هذا الجانب حقه وبينوه غاية البيان وأن هذا هو الذي جاءوا به أصلا واتفقوا عليه وهو بيان ما يجب لله عز وجل في صفاته وأفعاله وفي ما يجب له في الألوهية والربوبية فصدق رحمه الله في قوله: **(بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية) (فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان)** أي بقية **(من إيمان وحكمة ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع)** يعني أقر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين **(إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين)** لأن المجادل قد يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين ما يجب لله عز وجل وما يتعلق بأسمائه وصفاته غاية البيان إلا أن الصحابة الذين تلقوا عنه لم يوفوا هذا المقام حقه و لم يقدروه قدره ، فمحال لأن الصحابة رضي الله عنهم أنصح الأمة للأمة وهم أعبد الخلق لله عز وجل بل ذكر الشيخ رحمه الله في قوله: وأفضل خلق الله بعد النبيين يشير إلى الصحابة والقرون المفضلة فإنهم خير الخلق بعد النبيين ،فمحال على هؤلاء مع شهادة

النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالخيرية أن يكونوا قد قصروا في باب الأسماء والصفات فهذا أيضا وجه من الوجوه التي تبين صحة طريق السلف وتبين وجوب سلوك سبيلهم للوصول إلى معرفة الله عز وجل وعلا.

ثم قال رحمه الله: **(ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة – القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق. وكلاهما ممتنع أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو همة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه؛ أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته. وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر. وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي – الذي هو من أقوى المقتضيات – أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضا عن الله وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى؛ فكيف يقع في أولئك؟ وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم)**. هذا الوجه في بيان أن الصحابة رضي الله عنهم قد أوفوا هذا المقام حقه ، وأنهم أتوا بما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوه عنه وأنهم لم يقصروا فيه لا في زيادة ولا في نقصان فقال رحمه الله:

(ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين) (غير عالمين) هذا الاحتمال الأول: أنهم لم يعلموا ، و الاحتمال الثاني: أنهم علموا وكتموا وهذا معنى قوله **(وغير قائلين)** أي غير معلمين لهذا العلم الذي تلقوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا كنت تقول: إن السلف كانوا على طريقة صحيحة فإنه يستحيل أن يكونوا غير قائلين به لأنهم بلغوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم دقيق الأمر وجليله، ثم بعد أن ذكر هذين الاحتمالين أبطل هذين الاحتمالين فقال:

(لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع) نقيض ذلك أي نقيض العلم والقول بالحق إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق **(وكلاهما ممتنع)** يعني يمتنع أن يكون الصحابة لم يعلموا ما يجب في باب أسماء الله وصفاته ويمتنع أيضا أن يكونوا قد علموا ما يجب في باب أسماء الله وصفاته ثم لم يبلغوه للأمة وكتموه بل وتواطؤوا على الكتم كما أن الاحتمال الثاني وهو: أن يكونوا قد اعتقدوا نقيض الحق أيضا هذا ممتنع لأنهم خير القرون ولا يمكن أن يشهد النبي صلى الله عليه وسلم لقرن بأنهم خير القرون ثم يكون اعتقادهم في أهم الأمور وأجلها وأخطرها وأعظمها وهو ما يتعلق بأسماء الله وصفاته أن يكون اعتقادهم في هذا الباب نقيض الحق وخلاف الصدق فلما كان هذان ممتنعين رجعنا إلى أن طريقهم هو غاية العلم وغاية الحق وهو سبيل المؤمنين ولبيان امتناع هذين الوجهين قال: –

(أما الأول) وهو أن يكونوا غير عالمين بالحق قال: **(أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب يعني باب أسماء الله وصفاته وأفعاله وما يتعلق به والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه أعني بيان ما ينبغي اعتقاده)** في الله جل وعلا، ولذلك جاء كتاب الله عز وجل مليئا ببيان أفعال الله عز وجل وبيان صفاته وبيان ما يجب له سبحانه وتعالى فمحال على من كان راغبا فيما عند الله عابدا له على الوجه الصحيح أن يكون غافلا عن باب معرفة هذا المعبود ثم استدرك الشيخ فبين أن المحال هو الجهل بما يجب لله عز وجل لا بمعرفة كيفية تلك الصفات التي أخبرت بها الرسل عنه ولذلك قال: **(أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته)** فإن هذا لم يسأل عنه الصحابة و لم يشتغلوا به وذلك لأنهم أيقنوا واعتقدوا قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [1] واعتقدوا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [2] فمن كان كذلك فان العقول لا تدرك حقيقة تلك الصفات وكيفيتها قال: **(وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر)** أي مع أمر ما يتعلق بالله عز وجل **(وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدانية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات يعني الموجبات للعلم والمعرفة أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في**

(١) سورة : الشورى (١١).

(٢) سورة : الإخلاص (٤).

مجموع عصورهم) وهي القرن الأول والثاني والثالث ، أما وجه إبطال الثاني وامتناعه وهو أن يكونوا عالمين بالحق لكن معتقدين بخلافه قال: **(وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم)** وهذا حقيقة أن المسلم لا يعتقد في القرون الذين شهد الله لهم بالخير واصطفاهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم والقرون الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية أن يقولوا ويعتقدوا غير الحق بل هم معتقدون للحق قائلون به.

ثم قال رحمه الله تعالى:

(ثم الكلام في هذا الباب عنهم: أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم " – وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحا. فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف: إنما أتوا من حيث ظنوا: أن طريقة)

الآن الشيخ رحمه الله في هذا المقطع بدأ بكلام جديد فبعد أن قرر رحمه الله صحة مذهب السلف وسلامة طريقهم وأنهم قائلون في هذا الباب بالحق المبين وأنهم مستمسكون بما جاء عن الله وعن رسوله الأمين أتى رحمه الله بوجه آخر وهو إبطال طريقة الخلف وأن الخلف لم يقفوا على شيء في باب معرفة الله جل وعلا وأسمائه وصفاته وأنهم في هذا الباب بين ضال و متخبط ومتحير وسينقل عنهم رحمه الله ما يدل على ضلالهم وخطئهم وتحيرهم ونقل رحمه الله جواب المتأخرين وعذرهم في سلوكهم سبيل غير السلف السابقين الخلف لما سلكوا طريقا غير الطريق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرون المفضلة احتاج هؤلاء للاعتذار عن مخالفتهم لسبيل السلف الصالح فأتوا بهذه الجملة وهذه العبارة التي ترددت في كلامهم وكتبهم وهي كالاعتذار عن مخالفة طريق السلف الصالحين فقالوا: **(أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم)**

وهذه الجملة متناقضة وقد حوت حقا وباطلا أما كونها قد حوت حقا وباطلا فالحق هو في قولهم: إن طريقة السلف أسلم فلا شك أن طريقة السلف أسلم لأنهم أعلم بالله وأعلم بما يجبون له سبحانه

وتعالى و أعلم بأسمائه وصفاته وأما قولهم: **(وطريقة الخلف أعلم وأحكم)** فهذه كذب لأن طريقة الخلف لم يصلوا بها إلى علم ولا إلى حكمة بل وصلوا إلى ضلال وحيرة ثم إن عجز هذه الجملة يناقض صدرها فمقتضى أن طريقة السلف أسلم أن يكون طريقهم أعلم وأحكم لأن السلامة فرع عن العلم والحكمة ولذلك شرع لنا في كل ركعة أن نسأل الله الهداية إلى صراطه المستقيم وصراطه المستقيم أسلم الطرق الموصلة إليه وقوام هذا الصراط أمران: العلم والعمل الصالح ، ولذلك قال جل وعلا في آخر هذه السورة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لأنهم خالفوا مقتضى العلم وغير الضالين لأنهم عملوا بلا علم فطريقة السلف أسلم لأنها قائمة على العلم والحكمة والعمل الصالح ولا سلامة إلا بعلم وعمل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1] فهذه الجملة متناقضة إذاً هذا أول الأوجه في بطلان هذه العبارة وأنها ليست بصحيحة ثم سيذكر الشيخ رحمه الله ، أوجهاً أخرى لإبطال هذه العبارة لابد أن ندرك ونفهم هذه الأوجه للرد على طريق الخالفين من الخلف الذين خالفوا طريق السلف فإنهم خالفوا في المقدمات وخالفوا في النتائج ولذلك كانت نتائج طريقهم الحيرة والضلال.

(١) سورة : الكهف (١١٠).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثاني

www.almosleh.com

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى من اتبع سنته واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد: –

(فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف: إنما أتوا من حيث ظنوا: أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم. وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى – وهي التي يسمونها طريقة السلف – وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف – وهي التي يسمونها طريقة الخلف – فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه. فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين: كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة؛ لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله)

تقدم لنا في الدرس السابق حكاية قول بن القيم ـــ رحمه الله ـــ حول زبدة الرسالة التي جاءت بها الرسل جميعاً وذكرت لكم أنه تكلم عن هذا كلاما طيبا في مدارج السالكين[2] فهذا هو الموضع الذي تكلم به رحمه الله. (والرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أرسلوا

(١) سورة : البقرة (٧٨)

(٢) مدارج السالكين (٣/٢٤٨-٢٤٩)

بالدعوة إلى الله وبيان الطريق الموصل إليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم يأمر وينهى ويرضى ويغضب ويحب ويسخط ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ويجيب دعوة مضطرهم ويغيث ملهوفهم ويعين محتاجهم ويجبر كسيرهم ويغني فقيرهم ويميت ويحيي ويمنع ويعطي يؤتي الحكمة من يشاء مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير كل يوم هو في شأن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويفك عانيا وينصر مظلوما ويقصم ظالما ويرحم مسكينا ويغيث ملهوفا ويسوق الأقدار إلى مواقيتها ويجريها على نظامها ويقدم ما يشاء تقديمه ويؤخر ما يشاء تأخيره فأزمة الأمور كلها بيده ومدار تدبير الممالك كلها عليه وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة). انتهى كلامه رحمه الله.

هذا كلام بديع يزيد في الإيمان ويبين عظم ووجوب الاهتمام بما ذكر الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه وستجد أن الشيخ رحمه الله وافق شيخ الإسلام في هذه العبارة حيث قال: وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة ، أي ما تقدم من التعريف بالله جل وعلا وبيان أوصافه وأفعاله وما يجب له في هذا كله هذا هو زبدة الرسالة ومقصود الدعوة التي جاءت بها الرسل ، ولذلك قال الشيخ رحمه الله في الكلام السابق: **(فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب)** يعني باب أسماء الله عز وجل وصفاته **(والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه)** ثم ذكر بعد ذلك أن هذا هو الذي يعد زبدة الرسالة ومقصودها فهذا يبين وجوب الاهتمام بهذا الباب وأن الاهتمام بباب الأسماء والصفات ليس لمجرد الرد على قول المبتدعين والمخالفين من المتكلمين وغيرهم بل الاهتمام بباب الأسماء والصفات ليزداد الإيمان ولتتم معرفة العبد بربه جل وعلا ليحصل له كمال العبودية ولذلك ذكرنا لكم في الدرس السابق أنه لما كان أكثر الخلق علما بالله عز وجل النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أعبد الخلق لربه ولذلك قال **((والله إني لأعلمكم بالله**

وأخشاكم))[٣] فالعبادة والخشية وسائر المقامات هي فرع عن تمام العلم به سبحانه وتعالى أما كلام الشيخ رحمه الله مما قرأه علينا في أول الدرس فهو في تفنيد هذه العبارة التي يذكرها المتكلمون في بيان اعتذارهم عن مخالفة طريق السلف الصالحين وسلوكهم طريق المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في باب أسماء الله وصفاته فكان في الرد عليهم أول ما بدأ الشيخ بين سبب هذا الضلال الذي وقعوا فيه فقال: **(فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذوا حذوهم على طريق السلف إنما أتوا)** يعني أنما وقعوا فيما وقعوا فيه لأنهم ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير تفسير ذلك هذا السبب الأول الذي أوقع المتكلمين في الضلال في باب الأسماء والصفات أنهم ظنوا أن السلف رحمهم الله لم يفقهوا آيات الصفات و لم يعلموا ما فيها وأن غاية ما عندهم هو المعرفة لألفاظها دون الوقوف على حقائقها ومعانيها ولا شك أن ما ظنوه من طريقة السلف خطأ وضلال وجهل فإن السلف هم أعلم الناس بالله عز وجل لأنهم تلقوا ذلك عمن لا ينطق عن الهوى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن السلف لم يدخلوا في باب الأسماء والصفات وفي باب ما يتعلق بالله عز وجل بآرائهم وخيالاتهم وعقولهم بل قبلوا ما جاء عن الله وعن رسوله على ما تقتضيه اللغة دون الدخول في تكييف ذلك والبحث عن كنهه وحقيقته لأن الباب قد أغلق بقوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤] فهذا هو السبب الأول الذي بنى عليه المتكلمون مخالفتهم لطريق أهل السنة والجماعة أنهم ظنوا أن عقيدة السلف التفويض ولذلك هم يرون أن التفويض هو عقيدة القرون المفضلة وهو أنهم يؤمنون بالألفاظ ويقفون عن المعاني فلا يقولون فيها شيئا بل يقولون : أمروها كما جاءت والسلف لاشك أنهم يقولون أمروها كما جاءت ولكن هذا اللفظ أو هذا القول المنقول عنهم لا يدل على ما ذهبوا إليه من أنهم لم يقفوا على معاني هذه الأسماء والصفات بل وقفوا على معانيها وأجروها على ظاهرها و لم يدخلوا فيها بالرأي والخيال والقول على الله بغير علم ولا شك أن القول بنسبة السلف رحمهم الله إلى التفويض من أسوأ النسب ومن أردئها ومن سوء الظن بهم رضي الله عنهم لأن مقتضى التفويض التجهيل ولذلك سيشير الشيخ رحمه الله إلى رداءة هذا القول وإلى بيان ضلاله وأن السلف لم يكونوا على هذه الطريقة ثم قال : **(بمنزلة الأميين**

---

(٣) أخرجه : أحمد (٢٣٧٩٨) ، والبخاري (٦١٠١)

(٤) سورة : الشورى : آية (١١)

الذين قال الله فيهم) أي إن السلف كانوا بمنزلة الأميين الذين قال فيهم:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾[٥] الأميون : جمع أمي وهو ما انتسب إلى أمه لعدم قراءته وكتابته وقد اختلف المفسرون في معنى الأميين في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أن الأميين في هذه الآية هم من لا يقرأ ولا يكتب فيكون معنى الآية ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ يعني : لا يقرؤون ولا يكتبون ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ﴾ يعني إلا بالخرص والكذب واختلاق القول على الله عز وجل .

والقول الثاني: أن معنى الأميين في هذا هم : من يقرؤون الكتاب لفظا دون فهم معناه وهذا القول أشار إليه ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة وهو ظاهر مراد الشيخ رحمه الله لأن المتكلمين يقرؤون الكتاب ويقرون أن السلف كانوا يقرؤون الكتاب لكنهم يقولون أنهم يقرأونه دون فهم لمعانيه ثم قال: **(وإن طريقة الخلف هي استخراج المعاني النصوص المصروفة عن حقيقتها بأنواع المجازات وغرائب اللغات)** ظنوا لما فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف أن طريقة الخلف هي الوقوف على المعاني ولكن الحقيقة أن وقوفهم على المعاني ليس على ما تقتضيه الألفاظ من المعاني الظاهرة المتبادرة إلى الأذهان إنما هو صرف لهذه المعاني عن حقائقها والمتبادر منها وسلكوا في هذا الصرف طريقين : **(المجازات)** فيحملون الآيات على المجاز ، وعلى غرائب اللغة ، وسيمر معنا نماذج لتأويلاتهم الباطلة وشبههم المنحرفة التي حرفوا فيها الكلم عن مواضعه وحملوا ظواهر النصوص إلى معان غريبة ومجازات بعيدة قال: **(فهذا الظن الفاسد)** أي ظنهم أن السلف لم يقفوا على المعاني إنما وقفوا وأجروا الألفاظ دون النظر إلى معانيها وهذا الظن الفاسد **(أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء والظهر)** لأن حقيقة الأمر أن يكون الإسلام له ظاهر وباطن ظاهر يشغى وباطن يختلف الناس في الوقوف عليه وفي بيان حقيقته ومقتضاه أيضا أن الله سبحانه وتعالى خاطب الخلق وخاطب الناس بما لا يعقلون خاطبهم بألفاظ مجردة عن معانيها وقد تكلم شيخ الإسلام رحمه الله في مواطن كثيرة عن سوء بدعة التفويض وأنها من شر البدع لأن فيها التهمة لله جل وعلا وفيها التهمة للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم البيان **(وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويبهم**

---

(٥) سورة : البقرة : آية (٧٨)

طريقة الخلف فجمعوا بين) سوءتين : الكذب والضلال ؛ الكذب على السلف بأن طريقهم لم يكن فيه الوقوف على المعاني والضلال في تصويب طريقة الخلف وأنها أصوب من طريقة السلف **(فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف بالكذب عليهم وبين الجهل والضلال في تصويب طريقة الخلف) (وسبب ذلك)** يعني سبب هذا القول وهذا ثاني ما بنى عليه المتكلمون طريقتهم وتصويبهم لهذه الجملة أنهم قالوا :**(إنه ليس في نفس الأمر صفة)** يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة ؛ فلما اعتقدوا أن الصفات ممتنعة على الله جل وعلا وأنه لا يوصف بصفة احتاروا في النصوص التي أُثبتت فيها الصفات فذهبوا إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها فاجتمع عندنا أمران سبّبا الضلال عند المتكلمين:

الأمر الأول: طعنهم وجهلهم بطريقة السلف .

السبب الثاني:اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة لأن الصفة تقتضي التجدد والحدوث والله سبحانه وتعالى لا تحله الحوادث . وسنتعرض لهذه الشبه في تفصيل ما يثبت من الأجوبة على أعيان المسائل التي سأل عنها السائل في سؤاله للشيخ .

قال: **(وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين)** الذين عطلوا الله سبحانه وتعالى عن أوصافه فقالوا : لا يوصف بصفة فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين أمرين:

بين أن يسيروا على طريقة السلف فيجروا الألفاظ دون الوقوف على معانيها كما زعموا وبين أن يدخلوا في هذه الألفاظ التي وردت والنصوص التي وردت بآرائهم فيؤلولها ويصرفوها عن ظاهرها **(مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض هذا المعنى)** وهذا بزعمهم طريقة السلف **(و هي التي يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع التكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل و الكفر بالسمع)**

و هذا **(من فساد العقل)** لأنهم قالوا: – إنه لا يوصف بصفة أي إن الله لا يتصف بصفات ومن الكفر بالسمع : إذ إنهم اعتقدوا أن ظاهر الألفاظ ظاهر النصوص كفر لأنها تثبت الصفات فاجتمع عندهم باطلان : فساد العقل حيث ظنوا أن الله لا يوصف بصفة ، والكفر بالسمع حيث قالوا: إن

ظاهر القرآن و ظاهر النصوص كفر لأنها تثبت الصفات التي يحيلها العقل .

قال: **(فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم)** فاستبلهوا السلف واستجهلوهم بناء على أن السلف لم يقفوا على المعاني إنما أجروا الألفاظ وظنوا أن طريقتهم هي الطريقة الصواب فلما أصبح عندهم مفترق الطرق : إما أن يسيروا على طريق السلف وهي طريق الجهال والبلهاء ، أو طريق الخلف التي هي طريق العلماء والحكماء سلكوا طريق الخلف وذموا طريق السلف وقالوا إن طريق السلف أسلم لأن حقيقتها الإيمان الخالي عن المعاني وطريقة الخلف وأحكم وأعلم لأنها تؤدي إلى الإيمان المبني على العلم والحكمة وكذبوا في ذلك وضلوا **(واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي و أن الخلف الفضلاء حازوا على قصب السبق في هذا كله)** ثم قال الشيخ رحمه الله في بيان ضلال هذه النتيجة وخطورتها قال رحمه الله

(ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة) الآن الشيخ رحمه الله يبين ضلال هذه النتيجة بأوجه هذه الأوجه متعددة منها وأولها وأبينها وأظهرها في إبطال هذه الطريقة وأنها لا تؤدي إلى العلم والحكمة قال رحمه الله **(كيف يكون هؤلاء المتأخرون – لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم)** إذا أول استدلال استدل به الشيخ رحمه الله على إبطال هذه الطريقة هي النظر إلى ما أوصلته طريقتهم وبدعتهم طريقتهم التي يقولون ويزعمون ويقولون : إنها أعلم وأحكم لم توصلهم إلا إلى اضطراب وضلال وحيرة وجهل بالله سبحانه وتعالى فإذا كانت كذلك فإنها طريقة ضالة لا توصل إلى المقصود بخلاف طريقة السلف التي توصل إلى العلم والحكمة والخشية وكمال العبادة.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثالث

www.almosleh.com

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – (ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة. كيف يكون هؤلاء المتأخرون – لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول: لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم.

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٢) واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣) ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ (٤) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)

مازال الكلام في هذه المقدمة المباركة حول تقرير صحة مذهب السلف وبيان بطلان ما سلكه الخالفون من الخلف مما غايروا فيه طريقة السلف وخالفوهم فيه في باب أسماء الله تعالى وصفاته فذكر الشيخ رحمة الله عليه من الأدلة على بطلان طريقة الخلف وأنها لا توصل إلى علم وأن قولهم: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم أن هذا القول غير صحيح و ما وصل إليه هؤلاء

(١) سورة : طه : آية (٥) .
(٢) سورة : فاطر : آية (١٠) .
(٣) سورة : الشورى: آية (١١) .
(٤) سورة : طه : آية (١١٠) .

وما حصلوه من سعيهم وسبيلهم وطريقهم فقال رحمه الله: **(كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم)** ثم ساق من الأقوال التي نطقوا بها وتكلموا بها واستشهدوا بها على بيان سوء حالهم وأنهم لم يصلوا من سعيهم ونظرهم إلا إلى ضلال وعطب و أما قوله رحمه الله **(من المتكلمين)** : فالمتكلمون : هم كل من تكلم في باب أسماء الله وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة . كل من تكلم في باب الأسماء و الصفات أو فيما يتعلق بالله عز وجل بخلاف ما جاء في الكتاب و السنة . فهذا تعريف ينظم المتكلمين ويبين مَن هم كل من تكلم في باب أسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق به بغير ما دل عليه الكتاب والسنة فإنه من المتكلمين. وذكر الشيخ رحمه الله نقولاً منها النقل الأول والثاني و ما سينقله أيضا كلها تبين سوء حال هؤلاء وسوء عاقبتهم فقال رحمه الله في الأبيات بعد ذلك قال (: **(وأقروا على أنفسهم بما قالوه)** يعني بما أخبروا به مما حصلوه **(متمثلين به)** أي : مترلين تلك الأقوال على حالهم **(أو منشئين له)** أي : إنهم قالوا قولا مبتدعاً في بيان سوء عاقبتهم وأنهم لم يصلوا في بحثهم وطلبهم معرفة الله عز وجل إلى شيء ثم قال: **(لقد تأملت الطرق الكلامية)** نقلا عن أحدهم وهو الفخر الرازي **(لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا)** أي مريضا يطلب الشفاء **(ولا تروي غليلا)** أي وحر صدره وطلب شفاء صدره في هذه الطرق **(فرأيت أقرب الطرق طريقة القرآن)** وطريقة القرآن طريقة واضحة فيها إثبات صفات الله عز وجل وهو إثبات مفصل وفيها نفي ما لا يليق بالله عز وجل وهو نفي مجمل ولذلك قال: **أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** وهذا إثبات الصفات وهو إثبات مفصل **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾** وأقرأ في النفي **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** وهذا نفي مجمل و ستأتينا هذه القواعد في ثنايا كلام الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة **﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾** وهذا أيضا نفي مجمل فنفى إحاطة العلم به سبحانه وتعالى والنفي هنا نفى إحاطة العلم به سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته وبحقائق هذه الأسماء والصفات وبأفعاله جل وعلا فالخلق لا يحيطون به علما سبحانه وتعالى لا حساً ولا علماً أي من جهة الأخبار والإحاطة بوصفه سبحانه وتعالى بالعلم فيوم القيامة لا تدركه الأبصار جل وعلا [1] وهذا فيه نفي

(١) وهذا لا يعني نفي رؤية الله يوم القيامة ، إذ الرؤية ثابتة بقوله سبحانه : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وغيرها.

الإحاطة الحسية وأيضا فيه نفي الإحاطة الخبرية أي أن الأخبار لا تحيط بوصفه جل وعلا ولذلك كان من أسمائه ما استأثر به فلم يظهره و لم يخبر به خلقه وكذلك من صفاته لأن الأسماء تتضمن الصفات فإذا كان من الأسماء ما لم يخبر به سبحانه وتعالى فكذلك الصفات فإن منها ما استأثر به سبحانه وتعالى و لم يخبر بها خلقه ثم قال الرازي: **(ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)** ولاشك أن السعيد من اعتبر بغيره ولا يلزم أن نسلك طريقهم حتى نرى ونقف على ما وصلوا إليه وما أصابوه إنما يكفينا في العبرة والعظة أن نقرأ ما كتبوه وقالوه أو استشهدوا به في بيان سوء عاقبتهم وما وصلوا إليه .

قال رحمه الله :(ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي) ا هـ. وهذا النقل نقل مهم وهو من إمام كبير من أئمة المتكلمين وهو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني يقول :**(لقد خضت البحر الخضم)** وهو ما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته **(وتركت أهل الإسلام وعلومهم)** ويشير بذلك إلى علماء السلف من أهل القرون المفضلة ومن سار على هديهم من بعدهم **(وخضت في الذي نهوني عنه)** وهو علم الكلام خاض في علم الكلام الذي نهى عنه السلف **(والآن)** يعني بعد هذه الجراءة بخوض هذا البحر وترك ما كان عليه سلف الأمة **(الآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي)** وهذا يفيدك فائدة عظيمة أنه على طول بحث المتكلمين وعلى عظم خوضهم في هذا الباب أنهم لا يصلون إلى شيء تنتهي بهم الأمور إلى أن يعتقدوا هذا على أحسن الأحوال تنتهي بهم الأمور إلى أن يعتقدوا ما يعتقده العجائز اللواتي لم يتفقهن تفقها تاما فيما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته.

إذاً نهاية ما يصل إليه أهل الكلام في بحثهم ودراستهم ونظرهم هو أول نقطة يبتدئ منها أهل السنة والجماعة والعلماء الذين سلكوا طريق السلف فعلماء السلف يبتدئون من النقطة التي ينتهي إليها أولئك وشتان بين من كانت خاتمته هي بداية غيره شتان بين من كانت خاتمته أن يعتقد عقيدة عوام أهل الإسلام وبين من كان ابتداؤه أن يعتقد عقيدة عوام أهل الإسلام ثم يصل إلى المعارف والعلوم التي يفتح الله بها عليه مما أدركه سلف هذه الأمة وعلموه.

(ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام) هذا الكلام للغزالي **(ثم هؤلاء**

المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر: لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار).

إذاً من أسباب رد طريقة هؤلاء أن هؤلاء حجبوا عن معرفة الله عز وجل بما سلكوه من طرق وأنهم مفضلون مسبوقون بالسلف الصالحين الذين هم ورثة الأنبياء الذين تلقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا ثاني الأمور ، والثالث: أنهم حيارى منهكون فلم يصلوا في باب العلم بالله وأسمائه وصفاته إلى شيء إنما وصلوا إلى ضلال وحيرة واضطراب كل هذا مما يؤكد أن طريقهم وما وصلوا إليه لا توصل إلى معرفة الله عز وجل ولا توصل إلى خير بل هي ضلالات وشبهات وتقولات على الله بغير علم **(والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة)** يعني : الموازنة استحيا من يطلب الموازنة بينما حصله السلف الذين تلقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وما حصله غيرهم في مجموع الأمم من لهم كتاب ومن لا كتاب لهم. **(ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم: أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان)** فهذا أيضا استدلال آخر في بيان صحة ما عليه السلف وهو النظر إلى عمن أخذ هؤلاء وعمن أخذ هؤلاء فالسلف أخذوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فمحال أن يكون من أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنقص طريقة ممن أخذ عن المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس فإن المتكلمين ورثوا ما ورثوا من خيالات وشبهات ظنوها علما ورثوها عن اليونان والهند وعن المتفلسفة وغيرهم ممن ينطق بالخيالات ولا يعتمد في ذلك على وحي من السماء فشتان بين أصحاب هاتين الطريقتين وهذا من الأدلة على صحة طريقة السلف وسلامتها وضلال طريقة هؤلاء

وبعدها عن صراط الله المستقيم.

ثم قال رحمه الله : **(ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة)** في الجملة **(لا سيما العلم بالله وأحكامه)** وأحكام أسمائه وآياته لأن غاية ما اهتم به الأنبياء والنبي صلى الله عليه وسلم خصوصا هو تعليم الخلق وتعريفهم بربهم فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بهذا الأمر غاية العناية وتلقاه عنه الصحابة فهم أعلم الخلق بالله عز وجل بعد الأنبياء ولذلك كانوا أفضل الخلق بعد الأنبياء وأفضل الأمم بعد الرسل وفضلهم تابع لعلمهم بالله عز وجل كما ذكرنا سابقا أن العبادة وتحقيقها إنما يكونان فرعا عن تمام المعرفة بالله عز وجل ازدادت المعرفة به كلما زادت العبودية له وتحققت في الشخص.

ثم قال رحمه الله (وإنما قدمت " هذه المقدمة " لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين) الشيخ رحمه الله بين سبب هذه المقدمة وهي أنها تنفع في باب الأسماء والصفات وفي غيره من أبواب العلم وأن الخير كل الخير في ما كان عليه السلف رحمهم الله وأن كل طريقة في باب الأسماء والصفات أو في غيرها من الأبواب خالفت طريقة السلف فهي طريقة ضلال ولا يصل صاحبها إلى خير ثم بعد ذلك بين الشيخ رحمه الله تأكيدا لما مضى وتلخيصا لما مضى بين أسباب الضلال عند أهل الكلام فقال: **(وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم)** هذا السبب الأول نبذ كتاب الله وراء ظهورهم. ثم قال : **(وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى)** وهذا السبب الثاني في ضلال هؤلاء.قال: **(و تركهم البحث عن طريقة السابقين و التابعين)** وهذا السبب الثالث في ضلالهم. **(و التماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه و بشهادة الأمة على ذلك)** إقراره على نفسه في النقول التي تقدمت وبشهادة الأمة على ذلك أن كتبهم لا توصل المرء والمطالع فيها إلى خير بل توصله إلى شك وضلال وحيرة.**(و بدلالات كثيرة)** يعني غير هذه المذكورة **(و ليس غرضي واحداً معينا)** يعني في كلامي هذا ، ليس غرضي واحدا معينا من أئمة الكلام أو تحديد سبب من هذه الأسباب إنما أصف نوع هؤلاء يعني أسباب ضلال هؤلاء في الجملة وليس سبب ضلال واحدا منه.

(وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها

إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وإنه فوق العرش وأنه فوق السماء: مثل قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾(١) ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(٢) ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾(٣) ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾(٤) ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٥) ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾(٦) ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾(٧) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع(٨) ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٩) ﴿يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾(١٠) ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١١) ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(١٢) إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة) الشيخ رحمه الله بعد أن فرغ من بيان سبب ضلال هؤلاء كأنه أجاب على شبهة مقدرة وهي ما يدعيه أهل الكلام من أن السلف الصالح لم يهتموا بهذا الباب وأنهم لم يشتغلوا به بل كان شغلهم بالعبادة وبالجهاد وبنشر الدين فلم يكونوا مهتمين بتقرير ما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته فأجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة بأن كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر

---

(١) سورة : آل عمران : آية (٥٥).
(٢) سورة : الملك : آية (١٦).
(٣)سورة : الملك : آية (٧٦).
(٤) سورة : النساء : آية (١٥٨).
(٥) سورة : المعارج : آية (٤).
(٦) سورة : السجدة : آية (٥).
(٧) سورة : النحل : آية (٥٠).
(٨) والستة مواضع هي : في سور : الأعراف (٥٤) ، ويونس (٣) ، و الفرقان (٥٩) ، والسجدة (٤) ، والحديد (٤).
(٩) سورة : طه : آية (٥).
(١٠) سورة : غافر : آية (٣٦ــ ٣٧).
(١١) سورة : فصلت : آية (٤٢).
(١٢) سورة : الأنعام : آية (١١٤).

الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وذكر هذه الصفة بالذات لأن السائل سأله عن مسألة الاستواء والعلو ؛ والاستواء من أدلة علو الله عز وجل كما سيأتي مفصلا ، وذكر الشيخ رحمه الله أن في كلام الله عز وجل ما يدل على هذه الصفة وهي صفة من صفاته التي أخبر بها ما لا يكاد يحصى إلا بكلفة فإذا كان هذا في صفة واحدة من الصفات فكيف بسائر صفاته سبحانه وتعالى وهذا فيه نقض صريح ودليل واضح بين أن هؤلاء قد كذبوا على السلف بقولهم: – إن السلف لم يهتموا بهذا وأنهم انشغلوا عن هذا بالجهاد والدعوة والعبادة وليس مقصود الشيخ في هذا الموضع تقرير صفة العلو بذاتها لأنه سيأتي لها كلام مستقل وإنما مراده أن يبين أنه في هذه الصفة جاء من الآيات ما سمعنا والأحاديث ما سيذكر والنقول عن السلف أيضا ما سيذكر وهذا يبين كذبهم وضلالهم.

قال رحمه الله : **(وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مثل قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه؛ وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: ((فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم))[1] وفي الصحيح في حديث الخوارج: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء))[2] وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود[3] وغيره ((ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع)) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء)) وذكره. وقوله في حديث الأوعال ((والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه)) رواه أحمد وأبو داود[4] وغيرهما وقوله في الحديث الصحيح للجارية**

---

(١) البخاري (٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢).

(٢) البخاري (٢٣٤٤) ، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه : أبو داود (٣٨٩٢) من طريق الليث عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء وفيه زياد بن محمد قال البخاري والنسائي وأبو حاتم الرازي : منكر الحديث . وأخرجه أحمد (٢٣٤٣٧) من طريق آخر وفيه علل منها أبو بكر بن أبي مريم ضعيف جداً ، وكذا فيه مبهم لم يسم . وضعفه الألباني.

(٤) أخرجه : أحمد (١٧٧٣) ، و أبو داود (٤٧٢٣) ، وابن ماجة (١٩٣) ، والترمذي (٣٣٢٠) ولا يخلو طريق من طرقه من

((أين الله؟ قالت في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة))[1] **وقوله في الحديث الصحيح: ((إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي))**[2] **وقوله في حديث قبض الروح ((حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله تعالى))**[3] **إسناده على شرط الشيخين)** المقصود من هذه النصوص هو بيان كثرة ما ورد عن النبي بعد أن بين كثرة ما ورد في الكتاب في هذه الصفة وسيأتي لها مزيد بيان وتقرير وتوضيح في ثنايا كلام الشيخ في هذه الرسالة المباركة.

متهم أو ضعيف . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وضعفه الألباني .

(١) مسلم (٥٣٧).

(٢) البخاري : (٧٤٢٢).

(٣) أخرجه : أحمد (٨٥٥١) ، وابن ماجة (٤٢٦٢) من طريق ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة . كلهم ثقات ، صححه الألباني.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الرابع

www.almosleh.com

الحمد لله رب العالمين و أصلي و أسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين أما بعد:

(وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه:

شهـــدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره مـــن شـــعره فاستحسنه وقال: (آمن شعره وكفر قلبه) حيث قال:

مجدوا الله فهو للمجـــــد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا ما يناله بصر العـــيـــ ن ترى دونه الملائك صورا

وقوله في الحديث الذي في المسند[1]: ((إن الله حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا)) وقوله في الحديث: ((يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب)) [2] إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينا مـــن أبلـــغ العلوم الضرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين – أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عـــربهم وعجمهـــم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته)

فما ذكره الشيخ من الآثار دل على ما تقدم من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين هذا المقام بيانـــا عظيماً وهو استواء الله جل وعلا على عرشه وعلوه على خلقه ، فعلو الله جل وعلا واستواؤه علـــى عرشه جاء متواتراً لفظاً ومعنى وهذا يورث **(علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية)** يعنى من آكدها

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٤٨٨) ، والترمذي (٣٥٥٦) ، وابن ماجة (٣٨٦٥) من طريق جعفر بن ميمون صاحب الأنماط حدثني أبو عثمان عن سلمان . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ، قال الحافظ ابن حجر : إسناده جيد ، وصححه الألباني.

(٢) مسلم : (١٠١٥).

أنه سبحانه وتعالى مستو على عرشه وأنه عال على خلقه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ أمته هذا الأمر بلغهم علو الله جل وعلا على خلقه وأنه سبحانه على عرشه ، ثم بعد أن فرغ من ذكر الأدلة على علو الله عز وجل –الأدلة السمعية من الكتاب والسنة – ذكر الدليل الثالث الدال على علو الله جل وعلا وهو دليل الفطرة. فقال: **(كما فطر الله على ذلك)** أي على علوه سبحانه و تعالى و أنه بائن من خلقه فطر على ذلك **(جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام)** ولذلك علو الله جل و علا مما أجمعت عليه الأمم ، على اختلاف عصورها وعقائدها. فإنه أمر أجمع عليه الخلق ولذلك كان إنكاره من أمحل المحال. والمعارضة فيه من أكبر ما حصل من التناقض عند المتكلمين لذلك تخبطوا فيه تخبطاً بيناً كما سيتبين لنا إن شاء الله في عرض مذاهبهم.

ثم قال **(إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته)** وهذا استثناء ولكن هذا الاستثناء القليل باعتبار الجمع الغفير من الخلق لا يعد خارقاً للإجماع لأنه حصل بعد استقرار الفطرة استقرار فطرة الخلق على علو الله جل وعلا وما طرأ من خلاف بعد الإجماع لا يعد مخالفاً أو معارضاً للإجماع.

قال: **(ثم عن السلف)** وهذا إجماع أخص من الإجماع السابق. فبعد أن ذكر إجماع الأمم ذكر إجماع السلف خصوصاً وهم خير القرون وخير الخلق بعد النبيين على أن الله سبحانه وتعالى عال على العرش .

قال رحمه الله:

(ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفاً ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرفٌ واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا)

بعد أن ذكر إجماع السلف قال إنه لم ينقل عن أحد من السلف رحمهم الله ما يخالف هذا ولا في حرف واحد وانظر حيث قال **(ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان)** كل هؤلاء لم ينقل عنهم مخالف في هذا ولا في حرف واحد ثم قال **(ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك)** وقيد ذلك بأن الأئمة أدركوا زمن الأهواء والاختلاف ليجيب على شبهة

عند المتكلمين حيث قالوا : إن السلف لم يتكلموا بهذا لأن المسألة لم تطرأ في عصرهم وهي مستقرة عندهم فأراد أن يبين خطأهم في ذلك حيث قال : **(الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف لم ينقل عنهم حرف يخالف ذلك)** يعني يخالف تقرير علو الله عز وجل لا نصاً ولا ظاهراً يعني لا بالنص ولا بدلالة الظاهر فدل ذلك على أنهم رحمهم الله مطبقون على الإقرار بعلو الله جل وعلا.

(ولم يقل أحد منهم قط : إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا أنه لا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها)

الشيخ رحمه الله بعد أن ذكر عقيدة السلف ذكر أنه لم ينقل عنهم حرف في ذلك و لم يقل أحد منهم قط ثم ذكر حكايات أقوال أو ثم حكى أقوال المبتدعة المتكلمين في مسألة العلو فقال :**(لم ينقل عن أحد منهم قط أن الله ليس في السماء)** كما تقوله الجهمية واعلم أن هذه الأقوال في مجموعها ترجع إلى قولين صدرا عن الجهمية الذين هم أصل الضلال في باب الأسماء والصفات وفي باب ما يتعلق بالله عز وجل مما يجب له من التعظيم والإجلال.

هؤلاء الجهمية انقسموا إلى قسمين :جهمية معطلة ، وجهمية حلولية.

الجهمية المعطلة: صاروا على قاعدتهم في نفي صفات الله عز وجل ، حيث إنهم أخلوا الله جل وعلا عن أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم الذين قالوا : إن الله ليس في السماء وإنه ليس على العرش ومن أقوالهم أيضا **(أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل وأنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع)** كل هذا من أقوال الجهمية المعطلة.

وأما القسم الثاني وهم الجهمية الحلولية : قالوا بأن الله في كل مكان ولذلك حكى قولهم في قوله : **(ولا أنه بذاته في كل مكان)** وهذا يناقض القول الأول والسبب في هذا كما يشير بعض الباحثين ، يقول : إن الجهمية في أول أمرهم كانوا حلولية ثم إنه لما اطلعوا على ما كتبه اليونان وما ذكره الفلاسفة من وجود شيء مجرد لا داخل العالم ولا خارجه انتقلوا إليه عن مقولتهم الأولى ولذلك ذكر الشيخ –شيخ الإسلام رحمه الله– أن الجهمية عندهم انفصام ، فتجدهم في مسألة البحث والنظر يقولون : إن الله ــ جل وعلا تعالى عما يقولون ــ ليس داخل العالم أو خارجه ولا متصل ولا منفصل وإنه ليس فوق السماء وإنه ليس على العرش .

هذا من جهة البحث والنظر أما من جهة التعبد فإنهم يقولون : إن الله سبحانه وتعالى في كل مكان وحلل ذلك ، أو برر هذا القول وبين علته فقال: إنهم في البحث والنظر لا يحتاجون إلى إثبات شيء فلو توصلوا إلى إثبات العدم الذي وصفوه بأنه هو الله لم يكن ذلك محرجا لهم لكن في العبادة لابد من التوجه إلى معبود مقصود ولذلك قالوا إنه موجود في كل مكان ، وعن هؤلاء الجهمية المعطلة والجهمية الحلولية أخذت الفرق الكلامية عقيدتهم في باب علو الله عز وجل فالمعتزلة والأشاعرة والكلابية هم تبع للجهمية في هذا الباب لم يأتوا بمزيد إنما انقسموا في المسألة على هذين القولين : قول الجهمية المعطلة وقول الجهمية النفاة ، وقول الجهمية الحلولية. وأما قولهم: إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع فهذا تتفق عليه كل الفرق الكلامية وقد أبطله الشيخ رحمه الله بما استدل من ثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال **(بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول ((ألا هل بلغت)) فيقولون نعم فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول ((اللهم اشهد))** [1] **غير مرة وأمثال ذلك كثير)** دلالة الحادثة التي فيها رفع الإصبع إلى السماء إشارة إلى علو الله جل وعلا وما أشبه ذلك من النصوص.

ثم قال رحمه الله :

(فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها ، دون ما يفهم من الكتاب و السنة إما نصاً وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على أخير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها لأن كل ما يقوله هؤلاء المتكلمون والمتكلفون وهو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً وظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع

---

(١) مسلم : (١٢١٨)

على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضاً في أصل الدين)

لماذا ؟ لأن ظاهر الكتاب والسنة يدل على خلاف الواقع ، يدل على خلاف ما يجب أن يعتقد في الله سبحانه وتعالى. في حين أن العقول والأقيسة هي التي دلت على الله سبحانه وتعالى الدلالة الصحيحة وعلى هذا هل يكون الكتاب والسنة قد زاد الناس هدى وبصيرة في ربهم أم أنه زادهم ضلالا وحيرة في ربهم ؟ لازم كلام قول المتكلمين أن يكون الكتاب والسنة زادهم حيرة وضلالة لأنه لم يدلهم على الحق ولا على ما يجب في باب أسماء الله وصفاته وهذا كذب وضلال ومن أعظم التهمة لله جل وعلا ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رحمه الله:

(فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب و السنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به).

فالمرجع في إثبات ما يجب لله عز وجل وفي نفي ما يمتنع عليه سبحانه وتعالى ولا يتصف به إلى العقل وأما الكتاب والسنة فلا حاجة إليهما. هذه حقيقة أمر هؤلاء ولذلك من تأمل ما وصلت إليه مقدماتهم علم خطورة بدعتهم وأنها كفر كما قال الشيخ رحمه الله ، هي من أعظم الطرق الموصلة إلى الكفر بالله ورسوله ثم هؤلاء الذين اعتمدوا على عقولهم انقسموا إلى فريقين ، في طريقة إثبات ما يجب لله سبحانه وتعالى ويشير إليهما الشيخ في قوله:

(ثم هم ها هنا فريقان أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من أي اختلاف على وجه الأرض فانفوه وإليه عند التنازع فأرجعوا فإنه الحق الذي تعبدتم به وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ويثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني أمتحنكم لا لتعلموا بتنزيله ولا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين).

الشيخ رحمه الله في هذا المقطع لخص حقيقة أمرهم في النصوص وكأنه يقول أن الله سبحانه وتعالى أمرهم في باب الأسماء والصفات أن يرجعوا إلى عقولهم فينظروا هذا هو الاحتمال الأول إما أن ينظروا إلى ما أثبتته العقول فيثبتوه وهذا هو الطريق الأول وما لم تثبته العقول فينفونه هذا طريق. طبعا ما أثبتته العقول يثبتونه جميعا ،و ما لم تثبته العقول افترقوا فيه إلى فريقين ، فريق نفاة وفريق توقف وهذا مجمل طريقهم وهو في الحقيقة طريق التعطيل و التفويض وسيأتينا في كلام الشيخ أن الناس انقسموا في باب ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه من الأسماء والصفات إلى طرق ، طريق التجهيل وطريق التأويل وطريق التخييل.

أما طريق التأويل: فهو معروف وهو صرف الألفاظ عن ظاهرها لغير مقتضي وهو طريق المتكلمين.

الطريق الثاني: طريق التجهيل : وهؤلاء هم المفوضة الذين قالوا : إن الله خاطب الناس بألفاظ لا حقيقة لها لا معاني لها ، معناها غير معلوم لا معنى لها.

الطريق الثالث :وهم طريق التخييل: وهم الفلاسفة الذين قالوا أن أخبر بخيالات ليجذب الناس ويحملهم على العبادة وأنه لا حقيقة حتى تعدى أمرهم إلى إنكار البعث وقالوا : إنه لا بعث وإنما أخبرت الرسل بذلك حتى يحملوا الناس على فعل الخير وعلى ترك الشر. وقد يشير الشيخ رحمه الله فيما يأتي إلى هذه الطرق.

والطريق الرابع: هو طريق السلف: وسيذكره الشيخ رحمه الله في الفصل القادم. وهو أن يقف المؤمن في هذا الباب على ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن نفسه أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.

ثم قال رحمه الله :**(وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله وأن الرسول معزولٌ عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم)**

الطواغيت المشار إليها. طواغيت : جمع طاغوت وهو ما يطغى به الإنسان عن الحق زيادة أو نقصا. ويشير هنا إلى القواعد التي قرروها والشبه الكبار التي أصلوها ، فتجد أحدهم يقول : لا نثبت هذا لله وهذا محال عليه عقلاً ، والآخر يقول : هذا واجب له عقلا . وسر الاختلاف بين هذا وهذا أن كلاً منهم نصب عقله حاكماً فيما يجب لله وما يجب أن تصرف إليه النصوص وهذا لا يوصلهم إلا إلى عطب واختلاف وتنازع إذ أن العقول مختلفة ولذلك سينقل الشيخ رحمه الله عن سلف الأمة ما يبين أن اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات في باب إثبات الأسماء والصفات منهج ضال إذ بأي عقل يوزن الكتاب والسنة فهو يشير في قوله الطواغيت إلى الشبه والأصول التي أصلتها كل فرقة من هذه الفرق .

(وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه وتعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً. فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً)[1]

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل لله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون إنا قصدنا الإحسان ، علما وعملا بهذه الطريقة التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

(١) سورة النساء : آية (٦١-٦٣).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الخامس

www.almosleh.com

(وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة؛ ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم. وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً.فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾[1] فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول – والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته – أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية).

في هذا المقطع الذي سمعناه شبه الشيخ – رحمه الله – هؤلاء المتكلمين بالمنافقين الذين ذكر الله جل وعلا عنهم في كتابه إعراضهم عن التحاكم إليه والرجوع إليه فيما يقع بينهم من نزاع وذلك أن هؤلاء رأوا أنهم إذا اختلفوا في شيء لا يرجعون إلى الكتاب والسنة لأن الكتاب والسنة لا يدلان على الله بل يرجعون في نزاعهم وخلافهم إلى ما تقتضيه العقول والأقيسة وما قعدوه من قواعد في باب أسماء الله وصفاته وفي غيرها من القضايا التي خالفوا فيها سلف الأمة ، فهؤلاء معهم شعبة من شعب النفاق الكبيرة التي يُخشى على صاحبها الكفر لأن من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على العقول وأقوال الرجال فقد ضل ضلالاً بعيداً والواجب على كل مؤمن يريد إصابة الحق والتزام الصراط المستقيم أن يسلك ما سلكه السلف الصالحون من اتباع كتاب الله وسنة رسوله ، ثم بين الشيخ رحمه الله أن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : **(إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريقة التي سلكناها)** أي طريقة التأويل وطريقة اعتماد العقول في تقرير ما يجب لله عز وجل وما يمتنع عليه في باب الأسماء والصفات. ثم قال :**(والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية)** وكأنهم بهذا يقولون إن أدلة النقل تخالف أدلة العقل فلابد من توفيق ولا يتم التوفيق إلا بصرف النصوص عن ظواهرها حتى تستقيم مع العقول وهذا من أكذب الكذب ومن

(١) سورة : النساء : آية (٦٠-٦٢).

أعظم البهتان. فإن الشريعة لم تأت بما تحيله العقول وتمنعه ،بل جاءت بما تحار فيه العقول وقد لا تدركه. فينبغي أن يوقن المؤمن أن ما في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يخالف العقل بالكلية بل هو موافق للعقل وأن أي عقل خالف الكتاب والسنة فإنه عقل فاسد إنما أوتي من خطأ في قياسه.

ثم بين الشيخ رحمه الله أن الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته إليه وبعد مماته ووفاته إلى سنته صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رحمه الله. **(ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عن من قال كقولهم لتشابه قلوبهم. قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] وقال: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2])**

ذكر الشيخ رحمه الله في هذا المقطع أن هؤلاء لما أعرضوا عن الكتاب والسنة استعاضوا عنهما قواعد قررها أهل الكفر والشرك وأهل الضلال والبدعة وجعلوها حاكمة على نصوص الكتاب والسنة وجعلوها مرجعاً في الخلاف الذي وقع بينهم وهذا خلاف الصواب وخلاف ما أمر الله به إذ إن الله جل وعلا أمر بالرجوع إلى كتابه والرجوع إلى سنة رسوله ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ وكذلك الآية الأخرى التي فيها أن الله أنزل الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فمن عطل الكتاب عما أنزل لأجله فقد ضل ضلالاً مبيناً ،ثم بدأالشيخ رحمه الله أو عاد مرة أخرى لذكر لوازم هذا القول الباطل ولوازم هذه الطريقة الفاسدة وهي طريقة النفاة فقال رحمه الله:

(ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مرداً عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون إنه الحق الذي يجب اعتقاده لم

---

(١) سورة: النساء : آية (٦٥).

(٢) سورة : البقرة : آية (٢١٣).

يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهراً) هذا من اللوازم الكبرى على قولهم وفعلهم ونفيهم لصفات الله عز وجل أن الكتاب والسنة ليس فيهما هدى للناس ولا بيانٌ ولا شفاءٌ لما في الصدور وقال: **(لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء من نفي الصفات وتعطيلها لم يدل عليه الكتاب ولا السنة لا نصا ولا ظاهرا)** فإذا كان الأمر كذلك علم بذلك ضلال طريقهم وقوله : **(نعلم بالاضطرار)** العلم ينقسم إلى قسمين : علم ضروري وعلم نظري

العلم الضروري: هو ما لا يحتاج في تحصيله إلى نظر وتأمل ،يدركه المتعلم دون كبير نظر ولا تأمل.

وأما العلم النظري: فهو الذي يتوقف تحصيله على النظر والبحث والتأمل ، فنصوص الكتاب والسنة ظاهرة ظهوراً بيناً في بطلان طريقة هؤلاء وأقل ما في الكتاب والسنة أن طريقة الكتاب والسنة مخالفة لطريقة هؤلاء في تقرير ما يجب لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات. ثم قال الشيخ رحمه الله مبينا شبهة لهم في باب الأسماء والصفات فقال:

(وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾.

وإنما غاية المتحذلق يعني المتشبع بما ليس عنده من العلم والنظر في الكتاب والسنة منهم غاية ما عند هذا أن يستنتج هذا يعني سلامة هذه الطريقة التي هو عليها من نفي الأسماء والصفات أو من تأويل صفات الله عز وجل وتعطيل الله سبحانه وتعالى عما يجب له في باب الأسماء والصفات أن يستدل على ذلك بقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[1] ومعلوم أن هذين الدليلين ليس فيهما متمسك بهذا والشيخ الآن يجيب عن تمسك هؤلاء بالأدلة يعني بهذين الدليلين وما في معناهما على نفي الصفات أو على صحة الطريق الذي سلكوه من النفي في باب الأسماء والصفات

وقال رحمه الله:

(و بالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله. هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة وهو إما ملغز و إما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين)

هذا إبطال لقولهم في مسألة علو الله عز وجل وأنه ليس على العرش وأنه ليس عال على خلقه بائن

(١) سورة: مريم: آية (٦٥).

منهم إبطال لطريقتهم في الاستدلال على ذلك بقوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ فهذه الآية وما في معناها لا تدل على ما ذهبوا إليه بل من استدل بهذه الأدلة أو بهذا الدليل ونظائره على نفي العلو وما إلى ذلك من صفات الله عز وجل فقد **(أبعد النجعة)** أي أبعد المرعى **(وهو إما ملغز وإما مدلس)** وبهذا نعود إلى اللازم السابق أن من لازم قولهم في نفي الصفات هو أن كتاب الله عز وجل ليس فيه هدى ولا نور ولا بيان ولا شفاء لما في الصدور وهذا كذب وافتراء فإن مقتضى الاستدلال بهذه الآية على نفي الصفات أن يكون الله جل وعلا قد خاطب الناس بغير اللسان العربي المبين وذلك أن أصحاب الأفهام وأصحاب اللسان يفهمون من قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ أنه جل وعلا لا نظير له في أسماءه ولا في صفاته ولا في أفعاله وليس من ذلك أن ينفي عنه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات كما سيأتي تقريره في مذهب السلف في الفصل القادم. يعني في الفاصل من هذه الرسالة.

(ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم) **(المقالة)** أي مقالة أن قوله تعالى و لم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سميا يدلان على نفي الصفات**(أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم ، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمىً وضلالة)**

ما هو المرد قبل الرسالة وبعدها؟ العقل فإذا كان مردهم إلى العقل قبل الرسالة وبعدها وجاءت النصوص مضللة ظاهرها خلاف باطنها. ظاهرها يدل على ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى. فإن هذا يدلك على أن الكتاب لم يزد الناس إلا ضلالاً وبعداً عن الحق وعمىً في باب أسماء الله وصفاته.

(يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره و انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه)

هذا مع كمال نصحهم مع كمال نصح الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة وأنه ما ترك خيرا إلا دلها عليه ولا شرا إلا حذرها منه مع ذلك لم يقل لا هو صلى الله عليه وسلم ولا أحد من سلف الأمة :إن هذه الآيات لا يجوز اعتقاد ما دلت عليه ، فدل هذا لما لم يكن ذلك واقعاً من النبي صلى الله عليه

وسلم ولا من أصحابه دل ذلك على كذب مقالتهم وأنهم قد أبعدوا عن الصواب و لم يصيبوا إلا خبالاً وتخبطاً.

((ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة))[1]

قوله **(ثم)** هنا تكملة للاستدلال السابق يعني إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل للأمة: لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص مع إخباره أن الأمة ستفترق فيكون ما دلت عليه ظواهر النصوص هو الحق الذي يجب التمسك به لأنه لو لم تكن هذه الظواهر هي الحق لكان يجب عليه مع إخباره بالافتراق وكثرة الضلال وكمال تبليغه ونصحه لأمته لكان واجب عليه أن يبين لهم كيف يتعاملوا مع هذه النصوص. فلما لم يرد بيان يوافق ما قاله هؤلاء دل ذلك على أن ما كان عليه السلف من إجراء النصوص على ظواهرها وإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ، دل ذلك على صحة هذا الطريق وأن طريقة السلف هي أصوب الطرق الموصلة إلى معرفة الله تعالى وما يجب له.

(فقد علم ما سيكون ثم قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله))[2] **وروي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية ، ((هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))**[3] **فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وإنما الهدى ورجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين)**

هذا واضح فلما لم يكن الأمر كما ذكر الشيخ رحمه الله دل ذلك على صحة طريق السلف وأن الاعتماد على العقل مخالف لهدى النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف الصالح. والحديث الذي استدل به أو الذي أشار إليه بأن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين هو حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد وجاء من طرق عديدة وأما قوله : **((هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم**

---

(١) وهذا ثابت عن عدة من الصحابة منهم أبوهريرة عند الترمذي (٢٦٤٠) أن رسول الله قال : (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) قال الترمذي: حسن صحيح ووافقه الألباني وفي الباب عن سعد ، وعبدالله بن عمرو ، وعوف بن مالك عند ابن ماجة (٣٩٩٢) .

(٢) أخرجه: مسلم من حديث جابر في صفة حجة النبي (٣٩٤١) ، والترمذي (٣٧٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) أخرجه : الترمذي (٢٦٤١) وفيه عبدالرحمن بن زياد الإفريقي متكلم فيه ، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ، وحسنه الألباني .

وأصحابي)) فهو تتمة جاء في بعض الروايات متمما لحديث الافتراق وقد اختلف أهل العلم في إثبات هذه الزيادة ونفيها والصواب أنها ثابتة فقد جاءت عن ابن عمر وعن أنس رضي الله عنهما وهي و إن لم تصح من جهة السند على قول بعض أهل العلم إلا أن معناها صحيح فإن الطريقة الصحيحة في باب أسماء الله عز وجل وصفاته وفي جميع أبواب الدين والإيمان هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين هم خير القرون. وأما قوله:((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**)) فهذا جزء من حديث جابر في صحيح مسلم في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رحمه الله: **(ثم أصل هذه المقالة ، مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين).**

هذا المقطع يبين فيه الشيخ رحمه الله منشأ هذه البدعة وذكر المنشأ يبين لك فساد الطريقة لأنه إذا كانت هذه المقالة وهذه الطريقة نشأت عن هؤلاء الضلال ، دلك ذلك على أنها طريقة ليست بصحيحة ففائدة بيان المنشأ. **أولا:** التعرف على منشأ هذه البدعة ، **وثانيا:** الاستدلال بمنشئها على فسادها.

ثم قال رحمه الله: **(فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام. أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها. فنسبت مقالة الجهمية إليه وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم** (١) **وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين والمشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس وفرعون ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة وبطليومس ملك اليونان وقيصر ملك الروم فهو اسم جنس لا اسم علم)**

الآن بين الشيخ رحمه الله منشأ هذه المقالة وأنها مأخوذة من تلاميذ اليهود والمشركين وضلال الصابئين وسيبين من هم الصابئون بعد قليل فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة وهي نفي الصفات الجعد بن درهم و الجعد بن درهم ظهر في القرن الثاني وقتله خالد القسري ـــ رحمه الله ـــ لما أظهر

بدعته وقال أن الله سبحانه وتعالى ليس مستوي على عرشه و لم يكلم موسى تكليما و لم يتخذ إبراهيم خليلا فقتله لما أظهر هذه البدعة الشنيعة التي مقتضاها تكذيب كلام الله وكلام رسوله ، فتلقاها عن الجعد بن درهم الجهم بن صفوان وأظهرها فله شر إظهار هذه البدعة التي جرت على أهل الإسلام وسببت فرقة عظيمة وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه **(وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم قال اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم)** لبيد بن الأعصم اختلف فيه فقيل إنه يهودي وقيل إنه منافق وقد سحر النبي صلى الله عليه وسلم وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بسحره وأنه هو الذي سحره و لم يقتله ، وكان الجعد بن درهم هذا من أرض حران ، الآن يبين صلة هذه البدعة بالمشركين والصابئة فبعد أن بين التسلسل لهذه البدعة وذكر أن الجعد أخذها من أبان ،ثم ذكر منتهى البدعة إلى لبيد بن الأعصم ، قال :**(وفوق هذا)** يعني وكأنه يشير إلى سبب آخر في ابتداع الجعد أنه من أرض حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة

والصابئة : هم الذين بعث فيهم إبراهيم عليه السلام وهم قوم من المشركين الذين كانوا يعتقدون في الكواكب والنجوم ويقولون : إن الكواكب السبعة هي التي تصرف الكون وإليها مرجع تدبير الخلق هؤلاء عندهم بدع مغلظة وكفرية فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى ، والفلاسفة جمع فيلسوف وهي كلمة يونانية تتكون من فلاسوفيا ومعناها محبة الحكمة ، في هؤلاء الذين نشأ فيهم الجعد بن درهم فيهم صابئة وفلاسفة قال : **(بقايا دين أهل نمرود والكنعانيين)** وهم الذين بعث فيهم إبراهيم عليه السلام وحاجهم فالنمرود هو الملك الذي جرت بينه وبين إبراهيم المحاجة المذكورة في سورة البقرة: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1] **(والنمرود هو ملك الصابئة الكلدانية)** وهذا استطراد في بيان أن النمرود ليس علم لشخص بل هو اسم جنس لمن ملك الكلدانيين كما أن كسرى اسم جنس لكل من ملك فارس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك

(١) سورة : البقرة : آية (٢٥٨).

الأقباط في مصر والنجاشي لمن ملك الحبشة النصارى.

بعد أن بين صلة هذه البدعة. بدعة نفي الصفات بهؤلاء المشركين والصابئة ، انتقل الشيخ رحمه الله إلى بيان حال الصابئة فقال:

(فكانت الصابئة إلا قليل منهم إذ ذاك على الشرك وعلمائهم هم الفلاسفة وإن كان الصابئي قد لا يكون مشرك بل مؤمن بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى: – ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا أو مشركين فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل)

قال الشيخ رحمه الله : **(كانت الصابئة إلا قليلاً منهم إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة)** فإذا كان منشأ هذه البدعة قوما مشركين وعلمائهم هم الفلاسفة دل ذلك على بطلان هذه الطريقة وأنها لا توصل إلى معرفة الله تعالى لأن المشركين هم أجهل الناس بربهم والفلاسفة هم أبعدهم عن معرفة ما يجب لله عز وجل لأنهم اعتمدوا على عقولهم في إدراك الغيبيات والاعتماد على العقل في إدراك الغيبيات لا يوصل إلى سلامة.

ثم بعد أن بين الشيخ رحمه الله حال هؤلاء الصابئة كأنه يجيب على سؤال مطروح وهو أن الله سبحانه وتعالى ذكر أن من الصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فبين الشيخ رحمه الله أنه ليس كل صابئي مشركاً فمنهم من آمن بالله واليوم الآخر وهل هم من أولئك القوم أو من غيرهم. الله أعلم بذلك ولكن ظاهر كلام الشيخ أنهم من أولئك لأنه قال: لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين. فمنهم قوم قلائل على الإيمان والتوحيد ولكن أكثرهم على الكفر والشرك فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفاراً أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل. هؤلاء هم عمدة الجهمية وأهل الكلام فيما ذهبوا إليه من نفي صفات الله عز وجل ونفي ما يجب له من التعظيم وكمال الأسماء والصفات.

---

(١) سورة : البقرة : آية (٦٢).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السادس

www.almosleh.com

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: **(ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة. وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا – فيما ذكره الإمام أحمد وغيره – لما ناظر " السمنية " بعض فلاسفة الهند – وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات – فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين)**

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد:

ففي هذا المقطع يبين الشيخ رحمه الله مذهب النفاة أي نفاة الصفات في صفات الله تعالى فقال: **(ومذهب النفاة من هؤلاء)** أي المتكلمين **(في الرب سبحانه وتعالى أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة)** فالصفات السلبية : هي التي تصدر بالنفي فلا داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوق ولا تحت ولا حي ولا قيوم وما إلى ذلك. وهذه الصفات نفوها عن الله عز وجل لما اعتقدوه من أن إثبات الصفات يقتدي التمثيل ولشبه عندهم يشير إلى بعضها الشيخ رحمه الله في كلامه ، الثاني **(أو إضافية)** وهي الصفات التي لا يعقل معناها إلا بغيرها فلا تفهم إلا بواسطة . وقيل: إن الصفات الإضافية : هي كل صفة فعلية متعدية يكون الفعل فيها متعدياً إلى مفعول . فقالوا : لا نفهم السمع إلا ـــ صفة السمع ـــ إلا بأثرها و هو أنه يسمع ؛ ولا البصر إلا بأنه يبصر **(أو مركبة)** من الصفات السلبية والإضافية وهذا أيضاً جمع بين النفي والإثبات ؛وهؤلاء النفاة لصفات الله عز وجل ينقسمون في الجملة إلى أربع طوائف: –

الطائفة الأولى: الذين أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ونفوا حقائق أكثرها وهؤلاء هم الأشاعرة والماتريدية والذين يسميهم بعض أهل العلم مثبتة الصفات.

والطائفة الثانية: هم من يثبت الأسماء دون الصفات فيقولون: عليم بلا علم ؛ سميع بلا سمع ؛ بصير بلا بصر وهؤلاء هم المعتزلة.

والطائفة الثالثة: هم الذين يصفون الله عز وجل بالنفي المجرد عن الإثبات ويقولون : إن الله هو

الموجود المطلق بشرط الإطلاق أي لا يوصف بصفة إنما يوصف بالنفي فلا موجود ، ولا حي ، ولا خارج العالم ولا داخل العالم وهؤلاء هم الجهمية.

والطائفة الرابعة: هم غلاة الجهمية والذين سلكوا مسلك الجمع بين النفي والإثبات في وصف الله عز وجل فهم يجمعون بين النفي والإثبات في صفات الله عز وجل فيقولون : موجود ولا موجود.

هذا مجمل أقوال هؤلاء في باب الأسماء والصفات وهؤلاء المتكلمون عملوا على تقسيم الصفات إلى أقسام كثيرة فيقسمون الصفات إلى صفات سلبية وصفات ثبوتية إلى صفات معنوية وصفات ذاتية وصفات اختيارية وتقسيماتهم كثيرة جداً لمن طالع كتبهم ، وهذا خلافُ منهج السلف رحمهم الله فإن السلف لم يسلكوا هذا المسلك في صفات الله عز وجل إذ إن طريقتهم في باب الأسماء والصفات طريق واحد لا يختلف لكن هؤلاء لما فرقوا بين الصفات فأثبتوا بعضها ونفوا بعضها وأولوا بعضها.

احتاجوا إلى هذه التقسيمات ليبرروا تصرفاتهم وتحريفهم في باب الأسماء والصفات ثم قال الشيخ رحمه الله : **(وهم الذين بُعث إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إليهم)** يعني الصابئة ، مذهب النفاة من هؤلاء يعني من الصابئة **(فيكون الجعد قد أخذها)** يعني قد أخذ مذهبه في باب الأسماء والصفات وما يجب لله عز وجل في ذلك **(عن الصابئة والفلاسفة)** **(وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته)** يعني كمالها وتقعيدها وتنظيرها **(وأخذها الجهم أيضا فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند)** وهي فرقة في الهند تعتقد ما ذكره الشيخ **(وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات)** فما لا تدركه الحواس لا يثبتونه فهم على هذا ينكرون جميع الغيبيات وهم أيضا من عقائدهم تناسخ الأرواح وإنكار الصانع وما إلى ذلك من العقائد المنحرفة **(فهذه أسانيد جهم)** يعني هذه أسانيده في العلم وما ذهب إليه من نفي صفات الله عز وجل ومخالفة السلف فيما ذهبوا إليه **(ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين)** ثم قال: **(والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين)** وبهذا يتبين ضلال طريق هؤلاء وأنهم قد أخطؤوا سبيل الرشاد.

قال رحمه الله : **(ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي**

وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك و سفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء كثيرا في ذمهم وتضليلهم وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتابه التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم هي بعينها التأويلات الذي ذكرها بشر المريسي في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء وإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري ، صنف كتاب سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد. حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم)

الشيخ رحمه الله بعد أن قرر فيما سبق أصل مقالة التعطيل للصفات وأنها مأخوذة عن اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة وبين مذهب الصابئين في باب أسماء الله عز وجل وصفاته وبين صلة أئمة الضلال والانحراف في باب أسماء الله عز وجل بهذه الفرق والطوائف الضالة.

انتقل في بيان التسلسل التاريخي لهؤلاء فقال **ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء** فاجتمع شر إلى شر الشر الأول وهو التلقي عن هؤلاء قبل أن تعرب الكتب والشر الثاني هو تعريب كتب اليونان والروم فيما يتعلق بالعلوم الإلهية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء يعني ما كان في قلوبهم من الشبه والريب التي جاءت هذه الكتب فقعدتها وقررتها ونظرتها فكانت هذه الكتب بمثابة التقرير والتقعيد والتنظير لتلك الشبه التي قرت في قلوبهم وتلقوها عن الضلال من الصابئين واليهود والمشركين والفلاسفة وغيرهم قال **ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة** وهي مقالة التعطيل ومقالة الجهل والنفي والتحريف في باب أسماء الله عز وجل

وصفاته التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته ممن سار على طريقته وسلك منهجه في باب تعطيل الله جل وعلا عن أسمائه وصفاته ، قال **وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة و ابن المبارك وأبي يوسف صاحب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم كثير في ذمهم و تضليلهم** فالأئمة تصدوا لهم في أوان بزوغهم وفي أوائل ظهورهم ليبين أن السلف رحمهم الله قد حذروا الأمة و بينوا لها ضلال هذه الطريقة وأنها لا توصل في باب معرفة الله عز وجل إلا إلى الحيرة والاضطراب والضلال ثم قال **وهذه التأويلات الموجودة اليوم في أيدي الناس.** تكلم الشيخ رحمه الله عن التأويلات الموجودة في زمانه قال **مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات** وهذا كتاب مطبوع بأسماء كثيرة من أشهرها مشكل الحديث وبيانه ، ذكر فيها الأحاديث صحاحا وضعافا وأولها على طريقته فيما يتعلق بأسماء الله عز وجل وصفاته وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس وهذا الكتاب كتاب له شأو كبير عن المتكلمين قرر فيه الفخر الرازي الأمام الكبير المعروف في علوم شتى قرر فيه ضلالات كثيرة وانحرافات عديدة مخالفة لطريقة السلف فرد عليه شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب جليل عظيم النفع أسمه نقد التأسيس وهو كتاب مخطوط ويعمل على تحقيقه الآن ويوجد كثير منها أي من هذه التأويلات التي في أيدي الناس في ذلك الوقت وإلى وقتنا هذا يوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي على الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء بن عقيل الحنبلي وهؤلاء كلهم ضلال في باب أسماء الله عز وجل وصفاته فالجبائي والهمداني والبصري معتزلة بل هم من أئمة المعتزلة وابن عقيل تمذهب بمذهب الأشعري إلا أنه مال في كثير من أقواله إلى المعتزلة كحال أكثر الأشاعرة فإن متأخري الأشاعرة سلكوا في كثير مما يتعلق بأسماء الله عز وجل وصفاته مذهب المعتزلة وأبي حامد الغزالي وغيرهم ممن عرف عنه التأويل و التأويلات المذكورة في كتب هؤلاء **هي بعينها تأويلات بشر المريسي فهي مأخوذة عنه متلقاة منه وهو قد أخذها من كتب اليونان وورثها عن الأئمة الضلال كجهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيرهم.** قال **وأن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء ما يفهم منه رد التأويل** أو بعض التأويلات التي نقلت عن المتقدمين **ولهم كلام حسن في أشياء** وهذا من الأنصاف والعدل فهؤلاء لهم حسنات في بعض الجوانب إلا أن ما أتوا به من الشر

و ما قرروه كثير فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ليبين الصلة بين ما انتشر في أيدي الناس من الضلال في باب أسماء الله وصفاته وبين الضلال الذي كان في عهد السلف الذي أتى به الجعد والجهم ومن سار على طريقهم و سلك مسلكهم ، ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتاب وسماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله من التوحيد وهذا الكتاب مشهور معروف مطبوع فيه خير كثير رد فيه على شبهات المريسي وبه يتبين أن أكثر التأويلات التي شاعت في كتب المتأخرين من المتكلمين متلقاة عنه مأخوذة منه قال (**حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها**) أي أحكم و أرسخ في هذه الشبه و هذه التأويلات وهذه الضلالات وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم يعني هذه التأويلات من جهته (**ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم ثم إذا رأى الأئمة**) أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وهي الطريقة التي سلكها بشر ومن بعده وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والفتوى يعني هذه الفتوى التي يكتبها الشيخ لا تحتمل البسط في هذا الباب يعني في باب تقرير شبه هؤلاء تأويلاتهم وبيانهم والرد عليهم وإنما أشير إشارات إلي مبادئ الأمور وقد أحسن رحمه الله في بيان أصل هذه المقالة وكيف استقرت وانتشرت بين المسلمين وهذا كلام نفيس قد لا تجده في غير هذا الموضوع فهو تتبع تاريخي دقيق لبدعة التعطيل في باب أسماء الله عز وجل وصفاته وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور والعاقل يبصر وينظر.

" فقال رحمه الله تعالى. (**وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكرها هنا إلا قليلا منه مثل كتاب السنن للالكائي والإبانة لابن بطة والسنة لأبي ذر الهروي والأصول لأبي عمرو الترمنكي وكلام أبي عمر أبن عبد البر والأسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن منده ولأبي أحمد العسال الأصبهانيين وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل**

ذلك السنة لعبد الله بن أحمد والسنة لأبي بكر بن الأثرم والسنة لحنبل وللمروزي ولأبي داود السجستاني ولابن أبي شيبة والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم وكتاب الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق أفعال العباد لأبي عبد الله البخاري و كتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدرامي وكلام عبد العزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام نعيم بن حماد الخزاعي وكلام الأمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحي بن سعيد ويحي بن يحي النيسابوري وأمثالهم وقبل ذلك لعبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى ، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبهة فأنه يسير وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس المؤمن بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين)

في هذا المقطع قال الشيخ رحمه الله: و كلام السلف في هذا الباب أي في باب الأسماء والصفات وبيان المنهج السليم، موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكرها هنا إلا قليلاً منها وذكر جملة من الكتب وأكثر هذه الكتب ولله الحمد مطبوع موجود بين أيدي الناس ليقف من خلالها المؤمن على صحة طريقتهم وسلام منهجهم ومخالفته لمنهج هؤلاء المتكلمين.

يقول : **(وعندنا)** بعد أن ذكر رحمه الله كلام السلف **(وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره في تقرير صحة ما ذهبوا إليه وفي تقرير بطلان طريق النفاة)** فاجتمع للشيخ من الأدلة السمع و إجماع السلف والأدلة العقلية ثم قال : **(وأنا أعلم)** وهذا فيه تنبيه أن هذه الأدلة التي ذكرها من السمع ومن كلام السلف ومن الأدلة العقلية لا تسلم عند هؤلاء من بعض الشبهات التي يوردونها على هذه الأدلة ، قال **(وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة)** يعني قائمة **(يثيرونها ويرددونها ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى لأن الفتوى صغيرة ، وليس المقصود بسط كلام هؤلاء وتقريره)** لأن الشيخ قد قام بذلك في كثير من مؤلفاته فمن نظر فيها يعني في هذه الشبهات وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فأنه يسير . وقد بسط رحمه الله هو وغيره من الأئمة هذه الشبه والرد عليها وتفنيدها وكان له في هذا رحمه الله قصب السبق والواجب على المؤمن

أن يبعد عن شبه هؤلاء ولكن إن طرأت عليه وألجأ إلى النظر فيها فلا بأس أن ينظر فيها وأن يفندها و إلا فالأصل أن يقي المؤمن نفسه هذه الشبه وألا ينظر إليها إلا إذا دعت الحاجة، كأن يكون في مقام مناظرة أو في مقام بيان ضلال هؤلاء وشبههم و إلا فالأصل الابتعاد عن الشبه لأن الشبه خطافة والقلوب ضعيفة لاسيما إذا لم ترسخ قدم المرء في العلم بما كان عليه السلف من إثبات ما يجب لله عز وجل من الصفات والأسماء ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا كان أصل هذه المقالة بعد هذا العرض لطريقة هؤلاء أتى بالخلاصة والعلة في سياق هذا التسلسل التاريخي و بيان أصل هذه المقالة فقال : **(فإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين)** المغضوب عليهم الذين علموا و لم يعملوا والضالون الذين عملوا بلا علم و اعتقدوا بلا بينة ولا هدى **(وقد أمرنا أن نستعيذ بالله من طريق هؤلاء ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين)** وهو الصراط المستقيم المسؤول في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] وهذا الصراط لا يقوم إلا على العلم الصحيح والعمل الصالح فهذا هو صراط الذين أنعم الله عليهم ، كيف يسوغ لمن علم أصل مقالة هؤلاء أن يدع الطريق القويم ويسلك مسالك المغضوب عليهم والضالين وبهذا يكون قد فرغ الشيخ رحمه الله من المقدمة التي قرر فيها صحة ما ذهب إليه السلف وبطلان ما سلكه الخلف في باب أسماء الله عز وجل وصفاته والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

(١) الفاتحة : آية (٦-٧).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السابع

www.almosleh.com

(فصل : ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث ، قال الأمام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ويعلم أن ما وصف الله به من ذلك هو حق ليس فيه لغز ولا أحاج. بل معانه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم به لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله تعالى منزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث في سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله والتابعين. أما بعد فبعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من الفصل الأول الذي قرر فيه بطلان طريقة المتكلمين في باب أسماء الله وصفاته وبين أوجه بطلان هذا القول وبين منشأ قولهم وبين أيضا صحة طريقة السلف واستدل لذلك جاء هذا الفصل ليشرح منهج أهل السنة والجماعة وطريق السلف في هذا الباب وبدأ الشيخ رحمه الله بذكر قاعدة كلية في باب الأسماء والصفات وفي غيره مما يتعلق بالله تعالى ومعرفته ، فقال: (**ثم القول الشامل في جميع هذا الباب)** يعني باب الأسماء والصفات وما يجب له سبحانه وتعالى **(أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله)** وهذه قاعدة كلية وهو بيان مجمل لعقيدة السلف في باب الأسماء والصفات وأنهم رحمهم الله ورضي عنهم كانوا في هذا الباب واقفين على ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم واستدل لهذه القاعدة وأنها منهج السلف بقول للإمام أحمد رحمه الله فقال :**(وما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث)** أي لا يتجاوز في باب وصف الله عز وجل وفي باب ما يجب له ما جاء في القرآن والحديث. وقال: **(وبما وصفه به**

السابقون الأولون) هذا ليس على أنه طريق ثابت لإثبات ما يجب لله سبحانه وتعالى في هذا الباب وإنما ليبين أنهم وقفوا على ما وقف عليه السلف الصالح في هذا الباب

فهم سالكون في طريقهم ناهجون لسبيلهم والسلف الصالح قد وقفوا في هذا الباب على الكتاب والسنة وهم لا يتكلمون فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من قبل آرائهم ولا من قبل عقولهم بل إنما يتكلمون في هذا الباب بما سمعوه من رسول الله ﷺ وما علموه من الكتاب من كتاب الله جل وعلا فهم في وصفهم وفيما يخبرون به عن الله عز وجل لا يخرجون عن هدي الكتاب وسنة النبي ﷺ. قال الإمام أحمد رضي الله عنه: **(لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث بل يجب الوقوف عندهما)** لأن الله جل وعلا أعلم بنفسه وبغيره وهو سبحانه وتعالى أحسن حديثا وأصدق قيلا ورسله صادقون مصدقون فيما يخبرون به عن الله جل وعلا وهذه التعليلات ذكرها الشيخ رحمه الله في الرسالة الواسطية لبيان صحة هذه القاعدة فالله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره فإذا كان كذلك فيجب الوقوف عند ما أخبر عن نفسه وما أعلمنا في كتابه من صفاته وأسمائه لأنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وهو جل وعلا أعلم بغيره ثم مع كمال العلم معه سبحانه وتعالى كمال البيان والصدق فهو سبحانه وتعالى أحسن حديثا وأصدق قيلا فهذه الصفات الثلاث توجب الوقوف على ما في كتاب الله عز وجل وأنه لا يجوز للعبد أن يتجاوز كتاب الله فيما وصف به نفسه وأما وجوب الوقوف على ما جاء به الرسول ﷺ فلأن رسله صادقون فيما يخبرون به عنه سبحانه وتعالى وهم مصدقون أي مصدقون منه سبحانه وتعالى فيما يخبروه فلو أخبروا عنه بالكذب لما أقرهم ولبين كذبهم كما قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ .ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1] فالله جل وعلا مطلع على ما تخبر به الرسل عالم به وهم صلوات الله وسلامه عليهم صادقون فيما يخبرون فإذا كان الأمر كذلك وهذا ما يعتقده العبد المؤمن الصادق في كلام الله وفي كلام رسله صلوات الله وسلامه عليهم وجب على المؤمن أن يقف على ما جاء عن الله في كتابه وما جاء عن رسله صلوات الله وسلامه عليهم لا سيما خاتمهم ﷺ فهو أعلم الخلق بربه وأكملهم معرفة به سبحانه وتعالى وهذه حجة قوية لصحة هذه القاعدة وسلامتها وأشار الله سبحانه وتعالى إليها في قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .

(١) سورة : الحاقة (٤٤-٤٦).

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] فهذه الآية بينت كمال ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه وأنه جل وعلا مستحق لكل كمال وأنه منزه جل وعلا عن كل نقص وفيه الشهادة لصحة طريقة الأنبياء والمرسلين حيث سلم عليهم فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ وفيه بيان خطأ كل طريق يخالف طريق المرسلين حيث قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لأنهم لا يصلون إلى وصفه كما ينبغي وتعريف الخلق به إلا عن طريق الرسل ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذه كما مر معنا في الواسطية فيه إثبات كمال الأسماء وكما الصفات وكمال الأفعال له جل وعلا فهذه الآية من أجمع الآيات الدالة على صحة هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله في ابتداء حكايته وذكره لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات.

ثم بعد أن ذكر المنهج إجمالا فصل فيه فقال رحمه الله: **(ومذهب السلف أهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل)** وهذه قاعدة كبرى في هذا الباب فأهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ وهم في وصفهم هذا لا يكيفون ولا يمثلون ولا يأولون ولا يعطلون فهذه قيود أربع تخرج طرائق المبتدعين تخرج المبتدعة الذين ضلوا في باب أسماء الله عز وجل وصفاته من غير تحريف؛ التحريف: هو الإمالة في اللغة والتغيير وهو في الاصطلاح : العدول باللفظ عن ظاهره المتبادر إلى معنى مرجوح يحتمله النص هذا هو التحريف وهم لما أرادوا تلطيف هذه السبيل سموها تأويلا ليضللوا الناس وليموهوا باطلهم فالتحريف المذكور هنا المقصد به هنا التأويل عند المتكلمين وهو أهم يصرفون ألفاظ الكتاب وألفاظ السنة عن ظاهرها المتبادر إلى معان مرجوحة يحتملها النص لكنها ليست هي المعنى الظاهر من النصوص، أما التعطيل فقد تقدم معنا أنه في اللغة التخلية والتفريق وفي الاصطلاح: تخلية الله سبحانه وتعالى عما يجب له من الأسماء والصفات إما كليا وإما جزئيا، كليا كقول الجهمية الذين عطلوا الله عن الأسماء والصفات فلم يثبتوا له الأسماء و لم يثبتوا له الصفات وجزئيا كالمعتزلة والأشاعرة والماتردية وغيرهم فهؤلاء تعطيلهم لصفات الله عز وجل تعطيل جزئي. **(ومن غير تكييف ولا تمثيل)** التكييف في اللغة هو التصوير وفي الاصطلاح هو بيان حقيقة الشيء ويقول بعضهم هو بيان كنه الشيء يعني حقيقته الكنه هو الحقيقة فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات دون طلب

---

(٢) سورة : الصافات (١٨٠-١٨٢).

تصوير لها لأن التصوير لصفات الله عز وجل فرع عن معرفة الذات أو فرع عن معرفة كيفية الذات فلما كانت ذاته جل وعلا غير معروفة غير مدركة الكنه والحقيقة فكذلك الصفات ولذلك القاعدة في رد طلب تكييف هؤلاء أن يقال لهم الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فمن أراد أن يكيف الصفات فليكيف لنا أولا الذات وهو لن يستطيع إلى ذلك سبيلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣] **(ولا تمثيل)** التمثيل هو التشبيه وهو في الاصطلاح : إلحاق الصفات الثابتة أو تنظير الصفات الثابتة لله عز وجل بصفات المخلوقين وهذا من أعظم الضلال وهو قسيم الضلال السابق في التقييد الأول فالتقييد الأول من غير تحريف ولا تعطيل هذا رد على الفرقة الأولى من الفرقتين الضالة في باب أسماء الله و صفاته و هي فرقة المعطلة ومن غير تكييف ولا تمثيل هذا رد للممثلة لأن مرد الضلال في باب أسماء الله وصفاته يرجع إلى هاتين الطائفتين إما معطلة وإما ممثلة فبهذه القيود تميز منهج أهل السنة والجماعة عن طريق التعطيل والتمثيل.

ثم قال: **(ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك)** أي من الأسماء والصفات **(فهو حق)** أي **(ليس فيه لغز)** يعني ليس فيه تعمية وتضليل وإخفاء ولا أحاج الآحاج هي ظاهر الشيء على غير وجهه فليس في هذه الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله لغز ولا أحاجي بل هي ظاهرة بينة لمن شرح الله صدره ووفقه لسلوك طريق السلف الصالح في هذا الباب.

قال: **(بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه)** معناه معنى ما ثبت في باب الأسماء والصفات يعرف ويدرك من أين من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه يعني يعرف من الألفاظ كما يعرف كلام المتكلمين من كلامهم والله عز وجل قد خاطبنا بكلام وصفه بأنه مبين ولا يمكن أن يكون هذا الكلام المبين غير دال على صفاته سبحانه وتعالى فمن أراد أن يفهم ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فلينظر إلى كلام الله وإلى كلام رسوله ﷺ لاسيما يعني ويتأكد هذا في أنه يجب علينا أن نفهم الكلام كما يفهم سائر الكلام الذي يتكلم به المتكلمون **(إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول)** فالله جل وعلا أعلم شيء بنفسه فالله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره ورسوله أعلم الخلق به سبحانه وتعالى فإذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول فالرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله في كتابه أو في سنته ﷺ هو أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم **(وأفصح الخلق في البيان والتعريف**

(٣) سورة الشورى : آية (١١).

والدلالة والإرشاد) فإذا كانت كل هذه الصفات قائمة في المخبر دل ذلك على وجوب قبول خبره وتصديقه وعدم صرفه عن ظاهره وهذا شبيه بالعبارة التي ذكرناها قبل قليل في بيان أو في تعليل صحة طريق السلف رحمهم الله. قال: **(وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء)** يعني مع إثباتنا لما في كتاب الله وما في سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات فنحن نقر ونعتقد ونؤمن أنه **(ليس كمثله شيء)** كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه فليس له مثيل ولا نظير ولا سمي في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في كل ما يجب له حتى في عبادته سبحانه وتعالى فهو سبحانه وتعالى كما وصف نفسه لم يكن له كفوا أحد في شيء مما يختص به سبحانه وتعالى **(لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه و تعالى له ذات حقيقة كما نقر بذلك ونؤمن وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة)** لا نحتاج فيها إلى تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل يجب إثباتها على الوجه الذي وردت به **(وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه)** وهذا فيه رد على طريقة هؤلاء ورد على إلزامهم حيث قالوا إن إثبات الصفات وبعضهم قال إن إثبات الأسماء يستلزم أن الله سبحانه وتعالى ناقص أو أنه جل وعلا حادث قال **(فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة)** لكن نناقشكم في أن من لازم إثبات الصفات أن الله كان متصفا بالنقص أو أنه سبحانه وتعالى حادثا بعد أن لم يكن فالحدوث الذي أشار إليه الشيخ هنا هو الحدوث الذي يسبقه العدم و إلا فالصفات قسمان منها ما هو صفات ثابتة لازمة وهي الصفات الذاتية وهي التي اتصف الله بها سبحانه وتعالى أزلا وأبدا فهو لا يزال متصفا بها كالعلم والحياة والقدرة وغير ذلك من الصفات الذاتية ومن الصفات ما يتجدد كالاستواء يعني يحدث بعد أن لم يكن كالاستواء والغضب والفرح هذه صفات فعلية فالصفات الفعلية تحدث بعد أن لم تكن فعلمنا في قوله: **(فكل ما أوجب نقصا أو حدوثاً)** أي حدوثا بعد أن لم يكن يعني لو كانت هذه الصفات من لازمها أن الرب جل وعلا كان بعد أن لم يكن أو حدث بعد أن لم يكن لكان ما تقولونه صوابا ولكن هذه الصفات لا تدل على زعمكم وهذه من أكبر الشبه التي يعتمدها الضلال في نفي الصفات أن الصفات تستلزم الحدوث والحدوث ممتنع عن الله جل وعلا ممتنع عليه سبحانه وتعالى.

قال: **(فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه)** فلا يرام كمال أكمل من كماله جل وعلا

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤] **(ويمتنع عليه الحدوث)** لماذا؟ **(لامتناع العدم عليه)** والحدوث المقصود هنا هو حدوث الذات والصفات التي لم يزل متصفا بها أزلا وأبدا لأن الحدوث قسمان: حدوث الموصوف وحدوث الصفة حدوث الموصوف هذا محال لأن الله سبحانه وتعالى الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء جل وعلا وأما حدوث الصفة فمن الصفات ما يحدث بعد أن لم يكن كما مثلنا قبل قليل بالصفات الفعلية.

(ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه) جل وعلا لأن من حدث بعد أن لم يكن جاز عليه العدم فلما كان الله سبحانه وتعالى الآخر الذي ليس بعده شيء والأول الذي ليس قبله شيء فالحدوث ممتنع عليه لأن من لوازم حدوث الموصوف أن يكون مسبوقا بعدم أو ملحوقا بعدم **(واستلزام الحدوث سابقة العدم)** يعني وثبوت صفة الحدوث للموصوف يعني لله جل وعلا لذاته سبحانه وتعالى يستلزم أن يكون مسبوقا بالعدم، **(ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى)** كل هذه التعليلات عقلية جارى فيها الشيخ رحمه الله المتكلمين ليبين بطلان شبهتهم وليستعمل الألفاظ التي يستعملونها ليموهوا بها على الناس ولذلك برع الشيخ رحمه الله في هذا الجانب حيث إنه ناقش هؤلاء بلغتهم وبقواعدهم وبين أن قواعدهم لا توصلهم إلى النتائج التي وصلوا إليها بل العقل دال على إثبات الصفات كما دل عليه الكتاب والسنة.

---

(٤) سورة الشورى : آية (١١).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثامن

www.almosleh.com

(ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله. فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته. وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل: فهو جامع بين التعطيل والتمثيل. أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات؛ فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى. فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام: فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم. إما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم من سائر الأجسام وصار هذا مثل قول المثل: إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرضا. وكلاهما محال؛ إذ لا يعقل موجود إلا هذان. وقوله: إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين. والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط؛ من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك. ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها).

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحابته والتابعين أما بعد: فبعد أن ذكر الشيخ رحمه الله في هذا الفصل القاعدة الشاملة فيما يجب لله عز وجل في باب الأسماء والصفات وذكر ذلك بعد الإجمال تفصيلا بين رحمه الله في هذا المقطع أن أهل السنة والجماعة وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل في باب أسماء الله وصفاته فوسطية أهل السنة والجماعة بينة في هذا الباب لأن

كلا من أهل التعطيل وأهل التمثيل نزع إلى جانب وغلا فيه فأهل التعطيل هم الذين خلو الله جل وعلا عما يجب له من الأسماء والصفات إما كليا وإما جزيئا لشبه عندهم ؛ وأهل التمثيل هم الذين قابلوهم فقالوا كل ما أثبته الله لنفسه من الصفات فهو كما هي للمخلوق فصفات الخالق كصفات المخلوق يده كيدنا واستوائه كاستوائنا وما إلى ذلك من الصفات التي أثبتها لنفسه وهي للمخلوق فهؤلاء غلو في جانب الإثبات وأهل السنة والجماعة بين هؤلاء طريق وسط بين أهل الضلالات فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه وهذا فيه إشارة إلى القاعدة الكبرى في باب الأسماء والصفات وهي أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أنا نتفق جميعا أن ذات الخالق جل وعلا ليست كذوات المخلوقين فكذلك صفاته سبحانه وتعالى ليست كصفات المخلوقين وهذا فيه أعظم الرد على أهل التعطيل وأهل التمثيل.

قال: في بيان طريق أهل السنة والجماعة **(ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله)** فهم لا ينفون وبهذا نعلم أنهم خالفوا أهل التعطيل في نفيهم ما وصف الله به نفسه وأنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو ما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل وأنهم كما ذكر في المقطع الأول فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه وبهذا أيضا تميزوا عن منهج أهل التمثيل الذين يكيفون ويمثلون صفات الله عز وجل وبهاتين الجملتين أو بهذين المقطعين من كلامه رحمه الله فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله تمت الضوابط المذكورة سابقا في طريقة أهل السنة والجماعة وهي أنهم يثبتون ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال: **(ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسمائه وصفاته العليا)** لان مقتضى النفي التعطيل **(و يحرفوا الكلم عن مواضعه)** أي ويقعوا أيضا في التحريف لأن سلم التعطيل التحريف فهم إذا عطلوا فلا يصلون إلى التعطيل إما بالتحريف أو بالإلحاد ولذلك قال **(فيعطلوا أسمائه الحسنى وصفاته و يحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته)** فذكر التعطيل والتحريف والإلحاد و الإلحاد هو نظير التحريف لأن التحريف هو الميل والعدول بأسماء الله عز وجل وصفاته عن ظواهرها والإلحاد هو كذلك لكن الإلحاد أعم من التحريف فالإلحاد في أسماء الله عز وجل في اللغة: هو الميل والعدول وفي الاصطلاح يذكر على أشياء كثيرة فمنها أي من الإلحاد في

أسماء الله عز وجل تسميته بغير ما يليق به سبحانه وتعالى كما يسميه بعض أهل الملل الأب وغير ذلك من الأسماء التي لا تليق به ومن الإلحاد في أسماءه إنكار بعض ما سمى به نفسه سبحانه وتعالى كما وقع من أهل الجاهلية الذين أنكروا اسم الرحمن ومن الإلحاد في أسمائه صرفها عن ظواهرها التي دلت عليها النصوص إلى معان مرجوحة وهذا هو التحريف الذي أشار إليه في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ وأيضا من الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى تسمية غير الله عز وجل بأسمائه سبحانه وتعالى كاللات والعزى التسمية أو الاشتقاق تسمية غير الله بأسمائه أو اشتقاق أسماء الآلهة الباطلة من أسمائه كاللات والعزى ومناة فاللات مشتقة من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان فهذه أربع صور من صور الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى وكلها قد سلم منها أهل السنة والجماعة فلم يلحدوا في أسمائه جل وعلا ولا في آياته.

قال: فـ **(كل واحد من فريق التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل)** فبدعة المعطلة مركبة من بدعة التعطيل ومن بدعة التمثيل كما أن الممثلة أيضا بدعتهم مركبة من تمثيل وتعطيل.

ثم بين الشيخ رحمه الله كيف هذا فقال: **(أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق)** فهم أولا وقعوا في التمثيل و التشبيه لم يفهموا من الاستواء إلا ما عرفوه من المخلوق و لم يفهموا من السمع والبصر والعلم وغير ذلك من الأسماء و الصفات التي وصف الله بها نفسه إلا ما تليق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات لأنها تقتضي التمثيل والتشبيه والله سبحانه وتعالى لا يشبه خلقه لا يماثل خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل فأول زلفة أول درجة أول خطوة في طريق التعطيل هي التمثيل.

قال: **(فقد جمعوا بين التعطيل وبين التمثيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه و صفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم)** وهذا غلط لأن الله سبحانه وتعالى بين في غير ما موضع من كتابه أنه لا نظير له ولا كفء له ولا ند ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] **(وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى)** فلما مثلوا واعتقدوا التمثيل نفوا ظواهر هذه الأسماء وهذه الصفات فعطلوا ما يجب له سبحانه

(١) سورة: الشورى : آية (١١)

وتعالى من الكمال وما يجب له سبحانه وتعالى من الأسماء و الصفات.

(فإنه إذا قال القائل) هنا الشيخ رحمه الله يضرب مثالا للجمع في بدعة التعطيل بين التمثيل والتعطيل **(فإنه إذا قال القائل لو كان الله فوق العرش)** والعرش هو سرير الملك وهو من أعظم المخلوقات التي خلقها الله جل وعلا وهو من أولها قال: **(لو كان الله فوق العرش)** كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه **(للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً)** هذه لوازم عقلية ناشئة عن أي شيء؟ عن تمثيل الله بخلقه قالوا استواء الله كاستواء خلقه استواء الله على عرشه كاستواء أحدنا على كرسيه أو على دابته أو على سريره فلما وقعوا في ذلك قالوا إما أن يكون أكبر كما هو الحال في المخلوق من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال في حقه سبحانه وتعالى فهو الكبير المتعال.

قال: **(ونحو ذلك)** من الالزامات الباطلة التي منشؤها تمثيل الله بخلقه **(فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت أي جسم كان على لأي جسم كان)** أي فلم يعقل ويدرك من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلا أنه كاستواء أي جسم على أي جسم **(وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم هذا اللازم الباطل تابع لهذا المفهوم)** وهو التمثيل تابع للتمثيل أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة لأنه سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذا اعتقد العبد أن الاستواء الثابت له سبحانه وتعالى في كتابه ليس كأي استواء وأن ذاته ليست كأي ذات علم بذلك أنه لا يلزم على إثبات ما أثبته الله لنفسه في هذه الصفة لا يلزم أي لازم باطل بل سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] **(فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام وصار هذا مثل قول الممثل)** الآن بعد أن فرغ في هذه الصفة من بيان أن أول طريق التعطيل التمثيل أتى إلى الجانب الآخر وهو أن الممثلة معطلة قال:

(وصار هذا مثل قول الممثل) إذا كان للعالم صانع، صانع أي خالق فهذا الصانع **(فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً)** الجوهر في كلام العرب هو حقيقة الشيء و ذاته تقول: جوهر الشيء أي حقيقته وذاته ومعناه عند المتكلمين قريب من هذا وأما العرض فهي الصفة وهي مال لا يدوم ولا يبقى وما لا

(١) سورة: الشورى : آية (١١).

يقوم بنفسه بل يقوم بغيره.

يقول: **(إذا كان العالم صانع فإما أن يكون الصانع جوهرا)** له حقيقة وذات **(وإما أن يكون عرضاً)** يعني لا يقوم بذاته ولا يدوم **(إذ لا يعقل موجود إلا هذان)** لا يعقل إلا عرض وجوهر **(وقوله: إذا كان مستو على العرش)** فهو لاستواء الإنسان على السرير والفلك يعني قوله في كتابه إذا كان مستوياً على العرش فهو لاستواء الإنسان على السرير والفلك لأن العرش هو السرير والفلك هو البواخر فلا يعقل من الاستواء إلا استواء الإنسان على سريره أو استوائه على البواخر **(إذا لا يعلم الاستواء إلا هكذا)** في حق من؟ في حق المخلوقين **(فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه)** الممثل لما اعتقد أنه لا معنى ولا يتصور الاستواء الثابت له سبحانه وتعالى إلا كالاستواء الثابت للمخلوق على السرير أو على الفلك أو على غير ذلك مما يستوي عليه فهو في الحقيقة مثل صفة الله عز وجل بصفة خلقه فأدى به هذا إلى أي شيء؟ إلى أن عطل الله سبحانه وتعالى عما يجب له من الكمال إذ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] فكان الممثل معطلا.

قال: **(فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الأول بتعطيل كل اسم بالاستواء الحقيقي)** هذا من؟ هذا المعطل امتنع من إثبات أي اسم من الأسماء الحقيقية للاستواء بالنسبة لله عز وجل وذهب يطلب معان بعيدة للاستواء ففسر الاستواء بالاستيلاء أو بالإقبال أو بغير ذلك من البدع التي أو بالملك أو بغير ذلك من التفاسير التي وقعوا فيها وأولوا فيها الاستواء الثابت في كتابه فالمعطلة من تأوليهم لقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] قالوا أي خلقه أو ملكه أو استولى عليه كل هذه تأويلات باردة وتعطيلات لاسم الاستواء عن معناه الحقيقي.

(وامتاز الثاني) من هو؟ الممثل **(بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين)** فعطل الله سبحانه وتعالى عما يجب له من الكمال.

ثم بعد أن فرغ من ذكر هاتين البدعتين في هذه الصفة قرر طريقة أهل السنة والجماعة في هذه الصفة كالممثل بها حتى تقاس بقية الصفات عليها قال: **(والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن**

---

(١) سورة الشورى : آية (١١).

(٢) سورة : طه : آية (٥).

الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به) فأهل السنة والجماعة يثبتون الاستواء لله سبحانه وتعالى كما مر في أول هذه الرسالة من الأدلة الدالة على استواء الله عز وجل على عرشه والاستواء في كلام السلف له أربع معاني: العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، فكلام السلف في تفسير الاستواء المذكور في كتاب الله عز وجل الذي هو صفة له دائر على هذه المعاني الأربع وهم بذلك يثبتونه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون أن يمثلوا أو يكيفوا أو يعطلوا أو يحرفوا.

وتقدم لنا في الواسطية بيان الانحرافات انحرافات المتكلمين في هذه الصفة وأن أكثرهم ينفيها ويؤولها بالاستيلاء وأجبنا على هذا القول في تلك الرسالة.

ثم قال الشيخ: **(فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك)** وأن هذا الوصف لا يلزم منه تمثيل ولا يلزم منه تعطيل فكذلك في صفة الاستواء والاستواء صفة فعلية من صفات الله عز وجل بينما ذكر الشيخ في **(كما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير)** ذكر صفات ذاتية: العلم والقدرة والسمع والبصر هذه من الصفات الذاتية وهذا يشير إلى أصل في باب الأسماء والصفات وهو أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فلا نفرق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية والصفات الخبرية بل قولنا في صفة من الصفات هو كقولنا في سائر الصفات فكما أننا نقول بأنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير وأنه سميع بصير ولا نخترع لوازم باطلة على هذا الإثبات فكذلك في الاستواء لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فباب الصفات باب واحد لا نميز بينه في اللوازم فنثبت بعضا وننفي بعضا ولذلك ما سلم من ناحية اللوازم إلا من نفى كل الصفات أما من أثبت بعضا ونفى بعضا احتج عليه المبتدع الذي نفى الجميع قال: كيف تثبت بعضا وتنفي بعضا مع أن الباب واحد واللازم فيما نفيت يلزم فيما أثبت فوقع في اضطراب وخطأ وعلى هذا فكما نثبت هذه الصفات على الوجه الذي يليق به فنحن نثبت الاستواء وغيره من الصفات الفعلية على الوجه الذي يليق به.

قال: **(ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوق وقدرتهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها)** وهذا جيد وبين في أنه كما أنكم تقولون يلزم على إثبات الاستواء مماثلة المخلوق فكذلك العلم والقدرة فإن الله وصف المخلوق بالعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات فكما أن قيام هذه

الصفات في المخلوق لا يلزم منه أن تكون الصفات الثابتة للخالق مماثلة لها فكذلك في الاستواء وغيره من الصفات التي نفيتموها والقاعدة في هذا أن القول في بعض الصفات كالقول في بقيتها.

الشيخ رحمه الله بعد أن فرغ من بيان تلازم شبهتي التعطيل والتمثيل وبدعتي التعطيل والتمثيل ناقش الأصل الذي اعتمد عليه هؤلاء وهؤلاء فيما ذهبوا إليه من البدع وهو اعتمادهم العقل في باب الأسماء والصفات وسيبين الشيخ رحمه الله فيما يأتي أن اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات غير صحيح.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس التاسع

www.almosleh.com

(واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلا؛ لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير. ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة – من المتأولين لهذا الباب – في أمر مريج فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل؛ بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل. ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء: إنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله. فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: " أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء)

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه والتابعين أما بعد، فالمؤلف رحمه الله قرر في هذا المقطع بطلان اعتماد العقل في باب أسماء الله وصفاته بل وفي سائر أبواب الاعتقاد كما سيذكر ذلك في نهاية كلامه وبطلان اعتماد العقل في باب الإخبار عن الله عز وجل بين من ثلاثة وجوه. الوجه الأول : ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو أن المعتمدين على عقولهم في باب الأسماء والصفات في أمر مريج في أمر مضطرب فمن أدلة بطلان اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات الاضطراب والتناقض في الشيء دليل فساده ولذلك ذكر الشيخ رحمه الله أنهم في أمر مريج ثم بين اضطرابهم وتناقضهم وضرب لذلك أمثله من البدع عند أهل الكلام **(فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها يعني يمنعها وأنه مضطر فيها إلى التأويل)** فالنصوص التي جاء فيها إثبات الرؤية تأول ويختلفون في تأويلها كذا ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: **(إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل)** فكذلك البدع بدعة المعتزلة وغيرهم ممن ينفي هذه الصفات يقول إن الذي حمله على ذلك أن العقل أحال أن يوصف الله بهذه الصفات والشيخ رحمه الله تدرج فبدأ بالرؤية التي ينكرها مثبتة الصفات كالأشاعرة والماتردية والكلابية ومن سار طريقهم ثم

ذكر بدعة الذين ينفون الصفات بالكلية كالمعتزلة والجهمية ثم أتى ببدعة مغلظة وهي بدعة الفلاسفة الذين ينكرون البعث.

قال: **(بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد)** يعني من ينكر أن الأجساد تحشر يوم القيامة وتبعث والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وهذه من أقوال ابن سينا وهي من أقوال الفلاسفة الذين ينكرون البعث ويقولون ما أخبرت به الرسل مما يقع في الآخرة إنما هو خيالات ليحملوا الناس على الطاعة ويزجروهم عن المعصية الذي حمل أولئك على هذا قالوا إن العقل أحال ذلك وهم مضطرون إلى التأويل **(ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل)**

ثم قال: **(ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء)** وهو أنهم اعتمدوا العقل في باب الأسماء والصفات فأثبتوا ما أثبته العقل ونفوا ما نفاه العقل يكفيك **(دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل)** ما هناك قاعدة ثابتة يرجع إليها فتجد **(بل منهم من يدعي أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الأخر إن العقل أحاله)** فبعضهم يقول العقل يوجب أن يوصف الله بكذا ومقابله يقول العقل يمنع يحيل أن يوصف الله بكذا ويأتي ثالث ويقول أن العقل لا يوجب ولا يحيل بل العقل يجيز أن يوصف الله بكذا فعقول الناس متفاوتة بل الواحد منهم كما ذكر ذلك بعض أهل العلم الواحد من هؤلاء المتكلمين تجده في الكتاب الواحد من كتبه يذكر في موضع أن العقل يوجب أن يوصف الله بكذا وفي نفس الكتاب يقول يمتنع الله أن يوصف بكذا عقلا وقد أثبته عقلا في أول الكتاب أو في أثنائه فهذا التناقض يدل دلالة واضحة على أنه لا يعتمد العقل فيما يجب لله من الكمال والتنزيه إثباتا ولا نفيا بل يرجع في ذلك إلى السمع ويستضاء بالعقل في فهم ما ورد به السمع أما أن يستقل العقل فيما يتعلق بالله عز وجل إثباتا ونفيا فهذا ليس بصحيح.

ثم قال الشيخ رحمه الله بعد أن بين هذا الوجه قال:**(يا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟)** أي العقول التي تحتمل أن يوزن بها كلام الله وكلام رسوله فقوله : **(يا ليت شعري)** ليتني أعلم أي العقول نرجع إليها في فهم كلام الله وكلام رسوله **(فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: " أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد لجدل هؤلاء وعقولهم)** لا شك أن هذا من الضلال المبين والخطأ العظيم، هذا الوجه الأول من الأوجه التي يبطل بها اعتماد

العقل في باب الأسماء والصفات.

الوجه الثاني : أن اعتماد العقل في هذا الباب مخالف لطريقة السلف فالسلف رحمهم الله اقتصروا في هذا الباب على ما جاء عن الله وعن رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الوجه الثالث: من الأوجه التي تبطل اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات أنه من المحال أن يستقل العقل بمعرفة ما يتعلق بالله عز وجل العقل يحيل الاعتماد على العقل في معرفة ما يجب لله عز وجل من الأسماء والصفات. إذا هذا الوجه الثالث هو إحالة العقل أن يكون مستندا ومعتمدا في معرفة ما يجب لله عز وجل وما يجوز له وما يمتنع عليه وذلك أن باب الأسماء والصفات من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل فلا يستقل العقل بمعرفتها يعني بمعرفة ما يجب لله عز وجل وما يمتنع عليه وما يجوز عليه، فهذه ثلاثة أدلة تدل على بطلان اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات.

ثم بعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من ذكر بطلان اعتماد العقل في باب الأسماء والصفات وذكر فيما ذكر أن من أدلة البطلان التناقض الذي وقع فيه المتكلمون. .

(وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه: أحدها بيان أن العقل لا تحيل ذلك. و الثاني : أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل. و الثالث : أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان. فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات. (الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص؛ وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وإنما يعلمه مجملا إلى غير ذلك من الوجوه. على أن الوجوه الأساطين من هؤلاء الفحول: معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية. وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه)

هذا المقطع بين فيه الشيخ رحمه الله أن هؤلاء المختصمين فيما يجب لله عز وجل في الأسماء والصفات كل منهم اعتمد فيما ذهب إليه على العقل والتأويل فبين الشيخ رحمه الله أن كل واحد من هؤلاء يحتج عليه بما احتج به على صاحبه فالحجة التي اعتمدها أحدهم في إبطال صفة من الصفات يحتج بهذه الحجج عليه في إثباتها يحتج عليه بهذه الحجج التي استند إليها في إبطال الصفات في إثبات هذه

الصفة التي احتج بها على صاحبه، فمثلا من يقول إن العقل يحيل أن يكون الله جل وعلا مستو على العرش أو أنه سبحانه وتعالى مريد أو أنه موصوف بالصفة الفلانية يقال له إن إحالتك هـذه باطلة ومنقوضة بدليلك يعني بالدليل الذي استدللت به على إبطالها نبين من هذا الدليل أن ما قلته باطل وهذا من بديع أساليب الرد على الخصوم أن ينقض قولهم من قولهم ولذلك اعتمد شيخ الإسلام رحمه الله على هذا في كثير من ردوده على المنحرفين في هذا الباب أن اعتمد على كلامهم في إبطال كلامهم لأن كلامهم اشتمل على حق وباطل فهم تمسكوا بالباطل في إبطال ما يجب لله عز وجل وغفلوا عن الحق الذي في كلامهم فاستعمال الحق في إبطال كلامهم هذا طريق بديع لإقناع الخصم ببطلان ما هو عليه فمن احتج بهذه التأويلات التي ذكرها الشيخ رحمه الله من احتج بالعقل على إبطال ما يجب لله عز وجل فيما ذكر ويحتج به على التأويل يقال له إن اعتمادك على العقل في إبطال هذه باطل من وجوه **(أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك)** العقل لا يحيل ما زعمت أنه محال العقل لا يحيل أن الله سبحانه وتعالى مستو على العرش وإنما جاءت الإحالة العقلية عندكم بسبب المقدمات الباطلة الفاسدة التي جعلتموها سبيلا للتوصل إلى هذه النتيجة فلما كانت المقدمات أو بعضها مقدمات فاسدة غير صحيحة كانت النتائج تابعة لها في الفساد والبطلان فيقال لهم إن العقل لا يحيل ما ذكرتم أنه محال وإنما الإحالة جاءت ناتجة عن مقدمات فاسدة إذا أبطلتموها ورفضتموها زالت الإحالة العقلية لماذا منعوا الاستواء قالوا لأن الاستواء يقتضي التمثيل فإذا قيل لهم إن الاستواء أصلا لا يقتضي التمثيل إثبات الاستواء لله عز وجل لا يقتضي المشابهة والتمثيل فتكون المقدمة التي استدلوا بها على إبطال هذه الصفة منقوضة فإذا نقضت المقدمة بطلت النتيجة التي توصلوا إليها وهي نفي الاستواء عنه سبحانه وتعالى.

إذا أول هذه الوجوه التي يحتج بها عليهم أن العقل لا يحيل ذلك.(**الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل** النصوص الواردة في باب الأسماء والصفات كثيرة يعسر أن تصرف عن ظاهرها فهي لا تحتمل التأويل ولا تحتمل الصرف فالاستواء جاء في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة و لم يأت في موضع واحد ما يدل على أنه مصروف عن ظاهره فكيف مع هذه الكثرة نقول إن النص يحتمل التأويل فالجواب عليهم أن النصوص الواردة في ذلك لا تحتمل التأويل.

(الثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار) لكثرة ما ورد عنه ﷺ

في الإخبار عنها وفي ذكرها **(كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان)** يعني كما جاء النبي ﷺ بالصلوات الخمس وجاء بصيام شهر رمضان وأقررنا بذلك وأثبتناه و لم ندخل في ذلك متأولين بل ننكر جميعا على الباطنية الذين يأولون هذه العبادات بتأويلات فاسدة كذلك حالكم في تأويلكم صفات الله عز وجل فكما أنكم أنكرتم على أهل التأويل من القرامطة والباطنية الذين أولوا هذه العبادات بأمور باطلة لم يأتي ما يؤيد ما ذهبوا إليه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ كذلك نقول في باب الأسماء والصفات فالأمر كله من باب واحد إذا كنا لا نقبل تأويل القرامطة والباطنية في قولهم إن الصلوات الخمس ليست على ظاهرها بل يراد بها كذا وكذا وكذلك الحج لا يراد به ما فهم منه عوام المسلمون بل يراد به كذا وكذا كذلك نقول لهم في باب الأسماء والصفات إنها على ظاهرها ويجب الإيمان بها كما أخبر به الله سبحانه وتعالى وأخبر به رسوله ﷺ فالتأويل الذي يحيلها أي التأويل الذي اعتمدتموه في إحالة الأسماء والصفات يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات فالباب واحد لا خلاف فكما أنكم تنكرون على أولئك تأويلاتهم الباطلة فيجب عليكم أن تنزعوا عن هذه التأويلات الفاسدة التي أولتم بها نصوص الصفات.

قال: **(الرابع أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص)** العقل الصريح السليم يوافق ما جاءت به النصوص الصحيحة الثابتة وهذه قاعدة ذهبية تحل إشكالات كثيرة العقل الصريح السليم لا يمكن أن يخالف نصا صحيحا ثابتا لأن الشريعة لم تأت بما تحيله العقول فلم تأت الشريعة بما يقول العقل الصريح أنه محال بل جاءت بما تحار فيه العقول وقد تعجز عن إدراكه إدراكا تاما ولهذا كل ما تبادر لك من النصوص الصحيحة أنه يخالف العقل الصريح فاعلم أنما أوتيت من قبل أمرين **الأمر الأول**: فساد في العقل بأن يكون العقل الذي اعتمدته في مصادمة النصوص عقل فاسد إما في أصله أو في مقدماته أو أن يكون النص الوارد غير صحيح فهذان تبريران أو تعليلان للمصادمة التي قد ترد بين العقل والنص إما أن يكون سبب ذلك فسادا في العقل أو ضعفا في النصوص فإذا اجتمع عقل صريح ونص صحيح فلا تمكن المعارضة وقد قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تقريرا بينا جليا في كتابه المبارك (درء تعارض العقل والنقل) وهو كتاب جليل فيه تقعيد لأصول أهل السنة والجماعة في باب أصول الدين والرد على المبتدعة وقواعدهم في هذا الباب قال: **(وان كان في النصوص من**

التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وإنما يعلمه مجملا) وهذا ما ذكرناه قريبا أن الشريعة قد تأتي بما تحار فيه العقول وتعجز عن إدراكه إدراكا تاما لكن لا يمكن أن تأتي الشريعة بما تحيله العقول وتمنعه، (**إلى غير ذلك من الوجوه)** في إبطال طريقهم **(على أن الأساطين من هؤلاء)** أي كبراء القوم وعلمائهم ومنظروهم **(معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية)** وذلك أن العقل لا يدرك الغيبيات إدراكا تاما قد يدركها في الجملة لكن لا يدرك تفاصيل هذه المغيبات **(فإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه)** يعني على ما جاءت به الرسل من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فالواجب الوقوف على ما جاءوا به من غير زيادة ولا نقصان وأن من دخل في ذلك بعقله فقد ضل ضلالا مبينا.

(ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر. والإيمان بالله واليوم الآخر: يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[3] وقد بين الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده. ومعلوم للمؤمنين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وأنصح من غيره للأمة وأفصح من غيره عبارة وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة. ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته: كمل كلامه وفعله وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وإما لعدم إرادته البيان. والرسول هو الغاية في كمال العلم والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين والغاية في قدرته على البلاغ المبين – ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة: يجب وجود المراد؛ فعلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان

---

(١) سورة: البقرة:آية (٨).

(٢) سورة: لقمان: آية (٢٨).

(٣) سورة: الروم: آية (٢٧).

بالله واليوم الآخر: حصل به مراده من البيان وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه وعلمه بذلك أكمل العلوم. فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه أو أكمل بيانا منه أو أحرص على هدي الخلق منه: فهو من الملحدين لا من المؤمنين)

هذا الوجه أيضا يضاف إلى الوجوه السابقة في بيان إبطال ما اعتمده هؤلاء من تأويل أسماء الله عز وجل وصفاته فإن النبي ﷺ أخبر عن الله عز وجل خبرا تاما اجتمع فيه تمام العلم بالمخبر وكمال المخبر من حيث البيان وتمام إرادته البيان وهذه الصفات إذا توفرت في المخبر عن الشيء علم أن خبره من أصدق الأخبار لاشتماله على العلم والقدرة على البيان وإرادة البيان ولذلك سبق تقرير هذا في أول الرسالة وأن التأويل غير مقبول في باب الأسماء والصفات لأن الرسل إنما جاءت لبيان ما يجب لله سبحانه وتعالى وجاءت بذلك مفصلا وقد صدقوا فيما أخبروا وصدقوا من الله جل وعلا في خبرهم فدل ذلك على سلامة ما جاءوا به وصحته وأن كل من سلك غير طريقهم فقد ضل ضلالا مبينا وأنه زاغ عن الطريق الذي يوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وهذا الوجه واضح وسبق تقريره والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس العاشر

www.almosleh.com

(والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة. وأما المنحرفون عن طريقهم: فهم " ثلاث طوائف ": أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل. (فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه. فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق. ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه. ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين. وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية. ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق. ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل. قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر. (وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى. ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم).

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد. .

فأعاد الشيخ رحمه الله بعد كلامه السابق إلى تصنيف الطوائف المنحرفة في باب أسماء الله وصفاته أو في باب الإخبار عنه سبحانه وتعالى وضم إليه الانحراف في باب ما أخبر به سبحانه وتعالى عما يقع في اليوم الآخر فقال مبينا منهج السلف **(والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب)** أي في باب ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى على سبيل الاستقامة من غير غلو ولا تفريط ثم قال: **(وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف في الجملة أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل)** ثم شرع رحمه الله في الكلام على كل طائفة على سبيل الإجمال لأن هذه القسمة التي

ذكرها الشيخ رحمه الله هي قسمة عامة يندرج فيها أكثر من فرقة فمثلا أهل التأويل يدخل فيهم الأشاعرة ويدخل فيهم الكلابية ويدخل فيهم المعتزلة ويدخل فيهم الجهمية ويدخل فيهم غلاة الجهمية أيضا وكذلك أهل التخييل وأهل التجهيل مراتب بدع لها مراتب وصور فهو يتكلم عن أصول هذه البدع ويذكر الجامع في كل بدعة فذكر أولا أهل التخييل فقال: **(فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه)** هم **(المتفلسفة)** أي هم الذين اشتغلوا بالفلسفة وما جاء عن اليونان وما ورثوه عن أرسطو وغيره من الضلال **(ومن سلك سبيلهم من متكلم)** يعني ولو لم يكن مصنفا منهم إلا أنه سلك سبيلهم في بعض ما ذهبوا إليه **(ومتصوف ومتفقه)** فبين ما يقوله هؤلاء قال: **(فإنهم يقولون إن ما ذكر الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور)** تخييل للحقائق أي تصوير وتكييف لأمر لا واقع له تخييل هو تصوير الأمر الذي لا واقع له فهم يخيلون حقائق لا واقع لها لينتفع به أي بهذا التخييل الجمهور وهم عموم الناس **(لا أنه بين به الحق)** يعني لا أنه بين بما جاء به من الإخبار عن الله عز وجل أو الإخبار عن اليوم الآخر بالحق المبين إنما جاء بأمور تخييلية **(لا واقع لها لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق)** ثم هؤلاء الضلال المكذبون لله ورسوله على قسمين **(منهم من يقول أن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ويقولون إن من المتفلسفة الإلهية من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله وباليوم الآخر من المرسلين)** وهذا من الكفر المبين أن يجعل هؤلاء الضلال أعلم بالله ورسوله من الرسل الصادقين المصدقين من الله جل وعلا **(وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية)** قال: **(باطنية الشيعة وباطنية الصوفية)** فالباطنية مذهب منه ما يوجد عند الشيعة ومنه ما يوجد عند الصوفية ومنه ما يوجد عند غيرهم فمن باطنية الشيعة الإسماعيلية الذين يقولون إن ما أخبر الله سبحانه وتعالى به إنما هو تخييل لا حقيقة له فلا بعث ولا نشور ولا صحة لما ذكر الرسل عن الله عز وجل من الأسماء والصفات وغير ذلك من الأقوال الباطلة وباطنية الصوفية كابن عربي والحلاج وغيرهم من الذين ضلوا واعتقدوا الكذب من الرسل فيما أخبروا وأنهم يتلقون عن الله عز وجل وأن ما تخبر به الرسل ليس على الحقيقة إنما هو لأجل نفع الناس.

قال: **(ومنهم من يقول)** هذا القسم الثاني: **(بل الرسول علمها)** يعني علم حقائق هذه الأشياء حقائق

ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه أو أخبر به سبحانه وتعالى عما يكون في اليوم الآخر **(لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها)** وهذا من أعظم الافتراء والكذب على الرسل وهذه بدعة مغلظة وهي أشد من الأولى لأن الأولى فيها تهمة الأنبياء بعدم العلم والثانية فيها تهمتهم بالعلم والتضليل وهذا هو سبيل المغضوب عليهم الذين علموا وكتموا و لم يعملوا بما علموا وأما القسم الأول فهو سبيل الضالين الذين لم يعلموا والأنبياء مترهون عن هذين الطريقين فطريقهم تام العلم تام العمل ولذلك شرع الله لأهل الإيمان أن يسألوه سبحانه وتعالى أن يهديهم صراطه المستقيم ﴿**اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم**﴾[1] وهم الرسل والأنبياء والصالحون والشهداء ولتوضيح هذا السبيل استثنى طريقين ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾[2] فالمغضوب عليهم هم الذين علموا و لم يعملوا والضالون هم الذين عملوا بلا علم فالفلاسفة جعلوا الأنبياء والرسل إما من المغضوب عليهم أو من الضالين وهذا فيه أعظم التكذيب لهم والفرية عليهم والتنقص لله جل وعلا الذي أقر هؤلاء وأيدهم ونصرهم.

ثم قال: **(وأراد من الخلق فهم ما يناقضها)** أي الرسول **(لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق)** وأي مصلحة هذه التي يزعمون إنما هي خيالات وشبه، قال: **(ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل والى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل)** يعني لن يكون وهو كذب **(ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق)** هذا في بيان المصلحة التي زعموها **(لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد)** فلو جاءت الرسل تدعو إلى الله وتبين للناس حقائق الأمور على ما هي عليه دون هذه الكذبات ودون هذه الافتراءات التي زعموها لما صدقهم احد ولما تبعهم أحد فكذب الرسل في الإخبار بأن الله يبعث الناس وأن أهل الجنة يتنعمون بالأكل والشرب وغير ذلك لمصلحة كبرى وهي أن ينقاد الناس إلى الخير وينصرفوا عن الشر قال: **(فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر)** يعني فيما يتعلق بالعقائد **(وأما الأعمال)** أي وأما ما جاءت به الرسل من الأعمال كالأمر بالصلاة والأمر بالزكاة والصوم والحج وغير ذلك من العبادات

---

(١) سورة:الفاتحة: آية (٦-٧).

(٢) سورة:الفاتحة: آية (٧).

(**فمنهم من يقرها**) يثبتها على ما جاءت (**ومنهم من يجريها هذا المجرى**) أي مجرى الأمور الخبرية الاعتقادية فيقول فيها: إن الرسل قد ضللوا وإنما أمروا بهذا لمصلحة العباد و إلا فإن المقصود بالصلاة ليست الصلاة التي بينها النبي ﷺ لأمته إنما هو أمور باطلة لا يعلمها إلا الخواص وهذا من أعظم النقض والكذب على الشريعة.

يقول: (**ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، يؤمر بها العوام**) أما الخواص الذين يفهمون معنى هذه العبادات على حقيقتها يفهمون معنى الحج ومعنى الصيام ومعنى الزكاة ومعنى الصلاة المعنى الحقيق لا حاجة بهم إلى أن يصلوا ولا إلى أن يحجوا ولا إلى أن يصوموا ولا إلى أن يزكوا الزكاة التي فرضت على العامة.

ثم قال: (**ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعيلية ونحوهم**) وهذه الطريق مستنكرة مكذبة مكروهة ظاهرة البطلان عند كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ولذلك لم يطل الشيخ رحمه الله في نقض هذه الطريق إنما اكتفى بذكر طريقتهم دون النقض لها لأنها بينة العوام لا تلتبس على من في قلبه إيمان بالله واليوم الآخر.

ثم انتقل الشيخ رحمه الله إلى الطائفة الثانية فقال:

(**وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها؛ ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويُعرف الحق من غير جهته وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك**. يعني مثبتة الصفات **والذين قصدنا الرد في هذه الفتيا عليهم: هم هؤلاء؛ إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم – في الحقيقة – لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا**) أهل التأويل بين الشيخ رحمه الله قولهم فقال: فيقولون : (**إن النصوص الورادة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل**) فهؤلاء حفظوا جانب الرسالة من التضليل والكذب وإنما تعبدهم أن يصلوا إلى المقصود يقولون: إن الرسل لم تبين هذه المعاني بياناً واضحاً لا لقصد التضليل إنما لتعبد الناس للوصول إلى هذا المقصود ولذلك قال: (**ولكن قصد بها**

معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليهم ولكن أراد أن ينظروا يعني بأنفسهم ويستقلوا بعقولهم) في معرفة المراد **(فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها)** إلى ذلك الحق المراد وفي هذا طعن في الرسل من جهة أنهم لم يبينوا للناس الهدى و إنما أتوا بما زادهم التباساً واضطراباً لأن العقول إذا كانت تستقل بمعرفة ما يجب لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات فما الحاجة إلى الإتيان بالنصوص فالإتيان بالنصوص التي ظواهرها يخالف المراد منها في الحقيقة زيادة عناء وتطويل وتعب وتضليل ولا فائدة فيه فهذا تنقص للرسل من هذه الجهة فهم سلموا من اتهام الرسل بكونهم من المغضوب عليهم أو الضالين لكنهم لم يسلموا من أن الرسل كانوا سبباً في حيرة الناس وتناقضهم واضطرابهم واختلافهم والتباس الأمر عليهم.

قال: **(ومقصوده امتحانهم)** أي تعبدهم **(وتكليفهم واتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته)** أي من غير الجهة التي يجب أن يعرف منها وهي جهة الرسل **(وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة)** لأنهم من أضل الناس في باب الأسماء والصفات وهم من أعتى أهل التأويل ضلالاً وأشدهم بعداً عن طريق أهل السنة والجماعة.

ثم قال: **(ومن دخل معهم في شيء من ذلك)** ويريد من ذلك مثبتة الصفات الذين دخلوا معهم في بعض ما ذهبوا إليه من البدع بإنكار بعض ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه أو بتأويله عن الحق قال: **(والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء)** لأن شبهتهم بينة ومضللة وتلتبس على الناس وقد تقبلها بعض العقول بخلاف أصحاب التخييل الذين عوارهم وضلالهم وبعدهم عن الحق وتكذيبهم للرسل ظاهر بين **(إذا كان نفور الناس)** يعني الأولين **(مشهور بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة)** يعني بالرد على أهل التخييل وغيرهم من أهل البدع المغلظة **(وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا)** يعني لا نصروا الإسلام الذي جاءت به الرسل لأنهم اضطروا إلى مخالفة الرسل في بعض ما جاءوا به ولا للفلاسفة كسروا أي بينوا ضلال طريقهم لأنهم أخذوا عنهم في جوانب كثيرة مما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى ويبين هذا أي يبين عدم كسرهم للفلاسفة بقوله: **(لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص)** يعني نصوص الصفات **(ألزموهم في النصوص نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات)** أهل التأويل أولوا أي النصوص؟ أولوا نصوص الصفات وأثبتوا نصوص المعاد على ما جاءت دون تأويل وأهل التخييل أولوا

الجميع أولوا نصوص المعاد وأولوا نصوص الصفات فاحتج أهل التخييل على أهل التأويل بقولهم: أنتم أولتم في الصفات فلماذا لا تأولون في المعاد فهم شاركوهم في بعض ضلالهم فألزموهم بأن يطـــردوا القاعدة في جميع النصوص حتى يسلموا من التناقض لأن التناقض دليل الفساد هذه قاعدة أي قول تجد فيه تناقض فهذا دليل فساده فهؤلاء تناقضوا فأولوا شيئا وأثبتوا شيئا فدل ذلك على فساد طريقهم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الحادي عشر

www.almosleh.com

(لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص – نصوص المعاد – نظير ما ادعوه في نصوص الصفات. فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه. وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات. ونصوص الصفات في الكتب الإلهية: أكثر وأعظم من نصوص المعاد. ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه؛ بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب. فعلم أن إقرار العقول بالصفات: أعظم من إقرارها بالمعاد وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به).

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد. .

فبعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من ذكر هاتين الطائفتين وبين أن أهل التأويل لم يأتوا بما يردون به على أهل التخييل في ضلالهم وإنما شاركوهم في بعض الضلال الذي سلط عليهم أهل التخييل فألزموهم إلزامات باطلة.

فقال الشيخ رحمه الله: **(لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات)** أي من التأويل لما أول أهل التأويل نصوص الصفات ألزمهم أولئك في نصوص المعاد ما فعلوه في نصوص الصفات وبين هذا الإلزام فقال: **(فقالوا لهم : نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، وأهل السنة يقولون لهؤلاء ونحن نعلم بالاضطرار أن السنة جاءت بإثبات الصفات فإذا كانت السنة قد جاءت بإثبات الصفات)** وجاءت بإثبات المعاد وتبين لنا ولكم أي يا أهل التأويل تبين لنا ولكم فساد هذه الشبهة التي جعلت أهل التخييل يؤولون نصوص المعاد فكذلك الأمر في نصوص الصفات فكما أن الشبهة التي اعتمدها أهل التخييل في تأويل نصوص المعاد باطلة فكذلك الشبهة التي اعتمدتموها في تأويل نصوص الصفات.

قال: ثم أضاف أمرا آخر يبين أن الذين أولوا في الصفات وقعوا في خطأ أكبر من أولئك الذين أولوا في نصوص المعاد من حيث إن نصوص المعاد تحتمل التأويل أكثر من نصوص الصفات وبيان ذلك في قوله: **(ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد)** فالكتب الإلهية ذكرت

نصوص الصفات أكثر وأعظم من ذكرها لنصوص المعاد ومع ذلك لم يؤول أهل الكتاب في نصوص الصفات فإذا كانت هذه النصوص مع كثرتها ومجيء الرسل بها في جميع شرائعهم لم تقبل التأويل فكذلك هي في هذه الشريعة لا تقبل التأويل وتأويل من أول في نصوص المعاد أقرب من تأويل من أول في نصوص الصفات أي أقرب إلى الاحتمال وان كان الجميع باطلاً لكن نحن نلزمهم على قاعدتهم في التأويل.

ثم قال في بيان وجه آخر يبطل تأويل هؤلاء لنصوص الصفات قال: **(معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات)** فإنه لم تكن العرب تنكرها مع أنهم طلبوا إبطال دعوة النبي ﷺ وإبطال رسالته وطلبوا تكذيبه ﷺ بكل طريق ومن كل سبيل ومع ذلك لم يؤولوا نصوص الصفات وإنما تسلط تكذيبهم وإنكارهم على إثبات نصوص المعاد.

قال: **(فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات)** تبين من هذين الوجهين أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات ما هما الوجهان؟ الوجه الأول: أن الشرائع جاءت بنصوص الصفات أكثر وأعظم من مجيئها بنصوص المعاد، الثاني: أن مشركي العرب وغيرهم لم ينكروا نصوص الصفات كما أنكروا نصوص المعاد ثم قال: **(فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به)** يعني ليس على الوجه الذي أخبر به وإنما إما أن يؤول وإما أن يعطل وإما أن يقال كما في البدعة الثالثة بأنه لا معنى له **(وما أخبر به في المعاد هو على ما أخبر به)** فالواجب على هؤلاء أن يلتزموا في المعاد كما التزموا في الصفات أو أن يلتزموا في الصفات ما التزموه في نصوص المعاد حتى تطرد قاعدتهم وتسلم من التناقض.

(وأيضا فقد علم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان إنكار ذلك عليهم أولى فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا لها ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛ بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ

مَغْلُولَةٌ﴾[1] وقولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[2] وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾[3] والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث؛ وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل فالأول أولى بالبطلان) واستمراراً في إلزامهم بطريقتهم قال الشيخ رحمه الله: وأيضا فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ومع ذلك لم يرد أنه ذمهم في نصوص الصفات إلا من حيث إنهم نسبوا إلى الله عز وجل النقص فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وقالوا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق السماوات والأرض استراح في اليوم السابع أما ماعدا ذلك فإنه لم ينكر عليهم فدل ذلك على أنه لم يقع في نصوص الصفات التي جاءت في كتب الأنبياء السابقين وفي التوراة خاصة لم يقع تحريف و لم يقع تبديل بل كان النبي ﷺ يقرهم على ما يذكرونه من الصفات التي توافق الحق فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك وتعجب يعني الصفات الثابتة حقاً له سبحانه وتعالى ضحك إقراراً لهم وتعجباً من إثباتهم إياها وتصديقاً لهم وذلك كما في الصحيحين من حديث **عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن حبرا من أحبار يهود جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع. فضحك النبي ﷺ تعجبا منه ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾)**[4] فأقره ﷺ على هذا فلما أقره على إثبات الصفات و لم ينكر عليه ذلك دل أن نصوص الصفات يجب أن تثبت دون تحريف ولا تعطيل ودون تكييف ولا تمثيل.

(وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون:

---

(١) سورة : المائدة(٦٤).

(٢) سورة : آل عمران (١٨١).

(٣) سورة : قّ (٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦).

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول تكلم بها ابتداء فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه) وهذا القسم الثالث من الطوائف الضالة في باب العلم بالله وأسمائه وصفاته وهم أهل التجهيل وهم المفوضة الذين قالوا : إن نصوص الصفات لا يعقل معناها ولا يعلم بل تقرأ دون علم لما تضمنته من المعاني هؤلاء بين الشيخ قال: (**فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف**) وذلك أن هؤلاء ظنوا أن مذهب السلف هو التفويض وهو الجهل بمعاني النصوص وتعطيل النصوص عن معانيها والألفاظ عن دلالاتها ومستند هؤلاء فيما ذهبوا إليه سيذكره الشيخ رحمه الله فيما يأتي والمراد والمقصود في هذا بيان من هذه الطائفة وماذا تقول. قال: (**يقولون أن الرسول ﷺ يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات**) فنفوا معرفة ذلك عن النبي ﷺ وهو أكمل البشر وعن جبريل الذي هو أشرف الملائكة فإذا كان النبي ﷺ لا يعرف ذلك ولا جبريل يعرف ذلك فمن يعرفهما ؟ لا يعرفهما أحد فالواجب الوقوف على الألفاظ دون النظر إلى معانيها ولا إلى دلالاتها.

قال: (**ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك**) لان السابقين الأولين تلقوا عن النبي ﷺ وعن القرآن الذي جاء به جبريل من رب العالمين فإذا كان جبريل والنبي ﷺ لا يعرفان ذلك فالسابقون المتلقون عن الكتاب والسنة لم يعرفوا ذلك.

ثم قال: (**وكذلك قولهم في أحاديث الصفات إن معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول تكلم بها ابتداء**) يعني تكلم بها ابتداء في وصف الله سبحانه وتعالى فذكر في الحديث ما لم يذكره القرآن ذكر في السنة من صفات الله عز وجل ما لم يأت به القرآن هذا معنى قوله (**تكلم بها ابتداء فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه**) يعني تكلم بكلام **لا يعرف معناه ولا يعرف دلالاته)** وإنما أضاف هذا ليبين أنه إذا ساغ أن نقول أنه لم يعرف ما نقله جبريل إليه فكيف يتكلم بكلام في وصف الله عز وجل ابتداءً ثم لا يعرف معناه وهذا أغلظ في التهمة للنبي ﷺ لأنه في المرتبة الأولى يسوغ أن يكون النبي ﷺ يسوغ على قولهم أن يكون النبي ﷺ قد نقل وبلغ ما لم يعلم معناه لكن كيف يبتدئ كلاماً في وصف الله عز وجل وذكره سبحانه وتعالى وهو لا يعقل هذه المعاني التي يتكلم بها وهذا فيه أعظم

الفرية على النبي ﷺ ولذلك وصف شيخ الإسلام رحمه الله أهل التجهيل بأنهم من شر البدع لأن مقتضى بدعتهم أن الله خاطب الناس وأن الرسول ﷺ تكلم في حق الله عز وجل بما لا يعقل معناه ولا يفهم ولا يعرف وأن الكتاب لم يأت هدىً ولا بياناً ولا موعظةً ولا إرشاداً للناس إنما جاء لتضليلهم والتضييق عليهم ومخاطبتهم وتكليفهم بما لا يعقلون ولا يعرفون.

ثم ذكر رحمه الله بعد ذلك دليل هؤلاء فيما ذهبوا إليه قال:**(وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾[٥] فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره ، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه ؛ وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك)**.

أشار رحمه الله في هذا المقطع إلى أصل ضلال هؤلاء، هؤلاء لما لم تعقل عقولهم النصوص واعتقدوا منها خلاف الحق وظنوا أن فيها النسبة نسبة الباطل و النقص لله عز وجل قالوا إن النصوص لا يعلم معناها إلا الله واستدلوا لهذا بقوله :﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ والآية في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ اختلف السلف رحمهم الله في الوقف في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ فبعضهم وقف على قوله ﴿إِلا اللَّهُ﴾ وهو قول جمهور أهل العلم وقال آخرون بأن الوقف على قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيكون الوقف في هذه الآية ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾والقول الثاني هو قول جماعة من السلف وكلا القولين حق كما قال شيخ الإسلام رحمه الله كلا القولين في الوقف حق لكن الذي أورد عند هؤلاء الإشكال هو الاشتراك في معنى التأويل فمن رأى أن الوقوف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ من رأى الوقوف على هذا فإنه يحمل النفي نفي العلم في هذه الآية على ما استأثر الله بعلمه من علم حقائق الأمور وما تؤول إليه وترجع وهذا لا شك أنه لا يعلمه إلا الله

(٥) سورة : آل عمران: (٧)

حقائق الأمور وما تؤول إليه الأخبار هذا لا يعلمه إلا الله فمثلاً أخبر الله جل وعلا عن يوم القيامة بأخبار كثيرة ونحن نعلم ما أخبر به سبحانه وتعالى لكن حقيقة ما أخبر به واقعاً هل نعلمه؟ لا نعلمه الله سبحانه وتعالى ذكر نعيم أهل الجنة في كتابه من الأكل والشرب والنكاح والنظر إليه وغير ذلك لكن حقيقة هذا لا نعلمه ولذلك جاء في القرآن قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ**﴾[٦] أي لا تعلمه علماً واقعاً وحقيقةً وتاماً لأنه لا يعلمه إلا الله وقوله ﷺ في الحديث الإلهي: **(أعددت لعبادي مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**[٧] فالعلم المنفي على قول جمهور أهل العلم هو علم حقائق المغيبات وكنهها سواء في الأخبار التي تتعلق بالله عز وجل أو في الأخبار التي تتعلق باليوم الآخر وعلى هذا يكون الوقف صحيحا.

(٦) سورة : السجدة:(١٧).

(٧) البخاري (٣٢٤٤).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثاني عشر

www.almosleh.com

(فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاح هؤلاء؛ وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون. ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجري على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم: إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله. وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة: من أصحاب " الأئمة الأربعة " وغيرهم. (والمعنى الثاني " أن التأويل " هو تفسير الكلام – سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه – وهذا هو " التأويل " في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم. وهذا " التأويل " يعلمه الراسخون في العلم وهو موافق لوقف من وقف من السلف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1] كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم وكلا القولين حق باعتبار. كما قد بسطناه في موضع آخر؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق والمعنى الثالث أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها – وإن وافقت ظاهره – فتأويل ما أخبر الله به في الجنة – من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك – هو الحقائق الموجودة أنفسها؛ لا ما يتصور من معانيها في الأذهان ويعبر عنه باللسان وهذا هو " التأويل " في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[2] وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[4] وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله. وتأويل " الصفات " هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف – كمالك وغيره–: الاستواء معلوم و الكيف مجهول؛ فالاستواء معلوم – يعلم معناه

(١) سورة : النساء: (١٦٢).

(٢) سورة : يوسف: (١٠٠).

(٣) سورة : الأعراف:(٥٣).

(٤) سورة : النساء: (٥٩).

ويفسر ويترجم بلغة أخرى – وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى).

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد فقد تقدم الكلام على أول هذا المقطع المترابط في بيان معنى التأويل والذي ساق الشيخ رحمه الله إلى ذكر هذا هو أن الذين أولوا في صفات الله والذين قالوا إن صفات الله لا يعلم معناها اعتمدوا فيما استدلوا به على باطلهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فذكر الشيخ رحمه الله الخلاف في الوقف في هذه الآية وأن كلا القولين في الآية حق ولكن المعنى في كل منهما أي في كل قراءة يختلف عن الوقف الآخر فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إذا وقف على هذه فيكون معناه لا يعلم حقيقة ما يؤول إليه إلا الله سبحانه وتعالى كما سمعناه في كلام الشيخ رحمه الله في بيان هذا المعنى وسيأتي المزيد من التفصيل في المقطع القادم وأما الوقف الثاني: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1] وهذا الوقف الثاني أو هذا القول الثاني في الوقف فيكون معنى الآية يعني ما يعلمه إلا الله والراسخون في العلم يعلمونه وتميزوا عن غيرهم برسوخهم في العلم فعلموا ما جهله غيرهم فيكون هذا من المتشابه الإضافي يعني المتشابه النسبي الذي يعلمه أناس ولا يعلمه آخرون فيعلمه الراسخون في العلم ولا يعلمه غيرهم.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أن التأويل في كلام السلف يراد به ثلاثة معان: الأول: قال **(فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك)** هذا التأويل الذي استعمله أكثر المتأخرين والأصل في الألفاظ أن تجرى على ظاهرها وأن تؤخذ دلالاتها من ألفاظها هذا الأصل في الألفاظ والأصل إعمال اللفظ على ظاهره والمتبادر منه لكن إذا جاء دليل يدل على أن ظاهر اللفظ غير مراد ففي هذه الحالة يصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى المعنى المرجوح الذي يحتمله اللفظ لهذه القرينة أو لهذا الدليل الصارف لكن الأصل في اللفظ أن يعمل على ظاهره وأن لا يصرف عن ظاهره إلى معنى مرجوح يحتمله النص إلا بدليل.

يقول: **(فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاح هؤلاء)** يعني المعنى المفهوم

---

(١) سورة : آل عمران : آية (٢).

من ظاهر اللفظ لا يكون تأويلا فإذا نظرت في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1] ظاهر هذه الآية يدل على أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى هذا تفسير وليس تأويلاً على كلام هؤلاء لأنهم جعلوا التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره أي عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل فلا يكون على قول هؤلاء تفسير القرآن تأويلاً لأن التأويل عندهم هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر أو الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به **(وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك)** في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم الذين يعلمون التأويل بمعنى هم الذين يعلمون أن المراد باللفظ غير ظاهره الراجح إنما المراد ظاهره المرجوح لدليل يقترن به ولا يفهم هذه الأدلة ولا يعرفها إلا الراسخون في العلم.

قال: **(وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون)** وظنوا: الضمير عائد إلى من؟ مراده أهل التجهيل يعني يظن أهل التجهيل أن مراد الله تعالى في قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم معناه المرجوح إلا الله سبحانه وتعالى وعلى ذلك يقفون عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ لأنهم يقولون : لا يعلم تأويل كلام الله إلا هو سبحانه وتعالى ولا يعلمه أحد. قال: **(وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون)** فنفوا العلم عن المتأولين وأثبتوه لله سبحانه وتعالى وهذا على قراءة الوقف.

ثم قال: **(ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجرى على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله)** يقول: لها معنى وتجرى على ظاهرها لكن لا يعلم معناها إلا الله فهؤلاء وقعوا في التناقض يقول: لها معنى وهو غير معلوم لا يدرى ولا يعلم معنى كلام الله سبحانه وتعالى فهؤلاء وقعوا في التناقض حيث أثبتوا أن لها معنى ونفوا علم هذا المعنى مع أن الكلام عربي مبين ومقتضى كونه مبيناً أن يفهمه كل من تكلم بهذا اللسان ولذلك قال: وقعوا في التناقض **(وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربع وغيرهم)** ومراده المفوضة يريد بهذا الكلام أهل التفويض أهل التجهيل قال: والمعنى الثالث، المهم الآن عرفنا المعنى الأول الذي يقصد به التأويل يرد ويقصد به أو يراد به صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معناه

---

(١) سورة : النمل:(٦٥).

المرجوح لدليل يقترن به والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أم لم يوافق قال: (**وهذا هو معنى التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم**) يعني إذا قال المفسرون تأويل هذه الآية معنى كلامهم تفسيرها وليس مرادهم بذلك صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح يحتمله النص لدليل قال: (**وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله:** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فالراسخون في العلم يعلمون تأويله ولكن العطف هنا لا يقتضي المشاركة من كل وجه في العلم بل علم الله سبحانه وتعالى تام لا يلحقه نقص وأما علم الراسخين في العلم فهو علم قاصر يشتمل علم المعاني دون علم الحقائق الذي يشير إليه في المعنى الثالث.

يقول: (**كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم وكلا القولين حق**) كلا التفسيرين (**حق باعتبار**) مقصوده كلا القولين في الوقف من وقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ أصاب ومن وقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أصاب لكن الأول هو قول الجمهور قول أكثر السلف والثاني قال به بعضهم.

قال الشيخ: (**وكلا القولين حق باعتبار**) يعني بالنظر إلى جانب كما بسطناه في موضع آخر (**ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا**) يعني نقل عنه الوقف على لفظ الجلالة ونقل عنه الوقف بعد قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وكلاهما حق فما المعنى الصحيح في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ يكون العلم المثبت لله وحده دون غيره هو علم الأمور على حقائقها و كيفيتها وما تؤول إليه وترجع وعلى القول الآخر الوقف يكون العلم التفسير و منه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في دعائه له (**اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل**) أي علمه التفسير. قال: (**والمعنى الثالث:أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وان وافقت ظاهره فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل و الشرب و اللباس و النكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها**) وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى حقائق هذه المخبرات من الأكل والشرب والنعيم في الجنة ورؤية الله سبحانه وتعالى وجميع ما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن اليوم الآخر لا يعلم حقيقة ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: **(لاما يتصور معانيها في الأذهان ويعبر عنه باللسان)** فهذا شيء آخر. قال: **(وهذا هو التأويل في لغة القرآن أي التأويل في لغة القرآن)** هو ما يؤول إليه الأمر ويرجع يعني حقيقة ما يؤول إليه الكلام واستدل لذلك بقوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾[1] يعني هذا حقيقة ما رأيت ومآل ما رأيت وهذا لما سجد له أبوه وأخوته قال: ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾ وفي قوله:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[2] **يعني يوم يأتي حقيقة ما وعدوا به ويقع ما أخبروا به** ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ **لأنه تطابق الخبر مع المخبر فقالوا:** ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ **و قال تعالى:** ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[3] أي أحسن عاقبة.

ثم قال: **(وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله)** قال: **(وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله سبحانه وتعالى بعلمها)** تأويل الصفات معناه يعني حقيقتها وأما تفسيرها ومعرفة معانيها الظاهرة فهذا يعرفه كل صاحب لسان **(وهو الكيف المجهول فالاستواء معلوم بعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله)** وبهذا يتبين المعنى الصواب على كلا الوقفين.

(وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: – تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل فمن ادعى علمه فهو كاذب. وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] **وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**[5] **وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا**

---

(١) سورة : يوسف:(١٠٠)

(٢) سورة: لأعراف(٥٣)

(٣) سورة : النساء: (٥٩)

(٤) سورة : السجدة: (١٧)

(٥) متفق عليه : البخاري (٣٢٤٤) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

الله تعالى. وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه كما قال تعالى:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١) ثم قال: له معان تفهم وتدرك لما عاتب الله عز وجل من لا يتدبر القرآن في قوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لكن لما كان له معان ظاهرة تدرك وينتفع بها أنكر الله عز وجل على من ترك التدبر والقرآن إنما نزل ليتدبر ويتأمل فيه وينظر ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(٢) فالمقصود من إنزال القرآن التدبر فمن عطل القرآن عن هذا فقد عطله عما أنزل لأجله.

وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾(٣) **فأمر بتدبر القرآن لا بتدبر بعضه. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته أقف عند كل آية وأسأله عنها. وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه. وهذا باب واسع قد بسط في موضعه. والمقصود هنا: التنبيه على أصول " المقالات الفاسدة " التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه ولا جبريل – جعله غير عالم بالسمعيات ولم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس. ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية فلا يجعلون عند الرسول وأمته في " باب معرفة الله عز وجل " لا علوما عقلية ولا سمعية؛ وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة)** العقليات يريد من؟ أهل التجهيل فهم لا يعتمدون النصوص لا يعتمدون السمع في إثبات ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ

---

(١) سورة : محمد : (٢٤).

(٢) سورة : صّ: (٢٩).

(٣) سورة : المؤمنون: (٦٨).

عنه لأنهم يقولون : هي نصوص لا معاني لها ولا يعتمدون العقل لأن العقل ليس بحجة في النظر في باب الغيبيات فهؤلاء أغلقوا الباب بالكلية ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية يعني لا تبعا للنص ولا استقلالا بخلاف أهل التأويل الذين اعتمدوا العقليات وجعلوها حججا قاطعة تحكم على النصوص فكلا الفريقين وقع في ضلال أولئك عطلوا النصوص واعتمدوا العقل وهؤلاء عطلوا النصوص وعطلوا العقول والصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة من النظر في النصوص واعتمادها والرجوع إليها وجعل العقل تابعا لها في الإثبات وفي إدراك معانيها فهم لم يعطلوا العقول و لم يعطلوا النصوص.

(وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة) أولئك جهلوا النبي ﷺ والسلف وهؤلاء أيضاً جهلوا يعني أهل التأويل جهلوا النبي ﷺ والسلف في آيات الصفات وغيرها وهؤلاء أيضا جهلوا النبي ﷺ والسلف في آيات الصفات وفي جميع السمعيات والغيبيات فهم متفقون على ذم صدر هذه الأمة.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثالث عشر

www.almosleh.com

الآن الشيخ رحمه الله سيشرع في ذكر النقول الكثيرة المستفيضة التي تدل دلالة لا مرية فيها على أن أهل السنة والجماعة كانوا يثبتون الأسماء و الصفات وسائر ما يتعلق بالله عز وجل من العلوم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وأنهم فهموا وعقلوا معاني الكتاب والسنة.

(ونحن نذكر من " ألفاظ السلف " بأعيانها " وألفاظ من نقل مذهبهم " – إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع – ما يعلم به مذهبهم. روى أبو بكر البيهقي في " الأسماء والصفات " بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا – والتابعون متوافرون –: نقول إن الله – تعالى ذكره – فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته. وقد حكى الأوزاعي – وهو أحد " الأئمة الأربعة " في عصر تابع التابعين: الذين هم " مالك " إمام أهل الحجاز و " الأوزاعي " إمام أهل الشام و " الليث " إمام أهل مصر و " الثوري " إمام أهل العراق – حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية. وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك. وروى أبو بكر الخلال في " كتاب السنة " عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: – أمروها كما جاءت. وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي: عن الأخبار التي جاءت في الصفات. فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي رواية: فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف. فقولهم – رضي الله عنهم – " أمروها كما جاءت " رد على المعطلة وقولهم: " بلا كيف " رد على الممثلة. والزهري ومكحول: هما أعلم التابعين في زمانهم والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما. وروى أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال " عمر بن عبد العزيز ": سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا. الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد من خلق الله تعالى تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. وروى الخلال بإسناد – كلهم أئمة ثقات – عن سفيان بن عيينة. قال: سئل ربيعة بن أبي عبد

الرحمن عن قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[1] كيف استوى. قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق. وهذا الكلام مروي عن " مالك بن أنس " تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه. (منها: ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى؛ قال: كنا عند مالك بن أنس؛ فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا مبتدعا؛ ثم أمر به أن يخرج. فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة. ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه – على ما يليق بالله – لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم. وأيضا: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات. وأيضا: فإن من ينفي الصفات الخبرية – أو الصفات مطلقا – لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف. وأيضا: فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان؛ فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد؛ أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول).

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد:

ففي هذا الذي سمعناه ذكر الشيخ رحمه الله نقولا عن السلف يستبين بها لكل من نظر فيها مذهبهم

---

(١) سورة : طه : آية (٥)

وطريقهم في باب الأسماء والصفات وإنما احتاج إلى هذه النقول وإلى ما سيأتي من النقول لقطع كل ريبة أو شك في أن السلف رحمهم الله أثبتوا الصفات على الوجه الذي جاء في الكتاب وجاء عن النبي ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وفي ثنايا نقله نقل قول ربيعة ومالك في الاستواء وهو أن الاستواء غير مجهول و الكيف غير معقول والإيمان به واجب ونقل أيضا قول بعض السلف في الصفات: أمروها كما جاءت. فلما كان في هذين القولين متمسك لبعض الذين قالوا إن السلف لم يثبتوا الصفات وإنما مذهبهم التفويض استدل بهذا القول على أن السلف ليسوا من أهل التجهيل الذين يقولون أن نصوص الصفات لا معنى لها.

فقال رحمه الله: **(فقول ربيعة ومالك : الاستواء غير مجهول و الكيف غير معقول والإيمان به واجب)** موافق لقول الباقين : أمروها كما جاءت بلا كيف فلا تعارض بينهما. يقول: **(فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة)** فهذه الأقوال إنما نفى فيها السلف رحمهم الله علم الكيفية لأن العلم بكيفية الشيء فرع عن العلم به فلما كان العلم بالذات ممتنعا فكذلك العلم بكيفية الصفات إذ إن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد أي بألفاظ نصوص الصفات من غير فهم لمعناه يعني معاني هذه النصوص و هذه الألفاظ على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول لأن مقتضى قولهم: إن الاستواء غير مجهول أنهم علموا المراد بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] وآيات الاستواء الأخرى فلما قالوا غير مجهول دل أنهم يثبتون معنى لهذه الألفاظ وأن هذه الألفاظ مرادة المعاني.

ثم قال: **و الكيف غير معقول ولما قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف)** ويدلل لذلك بما يأتي قال: **(فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهول)** يعني على قول من قال بأنها نصوص لا معاني لها **(يكون الاستواء غير معلوم بل مجهول بمنزلة حروف المعجم)** يعني كما لو أنك صففت ألفا وباء وجيما ودالا صففتها صفا أو أنك نظرت في أفرادها لا معنى لها، الألف إذا جاءت مجردة عن الكلمة لم يعرف لها معنى إنما تعرف بما انضافت إليه مما تتركب منه الألفاظ التي تدل على المعاني.

قال: **(وأيضا فانه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ المعنى)** وهذا مهم أيضا هذا وجه آخر من الأوجه التي تدل على أن هذه العبارات تدل على أن السلف رحمهم الله أثبتوا

(١) سورة : طه:(٥)

الصفات (**فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إلا إذا كان للفظ معنى**) و إلا لما احتجنا إلى أن ننفي الكيفية.

قال: (**إنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات**) ثم قال في وجه آخر: (**وأيضا فإن من ينفي الصفات الجزئية أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلى أن يقول : بلا كيف**) لأنها لا حقيقة لها حتى يحتاج أن ينفي الكيف فإذا كانت الصفات غير مرادة وهي منفية إما نفيا جزئيا أو نفيا مطلقا لا يحتاج إلى أن يقيد ما جاء في الكتاب والسنة بلا كيف لا يحتاج أن يقول: أمروها كما جاءت بلا كيف ولا يحتاج أن يقول الاستواء غير مجهول و الكيف غير معقول لأن مقتضى قوله هذا أن يكون للصفات معان وأنها ثابتة. قال: (**فمن قال أن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول: بلا كيف**) لأنه لا يثبت أصلا استواءه على العرش حتى يحتاج إلى التكييف فنفي التكييف فرع عن إثبات الصفة فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف فرد الشيخ بهذا على المؤولة وعلى المفوضة.

قال: (**و أيضا فقولهم أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه**) وإبقاء دلالتها على ما هي عليه يقتضي ماذا؟ يقتضي إثبات الصفات لأن دلالة الألفاظ تدل على أن لله سبحانه وتعالى صفات ثابتة.

قال: (**فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقول: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد**) وهذا لم ينقل عن أحدهم مع كثرة النقل عنهم في هذا الباب فدل ذلك على أن مراد الألفاظ مقصود وأن اعتقادها هو الذي كان عليه سلف الأمة.

قال: (**أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول**) وهذه أدلة قوية بينة في إبطال ما ادعاه هؤلاء من أن السلف رحمهم الله لم يثبتوا لله الصفات اللائقة به التي جاءت في الكتاب والسنة.

(**وروى الأثرم في " السنة " وأبو عبد الله بن بطة في " الإبانة " وأبو عمرو الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون – وهو أحد " أئمة المدينة الثلاثة " الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب – وقد سئل عما جحدت به**

الجهمية: " أما بعد: فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها في صفة " الرب العظيم " الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته وردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة. وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال " كيف " لمن لم يكن مرة ثم كان. فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو. وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى – يعرفه عارف أو يحد قدره واصف؟ – على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه. الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغرا يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر؛ لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ فكلامه سليم صحيح لا يحيط المرء مهما بلغ بالله علما لا بأسمائه ولا بصفاته ولا بأفعاله جل وعلا. هذا من أعظم الأدلة على أن العقل لا يدرك صفات الله عز وجل ولا يحيط بها إذا كان المخلوق لا يدرك حقيقة بعض المخلوقات على صغرها وإحاطته بها فكيف بالله رب العالمين؟

هذا الكلام مهم جداً وينبغي الاهتمام به وهو أن دراسة الأسماء والصفات والنظر فيها إنما هو ليثمر العبادة فالرسل جاءت معرفة بالله عز وجل تمام التعريف حتى تقوم العبادة حق القيام ولذلك قال في من طلب صفات لم يصف الله سبحانه وتعالى بها نفسه قال: إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته؟ يعني هل بحثك في هذا يزيدك طاعة له أو تزجر به عن شيء من معصيته؟ وهذا يفيد أن معرفة الأسماء والصفات إنما هي لأجل تحقيق كمال العبودية لله سبحانه وتعالى.

(اعرف – رحمك الله – غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف؟ هل تستدل بذلك على

---

(١) سورة: الشورى : آية (١١)

شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته؟ فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا فقد ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[1] فصار يستدل – بزعمه – على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا) هذه من اللوازم التي يقولها المتكلمون إذا أثبتنا أنه سميع أو أنه بصير أو أثبتنا الصفات فهذا يقتضي الحدوث ويقتضي أن تحله الحوادث وما حلته الحوادث فهو حادث وما إلى ذلك من اللوازم الباطلة والخيالات الفاسدة.

البين هو ما أثبته الله لنفسه في كتابه والخفي هو هذه الخيالات والمقدمات الفاسدة التي تنقض من أصلها فعموا عن البين يعني عما ذكره الله في كتابه ذكرا بينا بالخفي الذي استندوا فيه إلى عقولهم الفاسدة. **(فعمى عن البين بالخفي فجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]** جحد أن يرى سبحانه وتعالى جحد أن يراه أهل الإيمان وهذا عليه أكثر أهل الكلام **(فقال: لا يراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[3] قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون. إلى أن قال: – وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحدا. (وقال المسلمون: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب. قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك)**[4]

---

(١) سورة : الأنعام: (٧١)

(٢) سورة: القيامة: (٢٢).

(٣) سورة : القمر : (٥٥).

(٤) متفق عليه : البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٢).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الرابع عشر

www.almosleh.com

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ويزوي بعضها إلى بعض)[1] وقال لثابت بن قيس: لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة)[2] (وقال فيما بلغنا إن الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم فقال له رجل من العرب إن ربنا ليضحك؟ قال: نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيرا)[3]. إلى أشباه هذا مما لا نحصيه. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [5]وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[6] وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [7]وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[8] فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه وما تحيط به قبضته: إلا صغر نظيرها منهم عندهم إن ذلك الذي ألقي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه – لا هذا ولا هذا – لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف).

هذا تكملة ما سبق من كلام ابن الماجشون الإمام ـــ رحمه الله ـــ ومراد الشيخ في نقل هذا الكلام عنه رحمه الله أن السلف يثبتون الصفات لله سبحانه وتعالى سواء كانت صفات ذاتية أو فعلية أو خبرية فقوله: **(لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه)** هذا فيه إثبات صفة خبرية وهي صفة القدم له سبحانه وتعالى. وفي قوله: **(لقد ضحك الله مما فعلت)** هذا فيه إثبات صفة فعلية من صفات الله

---

(١) البخاري (٢٨٤٨) ، ومسلم (٢٨٤٦) .

(٢) البخاري (٣٧٩٨).

(٣) أخرجه : أحمد (١٨١، ١٥٧٥٤، ١٥٧٦٨) وابن ماجة (١٨١) من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين . ووكيع بن حدس متكلم فيه والحديث حسنه الألباني.

(٤) سورة : الشورى : آية (١١) .

(٥) سورة : الطور : آية (٤٨).

(٦) سورة : طه : آية (٣٩) .

(٧) سورة : ص: آية (٧٥).

(٨) سورة : الزمر : آية (٦٧) .

سبحانه وتعالى. وكذلك في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا فيه إثبات الصفات الذاتية له سبحانه وتعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه إثبات الصفة الخبرية، وكذا ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كل هذا فيه إثبات الصفات الخبرية له سبحانه وتعالى.

ثم ذكر ابن الماجشون الإمام رحمه الله: **(فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه في قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم)** : أي مما جعله الله فيهم عندهم فما دلهم على عظم الله سبحانه وتعالى وأنه كبير عظيم جل وعلا إلا صغر ما عندهم ولكن قوله : **(إلا صغير نظيرها)** لا يعني المماثلة التامة إنما المقصود بالنظير هنا أي ما فيه مشاركة ومشابهة من وجه أما المماثلة فلا فيد الله سبحانه وتعالى ليست كيد المخلوقين بل يده سبحانه وتعالى على ما تليق به ويد المخلوقين على ما يليق بهم فلا مماثلة في صفات الله سبحانه وتعالى وإثبات هذه الصفات له لا يقتضي ما يزعمونه من التشبيه ولا يقتضي ما يزعمونه من التمثيل والتبعيض له سبحانه وتعالى فهو كما قال جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]

ثم قال: **(إن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه)** فما سمى به نفسه من الصفات كالسمع والبصر واليد والرجل والقبضة وما إلى ذلك والعين تسمى كما جاءت ولا تؤول ولا تصرف عن ظاهرها ولم نتكلف منه صفة ما سواه يعني لا نطلب أكثر مما جاءت به النصوص لا هذا ولا هذا ولا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف وهذا فيه غاية العدل وتمام الامتثال لما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله نقف حيث وقف ونقول كما قال دون زيادة ولا نقصان.

وليكن على بالنا أن الغرض من سياق هذه النقول هو بيان مذهب السلف وأنهم يثبتون لله عز وجل الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وأما أفراد ما ذكروا من الصفات فسيأتي لبعضها ذكر في ما نستقبل وبعضها يكتفي الشيخ رحمه الله بما نقله عن السلف فيها.

(اعلم – رحمك الله – أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد

---

(١) سورة : الشورى : آية (١١) .

حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة: فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبا؛ ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا. وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك – من ذكر صفة ربك – فلا تكلفن علمه بعقلك ؛ ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكار ما وصف منها؛ فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه: فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها. فقد – والله – عز المسلمون؛ الذين يعرفون المعروف وبهم يعرف؛ وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر؛ يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما بلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن. وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي وما وصف الرب تعالى من نفسه. والراسخون في العلم – الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها – لا ينكرون صفة ما سمي منها جحدا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1] وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين).

هذا الكلام الجليل العظيم الفائدة فيه خير كبير ؛ وفيه قواعد كثيرة ؛ وفيه صد ورد لمذهب الضالين الذين يدعون أن طريقهم يوصل إلى معرفة الله ومعرفة رسوله.

قال رحمه الله: (**اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك**) يعني تقف عند ما وقفت النصوص ؛ لا تزيد على ما جاء في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ في شيء من الأمر لا في باب الغيبيات ولا في غيرها قال: (**ولا تجاوز ما قد حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر**) ثم قال: (**فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه**

(١) سورة : النساء : آية (١١٥) .

عيبا) وهذا مهم وله شأن أن تعرف أن ما جاء في الكتاب والسنة لا يمكن أن يلزم عليه لوازم باطلة فمن ادعى فيما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله لوازم فإنما أوتي من قبل فهمه ورأيه وعقله وأما ما في الكتاب والسنة فلا تلزم عليه اللوازم الباطلة بحال و لذلك قال : **(فلا تخافن في ذكره)** إلى قوله: **(ما وصف من نفسه عيبا)** أي نقصاً كما يقولون : إنه يلزم من إثبات الصفة كذا ويلزم من إثبات كذا كذا و هذا كله خيالات و لا تدل عليه النصوص ولا يلزمها . قال: **(ولا تتكلفن بما وصف لك)** إلى قوله: **(ولا تصفه بلسانك)** وأما منعه أن يتكلف ذلك بالعقل فقد تقدم بيان ذلك وهو أن العقل لا مجال له في أمور الغيبيات و دللنا على ذلك و ذكرناه قال: **(ولا تصفه بلسانك واصمت)**إلى قوله: **(ما وصف منها)** لأن الباب واحد وهو أن الزيادة كالنقص في دين الله فلذلك جعل الزيادة و تكلف ما لم يَثبُت كالنقص مما يثبت قال:**(فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها)** ثم قال :**(فقد – والله – عز المسلمون)**أي ندر وقل قال: **(الذين يعرفون المعروف)** إلى قوله :**(من ذكر هذا و تسميته)** يعني إثباته و ذكره لله عز وجل قال:**(قلب مسلم)** المراد أنه لا يلحق المؤمن بإثباته النصوص شيء من المرض و لا شي من الجفوة و لا شيء من القسوة بل إثباتها يؤول بالمرء إلى تمام المعرفة بالله عز وجل.

قال : **(وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام " فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية – موافقاً لغيره من الأئمة – وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية – أنه يلزم أن يكون جسماً أو عرضاً فيكون محدثاً. وفي كتاب " الفقه الأكبر " المشهور عند أصحاب أبي حنيفة؛ الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع " الحكم بن عبد الله البلخي " قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال: لا تكفرن أحداً بذنب ولا تنف أحداً به من الإيمان؛ وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توالي أحداً دون أحد؛ وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله عز وجل. قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم؛ ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطيع: " الحكم بن عبد الله " قلت: أخبرني عن أفضل الفقه. قال: تعلم الرجل الإيمان**

والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة. وذكر مسائل " الإيمان " ثم ذكر مسائل " القدر " والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه. ثم قال: قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال لا. قلت: ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة؟ قال هو كذلك؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام. قال: وذكر الكلام في قتل الخوارج والبغاة. إلى أن قال: قال أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض: فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[1] وعرشه فوق سبع سماوات. قلت: فإن قال : إنه على العرش استوى ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال : هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل – وفي لفظ – سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. قال قد كفر. قال لأن الله يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وعرشه فوق سبع سماوات قال فإنه يقول على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر. ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه: أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء؛ أو ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال: وعرشه فوق سبع سماوات).

وهذا كله في إثبات أن الأئمة رحمهم الله كانوا على طريقة واحدة في إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء و الصفات ، و كتاب الفقه الأكبر جزم الشيخ رحمه الله بنسبته إلى أبي حنيفة رحمه الله و في نسبته نظر عند بعض أهل العلم فقد تكلم في نسبته إلى أبي حنيفة الذهبي و غيره وعلى كل حال هو منقول عن أبي حنيفة و إن كان لم يكتبه إنما هو من أمالي أبي حنيفة لتلاميذه و قد نقله عنه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي و نقله عنه أيضا حماد بن أبي حنيفة فيكون جاء من طريقين . وهو من حيث ما فيه غالبه من كلام أبي حنيفة إلا أن فيه مسائل ليست من كلامه بل هي من زيادات إما من

(١) سورة : طه : آية (٥) .

زيادات الرواة أو من زيادات غيرهم لأنه تكلم في مسائل لم يكن الخلاف قد وقع فيها في عصره رحمه الله.

(وبين بهذا أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش. ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال : إنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلى عليين؛ وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء؛ واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل).

احتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين هذه الحجة الأولى وأما الحجة الثانية أنه يدعى من أعلى لا من أسفل و كل من هاتين الحجتين فطرية عقلية أما الأولى : فهي فطرية لا إشكال لأن القلوب تجد ميلا إلى العلو عند سؤال الله عز وجل وطلبه والثانية عقلية : لأنه لو كان الله سبحانه و تعالى ليس في العلو لما توجه الداعي إلى جهة العلو فهي فطرية عقلية .

(فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل وقد جاء اللفظ الآخر صريحا عنه بذلك. فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر. وروى هذا اللفظ بإسناد عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في " كتاب الفاروق " وروى أيضا ابن أبي حاتم: أن هشام بن عبيد الله الرازي – صاحب محمد بن الحسن – قاضي الري حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال: الحمد الله على التوبة؛ فامتحنه هشام؛ فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه؛ ولا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب. وروي أيضا عن يحيى بن معاذ الرازي " أنه قال: إن الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا؛ لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان. وروي أيضا عن ابن المديني لما سئل ما قول أهل الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السماوات على العرش استوى؛ فسئل عن قوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)

فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1] هذا رد لـــدعوى هؤلاء بأن الله سبحانه وتعالى في كل مكان و أنه ليس على العرش فرد عليهم بالآية نفسها حيث أن الآية صدرت بقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ ثم ذكر ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ أي بعلمه جل و علا و إلا فهو كما أخبر عن نفسه مستوي على عرشه بائن من خلقه.

(وروي أيضا عن أبي عيسى الترمذي قال: هو على العرش كما وصف في كتابه؛ وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان. وروي عن أبي زرعة الرازي أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] **فقال: تفسيره كما يقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان؛ ومن قال غـــير هذا فعليه لعنة الله)** كل هذه النقول كما ذكرنا لتأكيد هذه القضية و هي من أوضح ما يكـــون و لذلك فأقوى الكتب في الرد على أهل البدع هذا الكتاب لما فيه من النقول الكثيرة الوفيرة الدالة على أن أهل السنة و الجماعة يثبتون الأسماء و الصفات لله عز وجل كما جاء في الكتاب و السنة من غير تحريف ولا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل و فيه أيضاً شدة كلام السلف رحمهم الله في هؤلاء الذين ينكرون علو الله سبحانه وتعالى وأن إنكار العلو كفر و قوله رحمه الله : **(كفر)** يبين عظم هذه البدعة و أنها من البدع الكبيرة التي تتضمن تكذيب ما في الكتاب و ما في السنة غفر الله لهم و رحمهم وصلى الله على نبينا محمد.

---

(١) سورة : المجادلة : آية (٧) .

(٢) سورة: طه : آية (٥).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الخامس عشر

www.almosleh.com

(وروى أبو القاسم اللالكائي " الحافظ. الطبري؛ صاحب أبي حامد الإسفرائيني في كتابه المشهور في " أصول السنة " بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال: اتفق الفقهاء كلهم – من المشرق إلى المغرب – على الإيمان بالقرآن والأحاديث؛ التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل: من غير تفسير؛ ولا وصف ولا تشبيه؛ فمن فسر اليوم شيئا منها فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا؛ فمن قال: بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء. محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء. وقد حكى هذا الإجماع وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما. وقوله من غير تفسير: أراد به تفسير " الجهمية المعطلة " الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات).

هذا الكلام من الإمام محمد بن الحسن رحمه الله وهو أحد صاحبي أبي حنيفة اللذين تلقيا كلاماً بيناً واضحاً في أن السلف رحمهم الله جروا في باب الأسماء و الصفات على الإثبات لما جاء في الكتاب و السنة دون تعرض لتأويل هذه الصفات و تحريف لها عن معناها الظاهر و أما قوله : **(فإنهم لم يصفوا و لم يفسروا)** فقد فسره الشيخ رحمه الله في كلامه فالتفسير المنفي عن السلف هو التفسير الذي سلكه الجهمية و المعطلة من التأويل و التحريف للكلم عن مواضعه بصرفه عن ظاهره المتبادر إلى معان مرجوحة و لذلك قوله: **(لم يصفوا و لم يفسروا)** أي لم يؤولوا التأويل الباطل الذي سلكه المتكلمون المفارقون لطريق أهل السنة والجماعة.

(وروى البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: هذه الأحاديث التي يقول فيها (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره)[1] (وإن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه)[2] (والكرسي موضع القدمين)[3] وهذه الأحاديث في " الرؤية " هي عندنا حق حملها

---

(١) أخرجه : أحمد (١٨١، ١٥٧٥٤، ١٥٧٦٨) وابن ماجة (١٨١) من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين . ووكيع بن حدس متكلم فيه والحديث حسنه الألباني.

(٢) متفق عليه : البخاري (٦٦٦١) ، ومسلم (٢٨٤٨) .

(٣) أخرجه : الدراقطني في " الصفات " (٣٦ ، ٣٧) من حديث ابن عباس .

الثقات بعضهم عن بعض؛ غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها) التفسير المنفي هو تفسير الكيفية و إلا فالمعاني ظاهرة وهذه النصوص وأشباهها هي التي تمسك بها المفوضة فيما ذهبوا إليه من عدم إثبات المعاني لهذه الكلمات أو لهذه الأسماء والصفات التي جاءت في الكتاب والسنة ولا شك كما تقدم بيانه خطأ طريقهم أن هذا الطريق ليس هو طريق السلف بل طريق السلف هو الإثبات والتفسير المنفي في هذه النقول هو تفسير المبتدعة أو تفسير الكيفية.

(وأبو عبيد أحد الأئمة الأربعة: الذين هم الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد؛ وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل: ما هو أشهر من أن يوصف) في عصرهم **(وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء وقد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسرها: أي تفسير الجهمية. وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك: أن رجلاً قال له يا أبا عبد الرحمن إني أكره الصفة – عنى صفة الرب – فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهيةً لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا. أراد ابن المبارك: أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار)** هذا الذي يجب أن يحمل عليه كلام ابن المبارك لأن صفة الرب سبحانه و تعالى تعرف الخلق به فهي من أحب الأشياء إليه من أحب الأشياء له سبحانه وتعالى لأنه فيها مدحه وهي من أحب الأشياء لعباده المؤمنين لأن بها يعرفون الله سبحانه وتعالى ولذلك **(قال النبي ﷺ في الرجل الذي كان يكرر سورة الإخلاص في ختام كل قراءة في كل ركعة لما سئل عن ذلك فقال النبي ﷺ: لم يفعل ذلك؟ قال: إنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها. فقال: أخبروه بأن الله يحبه)**[1] فدل ذلك على أن محبة الصفات هي الواجبة لأنها تعرف بالله عز وجل ويجب حمل كلام ابن المبارك على ما ذكر أو على ما ذكر الشيخ رحمه الله لأن كراهية صفة الرب سبحانه وتعالى كراهية له فلا يستقيم الكلام إلا بالمعنى الذي ذكره الشيخ ـــ رحمه الله ـــ وهو أن الذي كرهه ابن المبارك رحمه الله هو أن يبتدع الإنسان أو يبتدع المرء في صفات الله عز وجل ما لم يذكره جل وعلا في كتابه ولا في سنة رسوله.

(وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال:

---

(١) البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣)

بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض – وهكذا قال الإمام أحمد وغيره. وروي بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية. فقال: إنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء شيء. وروى ابن أبي حاتم في كتاب " الرد على الجهمية " عن سعيد بن عامر الضبعي – إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد – أنه ذكر عنده الجهمية فقال: أشر قولاً من اليهود والنصارى وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وهم قالوا: ليس على شيء) لأن اليهود والنصارى في إثبات النقص الذي أثبتوه لله عز وجل أي أثبتوه في أسماء الله وصفاته إنما هو لكونهم شبهوه بالموجودات فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[1] وقالوا مما نسبوه إليه ووصفوه به ما هو في نهاية الأمر أنه تشبيه له بالمخلوقات الموجودات وأما قول الجهمية فهو إما أن يكون تشبيهاً له بالمعدومات أو بالممتنعات فالذين وصفوا الله من الجهمية بالسلب فقط شبهوه بالمعدومات والذين نفوا عنه السلب والإيجاب فقالوا لا نقول موجود ولا نقول لا موجود فهؤلاء شبهوه بالممتنعات وما من شك بأن الذين شبهوه بالموجودات أكمل تنزيها من الذين شبههوه بالمعدومات أو بالممتنعات فليتنبه إلى هذا.

(وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة من لم يقل: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب و إلا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح. وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام – الواسطي إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد – قال: كلمت بشرا المريسي وأصحاب بشر؛ فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء. وعن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا. وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في " كتاب الرد على الجهمية " عن عبد الرحمن بن مهدي قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا إن الله لم يكلم موسى ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء وإن الله ليس

---

(١) سورة : المائدة: آية (٦٤) .

على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا و إلا قتلوا) هي التي جعلت بعض أهل العلم يذهب إلى إخراج الجهمية من الثنتين والسبعين فرقة الذين ذكرهم النبي ﷺ أو الثلاث والسبعين فرقة الذين ذكرهم النبي ﷺ في حديث الافتراق[1] وجعلوا الجهمية لشناعة قولهم وتكذيبهم بما جاءت النصوص متوافرة في الدلالة عليه جعلوهم خارجين عن الثلاث والسبعين فرقة لكونهم كذبوا ما جاء في الكتاب والسنة تكذيباً واضحاً وصريحاً.

(وعن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين فقال رجل عندها: الله على عرشه. فقالت: محدود على محدود فقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة. وعن عاصم بن علي بن عاصم – شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما – قال: ناظرت جهمياً؛ فتبين من كلامه أن لا يؤمن أن في السماء ربا. وروى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني قال: أخبرنا سريج بن النعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان؛ لا يخلو من علمه مكان. وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه الله في السماء وجمع عليه قلوب عباده. وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات)[2] وهذا مثل قول الشافعي) سبحانه وتعالى على السماء الشافعي قال: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه في السماء أي على السماء وكذا في قول أنس بن مالك رضي الله عنه في الحديث الذي ساقه عن زينب كانت تفتخر على أزواج ﷺ تقول: **((زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات))**

(وقصة أبي يوسف – صاحب أبي حنيفة – مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره. وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين " الإمام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في " أصول السنة " قال فيه:

---

(١)وهذا ثابت عن عدة من الصحابة منهم أبوهريرة عند الترمذي (٢٦٤٠) أن رسول الله قال : (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) قال الترمذي: حسن صحيح ووافقه الألباني وفي الباب عن سعد ، وعبدالله بن عمرو ، وعوف بن مالك عند ابن ماجة (٣٩٩٢) .

(٢) البخاري (٧٤٢٠)

(باب الإيمان بالعرش قال: " ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾[1] فسبحان من بعد وقرب بعلمه فسمع النجوى. وذكر حديث (أبي رزين العقيلي؛ قلت يا رسول الله : أين ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء)[2] قال محمد: العماء السحاب الكثيف المطبق – فيما ذكره الخليل – وذكر آثارا أخر)

باب الإيمان بالعرش هذا من كلام الشيخ رحمه الله و محمد بن عبد الله من أئمة المالكية وفيه إثبات العرش لله عز وجل وتقدم بيان معنى العرش وأنه في اللغة سرير المُلك وأن الله جل وعلا خلق العرش واستوى عليه سبحانه وتعالى بعد أن خلق السماوات والأرض، والعرش هو من أعظم مخلوقات الله جل وعلا وهو من أولها خلقا واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه واستواؤه سبحانه وتعالى حق على حقيقته كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه ولا نحرف ذلك ولا نؤوله ومن أثبت هذه الصفة من الأشاعرة ومثبتة الصفات يقولون : إنه استوى على عرشه ويؤولونه بالاستيلاء ولا يثبتون الاستواء الذي أثبته أهل السنة والجماعة على المعاني التي سبق ذكرها وهي المعاني الأربعة وهي العلو والاستقرار والارتفاع والصعود ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[3] وقوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ **(فسبحان من بعد و قرب بعلمه فسمع النجوى)** وهذا جمع بين النصوص وأن قربه سبحانه وتعالى من خلقه ليس منافياً لعلوه لأن كثيراً ممن يتكلمون في نفي العلو يقولون أن النصوص قد دلت على أنه قريب وقربه ينافي علوه وهذا إنما دخل عليهم فيه وأتوا من قبل عقولهم الفاسدة و إلا فإن الشيء يكون عال ويكون قريباً والقرب الذي أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في سنته هو قرب خاص فقد قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله

---

(١) سورة : الحديد : آية (٤)

(٢) أخرجه : أحمد (١٥٧٥٥) ، والترمذي (٣١٠٩) ، وابن ماجة (١٨٢) من طريق حماد بن سلمة عن يغلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين ، وفيه وكيع بن حدس مختلف فيه ، قال الترمذي: حديث حسن ووافقه الألباني.

(٣) سورة: طه : آية (٥)

فهو ليس قرباً عاماً من جميع المخلوقات أو من جميع الخلق بل قربٌ خاص في أحوال خاصة فهو سبحانه وتعالى قريب من الداعي إذا دعاه وقريب من أهل الموقف في يوم عرفة وما أشبه ذلك من النصوص التي تقيد قربه أما معيته فهو جل وعلا كما أخبر عن نفسه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[1] فهو جل وعلا مع كل أحد بعلمه لا تخفى عليه خافية.

ثم قال: (**وذكر حديث أبي رزين العقيلي قال: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض. قال: في عماء**)[2] وفسر الشيخ رحمه الله العماء بأنه السحاب الكثيف ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء. قال محمد:العماء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل والهواء هنا المقصود به الفراغ كقوله جل وعلا﴿**وأفئدتهم هواء**﴾[3] أي خالية فارغة.

(١) سورة : المجادلة : آية (٧)

(٢) أخرجه : أحمد (١٥٧٥٥) ، والترمذي (٣١٠٩) ، وابن ماجة (١٨٢) من طريق حماد بن سلمة عن يغلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين ، وفيه وكيع بن حدس مختلف فيه ، قال الترمذي: حديث حسن ووافقه الألباني.

(٣) سورة : إبراهيم : (٤٣)

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السادس عشر

www.almosleh.com

(ثم قال: – باب الإيمان بالكرسي قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة وفيه : (فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر؛ ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها)[1] **وذكر ما ذكره: يحيى بن سالم " صاحب التفسير المشهور ": حدثني العلاء بن هلال عن عمار الدهني؛ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين؛ ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه))**[2]**. وذكر من حديث أسد بن موسى؛ ثنا حماد بن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال: ((ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه))**[3]**)**

الكرسي اختلف فيه أهل العلم على قولين: القول المشهور هو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه أنه موضع القدمين. والأثر الذي جاء عن ابن عباس في هذا أثر ضعيف ولذلك قال بعض أهل العلم : إن الكرسي خلق عظيم من مخلوقات الله جل و علا الله أعلم به وهو كما وصف الله سبحانه في كتابه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[4] ولكن هل هو موضع القدمين أم لا؟ ! هذا جاء في أثر عن ابن عباس وهذا الأثر فيه نظر. قال الشيخ رحمه الله : **(ثم قال في باب الإيمان بالحجب قال: ومن قول أهل السنة إن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾**[5] **وذكر آثارا في الحجب.**

الحجاب المذكور هو ما ورد في الحديث من أن حجابه النور جل وعلا لو كشفه لأحرقت سبحات

---

(١) أخرجه : الشافعي في مسنده (١/٧٠ – ٧١) ، وابن أبي شيبة في " المصنف " (٢/٥٨) ، والطبراني في " الأوسط " (٢١٠٥).

(٢) فيه العلاء بن هلال هو ابن عمر الرقي ، أبو محمد ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ، عنده عن ابن زريع وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد ، ويغير الأسماء.

(٣) وهذا سند صحيح رجاله ثقات.

(٤) سورة: البقرة : آية (٢٥٥).

(٥) سورة: الكهف : آية (٥).

وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. فهو جل وعلا احتجب بهذا الحجاب العظيم الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عنه ولما سئل : هل رأيت ربك؟ ! قال :(نور أنى أراه؟ !!)[1]

قال: (**ثم قال في باب الإيمان بالنزول قال: ومن قول أهل السنة أن الله يترل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً وذكر الحديث من طريق مالك وغيره. إلى أن قال: وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد. قال: ومن أدركت من المشايخ مالك وسفيان و فضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع: كانوا يقولون: إن النزول حق قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول قال: نعم أومن به ولا أحد فيه حداً وسألت عنه ابن معين فقال: نعم أقر به ولا أحد فيه حداً**) ما ذكره أهل السنة هو ألا يكيفوه بكيفية معينة وإلا فهم يعلمون معنى النزول الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه و لكن حد ذلك وحقيقته لا يعلمها إلا الله. والنزول صفة من الصفات الفعلية وهي لا تستلزم اللوازم الباطلة التي يذكرها المتكلمون بل يثبتها أهل السنة والجماعة على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى.

(**قال محمد: وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش في السماء دون الأرض وهو أيضاً بين في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله صلى الله عليه**) فالنزول يقتضي أنه في العلو ولذلك كان من أدلة علو الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه وتعالى على عرشه.

(**قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[2] ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿أم أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[5] وقال تعالى: ﴿يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾[6] وقال: ﴿بلْ رَفَعَهُ اللَّهُ**

---

(١) مسلم (١٧٨) .

(٢) سورة: السجدة : آية (٥).

(٣) سورة : الملك : آية (١٦) .

(٤) سورة : الملك : آية (١٧) .

(٥) سورة : الأنعام : آية (١٨) .

(٦) سورة : النساء : آية (١٥٨) .

﴿إِلَيْهِ﴾[1] كل هذا دال على علو الله سبحانه وتعالى وقد تقدم ذكر أدلة العلو وأن العلو دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل فاجتمعت في إثباته جميع الدلائل. والشيخ رحمه الله إنما ذكر بعض الآيات الدالة على علوه سبحانه وتعالى و إلا فالآيات كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رحمه الله أنها أكثر من أن تحصى.

قال : **(وذكر من طريق مالك: قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: أين الله؟ قالت في السماء. قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله. قال: فأعتقها)**[2] **قال: والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض لا إله إلا هو العلي العظيم. وقال قبل ذلك في " الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه " قال: واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً)**

وهذا من كمال علمهم بالله عز وجل أنهم يسكتون عما سكت وأن العلم فيما لم يذكره الله سبحانه و تعالى عن نفسه أو لم يذكره عنه رسوله هو السكوت والجهل و هو تمام الانقياد والعبودية لله عز وجل لأنهم يعلمون أنه جل وعلا لا يحيطون به علما ومن تمام كماله أن عجزت العقول عن إدراك حقيقة ما أخبر فضلا عن أن تدرك كل أسمائه وصفاته جل وعلا.

قال: **(يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما والعجز عن ما لم يدع إليه إيمانا وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه. وقد قال – وهو أصدق القائلين – ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾**[4] صفة الوجه من الصفات الخبرية و المؤولة يؤولون هذه الصفة يقولون : إن الوجه يراد به الذات فأطلق الوجه وأراد به الذات فيكون الكلام " كل شيء هالك إلا ذاته" وهذا وإن كان صحيحاً أن الوجه يطلق ويراد به الذات و لكن هذا لا ينفي أن تكون الآية دالة على إثبات صفة

(١) سورة: النساء : آية (١٥٨) .
(٢) مسلم (٥٣٧) .
(٣) سورة: القصص : آية (٨٨).
(٤) سورة : الأنعام : آية (١٩).

الوجه لله عز وجل لأنه لا تضاف هذه الصفة إلا لمن كان له وجه. أما من لم يكن له وجه فلا تضاف إليه.

وبعضهم قال: كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا جهته يعني كل شيء فان وذاهب إلا ما قصد به الله جل وعلا. هذا من تأويلاتهم وهو معنى صحيح لكن هذا أيضاً لا ينفي ما فروا منه أي . من إثبات هذه الصفة.

(وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[1] يؤخذ من قوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ إثبات النفس لله سبحانه وتعالى وقد جاء ذلك في بعض كلام أهل العلم. وبعضهم يقول: إن (نفسه) في هذا الموضوع وأمثاله إنما يراد بها الذات يعني (يحذركم الله ذاته).

قال : (وقال تعالى ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[2] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[3] وقوله : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فيه إثبات التسوية له سبحانه وتعالى وقد جاءت الآيات مبينة أنه سبحانه وتعالى سواه بيده. و فيه إثبات النفخ له سبحانه وتعالى. وأما قوله (من روحي) ف (من) هنا ليست للتبعيض بل هي (من) البيانية. والإضافة ليست إضافة صفة بل إضافة تشريف وإضافة خلق. يعني من الأرواح التي خلقها.

قال : (وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4] اليدان يؤولها المؤولة بأنها النعمة ويجاب عليهم بأن التثنية تنفي هذا المعنى هذا وجه.

والوجه الآخر أن اليد لا تضاف إلا لمن كان متصفا بها. فهذان وجهان في بيان دلالة هذه الآية على إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى وهي صفة خبرية.

قال: وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[5] وقال سبحانه :﴿إِنَّنِي

(١) سورة: آل عمران : آية : (٢٨) .
(٢) سورة: الطور : آية (٤٨) .
(٣) سورة: ص: آية (٧٢).
(٤) سورة: المائدة : آية (٦٤).
(٥) سورة: الزمر : آية (٦٧) .

﴿مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[1] هذه ثلاث صفات له سبحانه وتعالى المعية والسمع و الرؤية.

قال : (وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[2] دل على أن الله تعالى يتكلم وأكد هذا الفعل بالمصدر لتأكيد معناه. وقد أول أهل التعطيل هذه الآية فقالوا : فيها نوعين من التأويل. قالوا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ فجعلوا المكلم هو موسى والمكلم هو الله جل وعلا حتى ينفوا عنه سبحانه صفة الكلام ، وأولها آخرون فقالوا : المعنى أنه جرحه بأظافير الحكمة تجريحا. فأولوا ﴿وَكَلَّمَ﴾ وهذا من التأويل المذموم لأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه وحملوا اللفظ على معنى مرجوح يحتمله النص لغير قرينة فالأصل أن يحمل الكلام على التكليم وهم حملوه على الجرح.

قال : (وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] وقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[4] وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[5] ومثل هذا في القرآن كثير) قوله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ هذه الآية فيها إثبات الإحاطة المكانية والإحاطة الزمانية له جل وعلا فهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء وبهذا يصدق قوله جل وعلا: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[6] زماناً ومكاناً. (ومثل هذا في القرآن كثير) أي الآيات التي فيها إثبات الصفات له سبحانه وتعالى.

قال : (فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالي فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قيوم حي لا تأخذه سنة ولا نوم. وذكر: " أحاديث الصفات " ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير

---

(١) سورة: طه : آية (٤٦).
(٢) سورة: النساء : آية (١٦٤).
(٣) سورة: النور: آية (٣٥).
(٤) سورة: آل عمران : آية (١).
(٥) سورة : الحديد : آية (٣).
(٦) سورة : فصلت: آية (٥٤)

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان ا هـ. وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره. وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم. مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في " الغنية عن الكلام وأهله " قال: " فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف) هذان فريقان أو هذان أصول الفرق الضالة في باب الأسماء والصفات: المعطلة والممثلة ، المعطلة نفوا ما أثبته الله لنفسه فعطلوه جل وعلا عن صفاته والممثلة غلوا في الإثبات فمثلوه سبحانه بخلقه وكذبوا بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقالوا : سمعه كسمعنا ، وبصره كبصرنا وما إلى ذلك مما قالوه مما يتعالى الله جل وعلا عنه.

والقصد هو ما سلكه أهل السنة والجماعة الذين قصدوا إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهذا يبين لك وسطية أهل السنة والجماعة في باب الأسماء و الصفات بين الممثلة والمعطلة.

قال : **(وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه. والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات)** هذه قاعدة كلية في باب الأسماء والصفات أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فمن قال لك: كيف صفته؟ قل كيف ذاته؟.

قال : **(ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف)** هذا كلام جيد في تفصيل هذه القاعدة و في التدليل لها أي (أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات). يقول: **(فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية)** فالخلق كلهم إلا من شذ يثبتون رباً يعبد يقصدونه فيما يحتاجون ،يثبتون له الملك والرزق والخلق

(١) سورة : الشورى : (١١) .

والتدبير ولكنهم لا يكيفون هذا الوجود. فما منهم أحد قال : كيف وجوده ؟ فكذلك أسماؤه وصفاته وهي فرع عن ذاته عز وجل فكما أنه لا يسأل : كيف وجوده ؟ فكذلك لا يسأل : كيف أسماؤه وصفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

قال: **(فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه؛ ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم؛ ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها؛ ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء؛ وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات " هذا كله كلام الخطابي).**

كثير من القواعد التي يذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في باب الأسماء والصفات وفي غيره إنما يحكي فيها قول من سلف وهذا يفيد طالب العلم في محاجة المبتدعين لأن بعض المبتدعة ينكر هذه القواعد فإذا قيل له :إن فلاناً من العلماء الذين يجلهم ويعرف مكانتهم هو الذي قالها كان ذلك داعياً إلى قبوله وإلى نزوعه عن الضلال الذي هو فيه. فمعرفة أصول الأقوال والقواعد مهم في مناظرة ومناقشة أهل البدع. لأنك لو قلت لهم : قال شيخ الإسلام قد يردونه. يردون هذا القول ويقولون : شيخ الإسلام ابتدع و أتى بكلام من عنده كما يقوله بعض المبتدعة لكن إذا بين أن ما جاء به الشيخ رحمه الله من القواعد إنما أخذه من كلام المتقدمين كان ذلك أدعى إلى القبول وأقوى في الحجة.

قال: **(وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك. وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوا منه من العلماء من لا يحصى عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي والإمام يحيى بن عمار السجزي وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي صاحب " منازل السائرين "و" ذم الكلام "وهو أشهر من أن يوصف وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب وغيرهم).**

أهم ما في هذه النقول معرفة أن مذهب السلف و مذهب أهل السنة واحد في هذا الأمر لا خلاف فيه بل هم متفقون وإن تنوعت عباراتهم إلا أن مدلولاتها متفقة في أنهم يثبتون الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (**وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب " الحلية " في عقيدة لـه قـال في أولها: " طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها؛ ويثبتونها من غير تكييـف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه: لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهـو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه**) دون أرضه وخلقه أي إنه جل وعلا بائن من خلقـه كما جاءت العبارات السابقة في تقرير هذا.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السابع عشر

www.almosleh.com

(وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب " الحلية " في عقيدة له قال في أولها: " طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها؛ ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه: لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه . وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه " محجة الواثقين ومدرجة الوامقين " تأليفه: " وأجمعوا أن الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان؛ خلافا لما نزل في كتابه: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السموات والأرض وهو قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وكرسيه جسم والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة؛ وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه؛ كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وأنه – تعالى وتقدس – يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفا صفا؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وزاد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ويعذب من يشاءكما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

هذا ما سبق تقريره من كلام السلف رحمهم الله في إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه و أنه سبحانه وتعالى مستو على عرشه وفيه إبطال قول من أول الاستواء بالاستيلاء حيث قال (لا مستول عليه كما تقول الجهمية : إنه بكل مكان) وذكرنا لكم كما تقدم أن السلف يذكرون الجهمية ويريدون بهم المعطلة في الجملة يعني كل من أول في الصفات. أنه بكل مكان خلافاً لما نزل في كتابه ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[1] أي على السماء ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[2] و غيرها من الآيات الدالة على علوه سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه.

(له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السماوات والأرض) وذكرنا فيما سبق أن الكرسي

(١) سورة : الملك: آية (١٦).

(٢) سورة : فاطر: آية (١٠).

هو موضع القدمين في قول وهذا مبني على أثر ابن عباس وفي ثبوته نظر. والقول الثاني انه خلق عظيم وهو الذي أشار إليه بقوله **:(وكرسيه جسم)** و لم يذكر ما ورد عن ابن عباس بأنه موضع القدمين.

وفيه إثبات الصفات الفعلية له سبحانه وتعالى وذلك في قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1] فيه إثبات المجيء له سبحانه وتعالى. وأيضا المغفرة وهي صفة فعلية له سبحانه وتعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

قال : **(وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني – شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده – قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة؛ وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها: " وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل)** و هذه المعاني هي التي تقدم ذكرها بلا كيف أي من غير تكييف ولا تشبيه أي التمثيل الذي ذكرناه سابقا و ذكره الشيخ رحمه الله في أول هذه الرسالة. و التعبير بالتمثيل أدق من التعبير بالتشبيه. أولا لأنه هو الذي ورد به الكتاب لقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3] ولأن التشبيه هو الاشتراك ولو بأقل معنى وهذا موجود بين صفة الخالق وصفة المخلوق. لكن للخالق ما يليق به وللمخلوق ما يليق به من الصفات. لكن المنفي هو المماثلة لا التشبيه.

وقوله : **(ولا تأويل)** هذا يشمل التحريف و التعطيل لأن المحرف معطل والمعطل محرف وكلاهما لم يصل إلى ما وصل إليه من تحريف وتعطيل إلا بالتأويل.

قال:**(والاستواء معقول و الكيف فيه مجهول)** يعني علم حقيقته فعلم الحقيقة هذا لا سبيل إليه وكما تقدم أن الكلام في كيفية الصفات كالكلام في كيفية الذات.

قال **(وأنه عز وجل مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق منه بائنون؛ بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق. وإن الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء: ((فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر**

---

(١) سورة : الفجر: آية (٢٢).

(٢) سورة : آل عمران: آية (١٢٩).

(٣) سورة : الشورى: آية (١١).

فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر))[1] ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل. فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا " ا هـ. وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في " كتاب السنة " ثنا أبو بكر الأثرم ثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيى قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث – قال أبو بكر هو صاحب الفضيل – قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. هو سبحانه وتعالى أعلم بنفسه و بغيره فهو عالم جل وعلا بأوصافه وأسمائه وما يجب له على التمام والكمال فلا يجوز اجتياز ما أخبر أو تعدي ما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه إلى غيره.

قال: **(وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع؛ كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يباهي وكما يشاء أن يضحك وكما يشاء أن يطلع. فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ . فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء. ونقل هذا عن الفضيل جماعة)** يعني أنه من لوازم النزول عندهم أنه يزول عن مكانه وهذه لوازم باطلة و الواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه دون النظر إلى هذه الإلزامات التي هي خيالات لم يدل عليها الكتاب ولا السنة. والله جل وعلا ليس كمثله شيء وهو جل وعلا قد تنزه عن النقص واتصف بالكمال على أتمه وغايته فلا يلحقه نقص بإثبات شيء مما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال :**(ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في " أفعال العباد ". ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه " الفاروق)** هو أبو إسماعيل الهروي **(فقال: ثنا يحيى بن عمار ثنا أبي ثنا يوسف بن يعقوب ثنا حرمي بن علي البخاري وهانئ بن النضر عن الفضيل. وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه " التعرف بأحوال العباد والمتعبدين " قال: (باب ما يجيء به الشيطان للتائبين وذكر أنه يوقعهم في القنوط ثم في الغرور وطول الأمل ثم في التوحيد. فقال: " من أعظم ما يوسوس في " التوحيد " بالتشكيك أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالجحد لها والتعطيل. فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: – واعلم رحمك الله أن كل ما توهمه قلبك أو سنح في مجاري فكرك أو خطر في معارضات**

(١) مسلم : (٧٥٨).

قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء أو إشراق أو جمال أو شبح مائل أو شخص متمثل: فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر ألا تسمع لقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقوله: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل أولم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته؟ وشامخ سلطانه؟ فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك: كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك. فرد بما بين الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ) فإذا لم يفلح في ما آتاك به من شبهة التمثيل أتاك من شبهة التعطيل. **(فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب – تعالى وتقدس – في كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال لك: إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى. واعلم – رحمك الله تعالى – أن الله تعالى واحد لا كالآحاد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد – إلى أن قال – خلصت له الأسماء السنية فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق)** لا كما يقول المعتزلة أسماء لا معاني لها. **(لم يستحدث تعالى صفة كان منها خلياً واسماً كان منه بريا تبارك وتعالى؛ فكان هادياً سيهدي و خالقاً سيخلق ورازقاً سيرزق وغافراً سيغفر وفاعلاً سيفعل ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله)** هذا يبين لك معنى قوله لم يستحدث سبحانه وتعالى صفة كان منها خليا. يعني كانت ممتنعة عليه وهذا معنى كلامه و إلا فالاستواء حادث بعد أن لم يكن. لكن لم يكن ممتنعا عليه إنما اتصف به لما كان الكمال مقتضيا اتصافه بهذه الصفة فليقيد كلامه هنا في قوله **(لم يستحدث سبحانه صفة كان منها خليا)** أي كانت ممتنعة عليه. ولذلك قال: و **(لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفته أنه سيكون ذلك الفعل)** بمعنى أنه جل وعلا قادر عليه.

قال **(كذلك قال الله تعالى:﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ بمعنى أنه سيجيء؛ فلم يستحدث الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء فهو جاء سيجيء ويكون المجيء منه موجودا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه لأن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود فلا تذهب في أحد الجانبين؛ لا معطلا ولا مشبها وارض لله بما رضي به لنفسه وقف عند خبره لنفسه مسلما مستسلما مصدقا؛ بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير)** – التنفير هي طريقة الممثلة لأنها تنفر العبد عن أن يعبد الله جل وعلا. إذا كان الخالق كالمخلوق فما الذي جعله

يستحق العبادة. **(ولا مناسبة التنقير)** والظاهر أنه يشير إلى طريقة المعطلة الذين ينقرون ويدققون و يتمحلون في أسماء الله وصفاته ليصرفوها عن ظاهرها الذي دلت عليه النصوص و الألفاظ. وهذا الكلام من أحسن الكلام لا سيما النقل الأول الذي فيه مداخل الشيطان على الخلق في باب الأسماء والصفات أنه أولا يأتيهم بالتمثيل ثم يأتيهم بعد ذلك بالتعطيل فكلامه جيد رحمه الله وغفر له.

(إلى أن قال: " فهو تبارك وتعالى القائل: أنا الله لا الشجرة الجائي قبل أن يكون جائيا؛ لا أمره المتجلي لأوليائه في المعاد؛ فتبيض به وجوههم وتفلج به على الجاحدين حجتهم المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان – تبارك وتعالى – الذي كلم موسى تكليما. وأراه من آياته فسمع موسى كلام الله؟ لأنه قربه نجيا. تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوبا) المخلوق لا بد أن يكون مر بوبا فكل مخلوق مر بوب ولا بدله من خالق يحدثه.

قال: **(الوارث بخلقه لخلقه السميع لأصواتهم الناظر بعينه إلى أجسامهم يداه مبسوطتان وهما غير نعمته خلق آدم ونفخ فيه من روحه – وهو أمره – تعالى وتقدس أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به تعالى عن ذلك علوا كبيرا الشائي له المشيئة العالم له العلم)** فيه رد على هؤلاء الذين يثبتون الأسماء دون معانيها يقولون عالم بلا علم ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر. فهذا من أجود الكلام في الرد عليهم رحمه الله و غفر له.

قال: **(الباسط يديه بالرحمة النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا ليتقرب إليه خلقه بالعبادة وليرغبوا إليه بالوسيلة القريب في قربه من حبل الوريد البعيد في علوه من كل مكان بعيد ولا يشبه بالناس. إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1]. القائل: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[2] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾[3] تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوا كبيرا " ا هـ. وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى " فهم القرآن " قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال: لا يحل لأحد أن يعتقد)** النصوص جاءت على

(١) سورة : فاطر: (١٠).
(٢) سورة : الملك (١٦).
(٣) سورة :الملك: (١٧).

قسمين أخبار وأحكام. الأخبار هي ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه أو عن ما وقع في سالف الزمان أو عن ما سيقع فيما يستقبل من الزمان و هذه الأخبار لا يجوز فيها النسخ لأن مقتضى النسخ التكذيب لها. فلا يجوز فيها النسخ إنما النسخ يكون في الأحكام. فالله يحدث من أمره ما يشاء في الحكام أما في الأخبار فقد تمت جل وعلا كلمته صدقا في الأخبار و عدلا في الأحكام.

قال: (**قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء. إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات ولا قدرة له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك. فإذا عرفت ذلك واستيقنته: علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾[1] الآيات وقال: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[2] وقال: قد تأول قوم: أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق وقال: إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[3] وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[4] ولم يقل بفرعون. قال: وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى﴾[5] كذلك قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[6] فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علما بشيء لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه – نجده ضرورة – قال: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[7] قال: وإنما قوله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[8] إنما يريد حتى**

---

(١) سورة : يونس: آية (٩٠).

(٢) سورة : محمد: آية (٣١).

(٣) سورة : هود: آية (٩٨).

(٤) سورة : غافر: آية (٤٥).

(٥) سورة : النازعات: آية (٢٥).

(٦) سورة : العنكبوت: آية (٣) .

(٧) سورة : الملك: آية (١٤) .

(٨)سورة : محمد: آية: (٣١).

نراه فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكون؛ ويعلمه موجودا كان قد كان؛ فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا وإن لم يكن وهذا محال) العلم الموجود في هذه الآية ليس هو العلم الأزلي السابق فالله جل وعلا عالم بكل شيء قبل حدوثه وإنما هذا العلم الذي يكون عند حدوث الفعل فالعلم صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى أزلاً وأبداً فهو جل وعلا بكل شيء عليم لكنه سبحانه وتعالى يعلم علماً خاصاً عند حدوث الحدث و الواقعة وهذا لا ينفي أنه الله سبحانه وتعالى عالم بالشيء قبل حدوثه.

وقال بعض أهل العلم : إن العلم في هذه الآية هو علم الظهور الذي تظهر به مراتب الناس وتحصل به المجازاة. في قوله : ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[1].

(١) سورة : محمد:آية (٣١).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثامن عشر

www.almosleh.com

قال: **(وكذلك قوله: إنا معكُم مستمِعونَ [1] ليس معناه أن يحدث له سمعاً ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قوم من " أهل السنة " أن الله استماعاً في ذاته فذهبوا إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقل فهم عما أدركته أذنه من الصوت. وكذلك قوله: وقُل اعملُوا فَسيرى الله عملكُم ورسولُه [2] لا يتحدث بصراً محدثاً في ذاته وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً كما لم يزل يعلمه قبل كونه. إلى أن قال: " وكذلك قوله تعالى وهو القَاهِر فَوق عِبادِهِ [3] وقوله: الرحمن على العرش استوى [4] وقوله: أأمِنتم من فِي السماءِ [5] وقوله: إِليهِ يصعد الْكَلِم الطيب والْعملُ الصالِح يرفَعه [6] وقال: يدبر الأمر مِن السماءِ إِلى الأرض ثُم يعرج إِليهِ [7] وقال: تعرج الْملائِكَةُ والروح إِليهِ [8] وقال لعيسى: إِني متوفيك ورافِعك إِلي ومطهرك مِن الذِين كَفَروا [9] وقال: بلْ رفَعه الله إِليهِ [10] وقال: إِن الذِين عِند ربك لا يستكْبِرونَ عن عِبادتِهِ وذكر الآلهة: أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا حيث هو فقال: قُلْ لو كانَ معه آلِهةٌ كما يقُولُونَ إِذاً لابتغوا إِلى ذِي الْعرش سبِيلاً [11] أي طلبه وقال: سبح اسم ربك الأعلى [12] قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك لهذا أبدا. كذلك قوله: وهو الذِي فِي السماءِ إِله وفِي الأرض إِله [13] وقوله: ونحن أقْرب إِليهِ مِن حبل**

---

(١) سورة : الشعراء: آية (١٥).
(٢) سورة : التوبة: آية (١٠٥).
(٣) سورة : الأنعام: آية (١٨).
(٤) سورة : طه: آية (٥).
(٥) سورة : الملك: آية (١٦).
(٦) سورة : فاطر: آية (١٠).
(٧) سورة : السجدة: آية(٥).
(٨) سورة : المعارج: آية (٤).
(٩) سورة : آل عمران: آية (٥٥).
(١٠) سورة : النساء: آية (١٥٨).
(١١) سورة : الإسراء:آية (٤٢).
(١٢) سورة : الأعلى : آية(١).
(١٣)سورة: الزخرف: آية (٨٤).

الْوَرِيدِ (١) وقوله: **وهو الله فِي السماواتِ وفِي الأَرضِ يعلَم سِركُم وجهركُم** (٢) وقوله: **ما يكُونُ مِن نجوى ثَلاثَةٍ إلا هو رابِعهم** (٣) **الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك.**

هذا النقل عن الحارث المحاسبي صلة ما تقدم من النقل السابق الذي بدأه رحمه الله بقوله: **(وأن النسخ لا يجوز في الأخبار)** وسبب سياق هذه القاعدة أن بعض المشبهين يتمسكون ببعض النصوص التي يضربون بعضها ببعض ويحتجون ا على إبطال ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات. فذكر رحمه الله : **إنا معكُم مستمِعونَ** (٤) وقوله : **وقُلِ اعملُوا فَسيرى الله عملَكُم** (٥) ثم ذكر آيات العلو الثابت التي يثبت ا علو الله سبحانه وتعالى وما قد يشكل عليها من الآيات التي فيها أن الله سبحانه و تعالى كقوله **وهو الَّذِي فِي السماءِ إلَه وفِي الأَرضِ إلَه** (٦) **ونحن أَقْرب إِلَيهِ مِن حبلِ الْوَرِيدِ** (٧) التي يستدل ا من يستدل على أنه سبحانه وتعالى في كل مكان.

قال إن هذه الآيات ليست بناسخة للآيات التي فيها إثبات العلو أو فيها إثبات أنه سبحانه وتعالى بصير وأنه سميع. فإذا كانت ليست بناسخة فيجب أن تفهم على الوجه الذي وردت به. فصفة السمع والبصر صفات ذاتية له سبحانه وتعالى فهو ما زال سميعاً بصيراً أزلاً وأبداً. فهو سبحانه و تعالى السميع البصير في الأزل والأبد وهو لا ينفك عن هذه الصفة.

وما أخبر به من استماعه سبحانه وتعالى لحديث معين كقوله **إنا معكُم مستمِعونَ** وكقوله جل و علا في سورة ا ادلة **قَد سمِع الله قَولَ الَّتِي تجادِلُك** (٨) فهذه كما تقدم بيانه أن السمع حادث عند حدوث المسموع. فالسمع صفة ذاتية باعتبار الأصل وأما باعتبار أفراد المسموعات وأفراد المبصرات فإن السمع صفة فعلية و قررنا مثل هذا أيضاً في الإرادة ونحوها من الصفات الذاتية ولا تنافي بين هذا

---

(١) سورة : ق: آية (١٦).
(٢)سورة : الأنعام: آية (٣).
(٣)سورة : ا ادلة: آية (٧).
(٤) سورة : الشعراء: آية (١٥).
(٥)سورة : التوبة: آية (١٠٥).
(٦)سورة: الزخرف: آية (٨٤).
(٧)سورة: ق: آية (١٦).
(٨) سورة: ا ادلة: آية (١).

وبين ما أثبته الله لنفسه مطلقاً يعني من دون تقييد كقوله : **وهو السميع البصير** [1] فلا تنافي بين التقييد في قوله: **إنا معكم مستمعون** وفي قوله: **قد سمع الله قولَ التي تجادلك** وفي قوله : **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم** [2] و في قوله أيضاً: **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** [3] و ما إلى ذلك من الآيات فلا تعارض وأما الآيات التي ذكرها بخصوص العلو فالآيات الدالة على علوه كثيرة وقد تقدم ذكر أدلة العلو وأن العلو دل عليه الكتاب والسنة و الإجماع والعقل والفطرة وأما الآيات التي شغبوا ا على هذه الصفات كقوله **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** [4] فلا تعارض فهو جل وعلا إله من في السماوات وإله من في الأرض و قوله في هنا ليست مكانية يعني لا تدل على أن الله سبحانه وتعالى حال في الأرض تعالى الله جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً فأنت تقول: زيد أمير البصرة وأمير الكوفة وهو في إحدها. ولا يفهم من قولك: إنه أمير للبصرة والكوفة إنه حال في البصرة وحال في الكوفة وهذا أسلوب عربي لا إشكال فيه ولا يبطل ما ثبت في النصوص من أن الله سبحانه وتعالى عال على عرشه بائن من خلقه. كذا **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** [5] هذه الآيات تقدم لنا في شرح الواسطية أن أهل التفسير اختلفوا في مرجع الضمير هنا هل هو عائد إلى الله جل وعلا أم إلى ملائكته وذكرنا أن الراجح عوده إلى الملائكة وأن قوله : **ونحن** هنا للتعظيم وهو قرب العبيد كقوله سبحانه وتعالى في الآيات التي أخبر فيها سبحانه وتعالى بإرجاع الضمير إليه والفاعل فيها غيره سبحانه وتعالى و أيضاً: يدل على هذا التوجيه أن القرب هنا مقيد فالآية التي سبقتها قال الله تعالى فيها: **ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذْ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** [6] أي و العامل في الظرف إذ هو في الجملة **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** فإذا كان كذلك فإن هذا القرب قرب خاص وهو قرب الملائكة الذين أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أ م يكتبون على العبد ويحصون عليه أعماله.

---

(١)سورة : الشورى: آية (١١).
(٢)سورة : التوبة: آية (١٠٥).
(٣) سورة: محمد: آية (٣١).
(٤) سورة: الزخرف: آية (٨٤).
(٥) سورة: ق: آية (١٦).
(٦) سورة: ق: آية (١٦-١٧).

والقرب المذكور في كتابه سبحانه و تعالى و في سنة رسوله ليس كالمعية فالمعية معية عامة كما جاء ذلك في قوله تعالى: **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم** [1] وأما القرب فهو قرب خاص وهو قرب في أحوال محددة وفي أوصاف محددة فمن الأحوال التي يكون فيها جل وعلا قريباً لعبيده كقربه سبحانه وتعالى من أهل الموقف يوم عرفة وأما قرب الأوصاف كقربه من الداعي في قوله تعالى: **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** [2] فهو قريب من الداعي وكقربه أيضا من الساجد كقوله صلى الله عليه وسلم: **((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))**[3] وكقربه أيضاً من المستغفر **فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب** [4] فهذه الآيات كلها وهذه النصوص كلها تدل على أن القرب الذي أثبته لنفسه قرب خاص وليس قرباً عاماً. وهذه الآية فيها أنه قرب عام وهذا ليس له سبحانه وتعالى وإنما لجنده من الملائكة الذين يحصون ويكتبون ما يحصل ويكون من الخلق فلا تعارض هذه الآية دلالة النصوص الأخرى الدالة على علوه جل وعلا وكذلك قوله: **وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم** [5] على القول بوصل القراءة وان الوقف فيها في آخرها ليس في قوله: **وهو الله في السماوات** لأن بعض القراء يقف على قوله: **وهو الله في السماوات** ثم يقول **وفي الأرض يعلم سركم وجهركم** وبعضهم يقول : الوقفين على قوله : **وجهركم** وعلى كلا القراءتين لا إشكال. أما على الأول فلا إشكال وأما على الثاني فأيضاً لا إشكال فهو قد بين معنى كونه جل وعلا في الأرض وأنه مع الخلق في الأرض بعلمه جل وعلا وأما هو سبحانه وتعالى فهو العالي على خلقه البائن منهم. وكذا في قوله: **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** [6] هذه آية المعية وهي معية العلم كما فسرها بذلك سلف الأمة.

قال: **(واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء أو ينتقل**

---

(١) سورة: المجادلة : آية (٧).
(٢) سورة: البقرة : آية (١٨٦).
(٣) مسلم : (٤٨٢).
(٤) سورة: المائدة : آية (٦١).
(٥) سورة: الأنعام : (٣).
(٦) سورة: المجادلة : آية (٧).

فيها لانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك) هذا مقتضى كونه جل وعلا في كل مكان أن يكون متبعضاً وأن ينتقل فيها بانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فناءها. هذا من لوازم القول بأنه سبحانه وتعالى في كل مكان تعالى الله عن ما يقولون علواً كبيراً ولذلك أشتد نكير أئمة السلف على من قال: إن الله جل وعلا في كل مكان وجعلوه من الأقوال الكفرية البينة لتكذيبه ما في القرآن وما في السنة ولما يلزم عليه من اللوازم الباطلة .

قال: **(وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال؛ فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش؛ لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل من يثبت شيئا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنا ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا: لا كالشيء في الشيء).** يقولون: إن الله في كل مكان ثم يقولون : هو في كل مكان لا كالشيء في الشيء حتى يتخلصوا من أن تحله الحوادث أو أن يحل الحوادث. ولذلك لما تناقضوا في قولهم كان تناقضهم دليلاً على فساد قولهم.

قال: **(قال: " أبو عبد الله لنا قوله: حتى نعلم وقوله: فَسيرى الله وقوله: إنا معكُم مستمِعونَ فإنما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا ويسمعه مسموعا ويبصره مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر)** هذا معناه لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

ثم قال: **(وأما قوله: وإذا أردنا إذا جاء وقت كون المراد فيه. وإن قوله: على العرش استوى وهو القاهر فوق عباده [1] الآية. أأمنتم من في السماء [2] إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً [3] فهذا وغيره مثل قوله: تعرج الملائكة والروح إليه [4] إليه يصعد الكلم الطيب [5] هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: أأمنتم من في السماء أن**

---

(١)سورة : الأنعام: آية (١٨).
(٢) سورة : الملك : آية (١٦).
(٣)سورة : الإسراء:آية (٤٢).
(٤) سورة : المعارج : آية (٤).
(٥)سورة : فاطر: آية (١٠).

يخسف بكم الأرض [1] يعني فوق العرش والعرش على السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء). يريد أن يبين أن في في قوله : أأمنتم من في السماء بمعنى (على).

قال (وقد قال مثل ذلك في قوله: فسيحوا في الأرض [2] يعني على الأرض؛ لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله: يتيهون في الأرض [3] يعني على الأرض؛ لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله: ولأصلبنكم في جذوع النخل [4] يعني فوقها عليها. وقال: أم أمنتم من في السماء ثم فصل فقال: أن يخسف بكم الأرض ولم يصل فلم يكن لذلك معنى - إذا فصل قوله: من في السماء ثم استأنف التخويف بالخسف - إلا أنه على عرشه فوق السماء) لو كان في الأرض كما هو في السماء يعني على قولهم و أنه في كل مكان لكان مخسوفا به تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. هذا معنى قوله: أأمنتم من في السماء ثم فصل فقال : أن يخسف بكم الأرض فذكر جل وعلا علوه ثم ذكر كيده وهو خسفه سبحانه وتعالى لمن خالف أمره.

قال: وقال تعالى: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه [5] وقال: تعرج الملائكة والروح إليه [6] فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [7] فقال: صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل: أصعد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وإن صعودك إليه في يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه فإ م صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو قال تعالى: بلْ رفَعه اللهإِلَيهِ [8] ولم يقل عنده).

لو كان سبحانه في غير العلو لما احتاجت الملائكة إلى الصعود ولا الأعمال إلى صعود و لا أن يقول جل

---

(١) سورة : الملك : آية (١٦).
(٢) سورة: التوبة : آية (٢).
(٣) سورة: المائدة : آية (٢٦).
(٤) سورة: طه : آية (٧١).
(٥) سورة : السجدة : آية (٥).
(٦) سورة: المعارج : آية (٤).
(٧) سورة: المعارج : آية (٤).
(٨) سورة: النساء : آية (١٥٨).

و علا : **بلْ رفَعه اللهُ إليه** [1] إذا كان في كل مكان.

(وقال فرعون: وقَالَ فِرعونُ يا هامانُ ابنِ لي صرحاً لعلي أبلُغُ الأسباب (٣٦) أسباب السماواتِ فأطلِعَ إلى إلهِ موسى وإني لأظُنه كاذِباً [2] **ثم استأنف الكلام فقال: وإني لأظُنه كاذِباً فيما قال لي إن إلهه فوق السموات. فبين الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال: وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو حشه. فتعالى الله عن ذلك ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح. قال أبو عبد الله: وأما الآي التي يزعمون أنها قد وصلها - ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه - فقال: ألم تر أن الله يعلَم ما في السماواتِ وما في الأرض** [3] **فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناج ثم ختم الآية بالعلم بقوله: إن الله بكُل شيءٍ عليم** [4] هذه الآية فيها أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه بأنه مع كل مناج **ما يكُونُ مِن نجوى ثَلاثَةٍ إلا هو رابِعهم ولا خمسةٍ إلا هو سادِسهم ولا أدنى مِن ذَلِك ولا أكْثَر إلا هو معهم أين ما كَانوا** [5] فبدأ هذه الآية التي فيها الأخبار بمعيته سبحانه وتعالى لكل مناج بدأها بالعلم فقال: **ألم تر أن الله يعلَم ما في السماواتِ وما في الأرض** وختمها بقوله: **إن الله بكُل شيءٍ عليم** فدل ذلك على أن المعية المذكورة في هذه الآية هي معية العلم.

قال: **(فبدأ بالعلم وختم بالعلم: فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا؛ لا يخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم. ولو اجتمع القوم في أسفل وناظر إليهم في العلو. فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقاً - ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق)** إذا كان هذا ليس ممتنعاً في حق الخلق فكيف نقول: إنه يمتنع في حق الخالق.

قال: **(فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا: هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة)** الآن يلزمهم على قولهم بأن الآية تدل على أنه في كل مكان. فبعد أن أجاب بالمنع الآن يجيب بالتسليم يقول

(١) سورة: النساء : آية (١٥٨).
(٢) سورة: غافر : آية (٣٦ - ٣٧).
(٣) سورة: المجادلة : آية (٧).
(٤) سورة: المجادلة : آية (٧).
(٥) سورة: المجادلة : آية (٧).

:نسلم أن الآية تدل على ما تقولون ثم يناقشهم فيقول: **(لأن من هو مع الاثنين فأكثر؛ هو معهـم لا فيهم ومن كان مع شيء خلا جسمه وهذا خروج من قولهم)** أن كونه مع الشيء لا يستلزم أن يخالطه وأن يكون ممازجاً له قد يكون مع الشيء وهو بعيد عنه فعلى قولكم بأن الآية تدل على هذا نقول: إن ظاهر التلاوة يدل على أنه سبحانه وتعالى في كل مكان بل هو سبحانه وتعالى مع كل أحد إلا أنه خال عنه بعيد عنه سبحانه وتعالى.

قال: **(وكذلك قوله تعالى: ﴿ونحن أقْرب إِلَيهِ مِن حبل الْورِيدِ﴾[1] لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد)** قرب الشيء من الشيء لا يلـزم حلوله فيه. ففي ظاهر التلاوة على دعواهم يعني على ما أدعوا من أن ظاهر التلاوة يدل على أنه في كل شيء دعواهم أنه ليس في حبل الوريد بل هو قد أخبر سبحانه وتعالى على القول بأن المقصود بالضـمير هو الله جل وعلا أنه أقرب إليه من حبل الوريد لا أنه هو سبحانه وتعالى في حبل الوريد كما يزعمـون لأن من لازم قولهم: إنه في كل شيء أن يكون في حبل الوريد أيضاً.

قال: **(وكذلك قوله: ﴿وهو الَّذِي فِي السماءِ إِلَه﴾[2] لم يقل ﴿فِي السماءِ﴾ ثم قطع كما قال: ﴿أَأَمِنتم من فِي السماءِ﴾[3] ثم قطع فقال: ﴿أَنْ يخسِف بِكُم الْأَرض﴾ فقال: ﴿وهو الَّذِي فِي السماءِ إِلَـه﴾ يعني إله أهل السماء وإله أهل الأرض وذلك موجود في " اللغة " تقول: فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ وأمير في سمرقند؛ وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراؤه فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله فيهما إذ كان مدبراً لهما وهو على عرشه وفوق كل شيء تعالى عن الأشباه والأمثال " ا هـ.)**

تبين بهذا أن الآيات التي شبهوا بها في إنكار ما أثبته الله لنفسه لا تدل على ما ذهبوا إليه من التأويل وإنما هي خيالات تمسكوا لتقريرها بشبه

وقد قال الله عز وجل: ﴿هو الَّذِي أَنزلَ عليك الْكِتاب مِنه آيات محكَمات هن أم الْكِتابِ وأُخـر

(١)سورة: ق: آية (١٦).
(٢)سورة: الزخرف: آية (٨٤).
(٣) سورة : الملك: آية (١٦).

متشابهات [1] فالواجب التمسك بالمحكم وحمل المتشابه عليه لا الإعراض عن المحكم والتمسك بالمتشابه فإن هذا سبيل الذين زاغت قلوبهم **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله﴾** [2].

(١) سورة: آل عمران : آية (٧).
(٢) سورة آل عمران : آية (٧).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس التاسع عشر

www.almosleh.com

(وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه " اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات " قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولاً واحداً وشرعاً ظاهراً وهم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى قال : (عليكم بسنتي)[1] وذكر الحديث وحديث (لعن الله من أحدث حدثاً)[2] قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف – وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من " الأسماء والصفات " كما اختلفوا في الفروع ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا؛ كما نقل سائر الاختلاف – فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم؛ حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين؛ حتى نقلوا ذلك قرنا بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر ولله المنة).

كلام الشيخ رحمه الله في هذا بين واضح أن السلف لم يختلفوا في مسائل الاعتقاد كاختلافهم في مسائل الفروع وهذا لا إشكال فيه فإن أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين التابعين و من بعدهم رضي الله عنهم كانوا على اتفاق في باب الاعتقاد و لم ينقل عنهم خلافه وهذا من حيث الأصل و إلا ففيه بعض المسائل التي لا تعد من الأصول وإنما هي من مسائل العقيدة لكنها ليست من أصول الاعتقاد وقع فيها اختلاف كرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه. فهذا وقع فيه اختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم. فقال بعضهم بأنه رآه وقال بعضهم بأنه لم يره وهذا الخلاف لا يعد شيئاً فإنهم اتفقوا في مسائل الاعتقاد وأصول الدين و لم يقع بينهم خلاف وإنما الخلاف في بعض المسائل الفرعية التي لا يعد الخلاف فيها مؤثراً على اتفاقهم في جملة ما يجب لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات ومن الكمال الواجب له سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله : **(ثم إني قائل وبالله أقول : إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين فخاضوا في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار وصار معولهم على أحكام هوى النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس فتأولوا على ما وافق هواهم**

(١) يأتي تخريجه من حديث العرباض بن سارية.

(٢) البخاري : (١٨٦٧) ومسلم (١٣٧٠).

وصححوا بذلك مذهبهم: احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين؛ خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ومنع المستجيبين له حتى حذرهم) ما ذكره رحمه الله تقدم لنا في بيان مفارقة منهج المتأخرين لمنهج المتقدمين في باب الإيمان و أحكام التوحيد و الدين إلا أنه تأكيد لما تقدم من مخالفة هؤلاء للآثار و لما تقتضيه العقول الصحيحة من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو إثبات ما أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم.

ثم قال: **(ثم ذكر: أبو عبد الله خروج النبي صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون في القدر وغضبه وحديث : (لا ألفين أحدكم)[1] وحديث: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[2] فإن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه؛ ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان؛ المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة. فيتصل ذلك قرنا بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة. إلى أن قال: فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر " أسماء الله عز وجل " في كتابه وما بين صلى الله عليه وسلم من " صفاته " في سنته وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد أمرنا بالاستسلام له – إلى أن قال: ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية والإقرار بالألوهية: أن ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته وأكد عليه السلام بقوله فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله. إلى أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل)**

بعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من النقل الأول انتقل قال إلى أن قال يعني صلة كلامه في أن الله سبحانه وتعالى تعرف لعباده بعد أن أقروا بتوحيد الإلهية وتوحيد الربوبية تعرف إليهم سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته فبينها لهم بين ما يجب له من الأسماء وما يجب له من الصفات لأن به يكتمل تحقيق العبودية له سبحانه وتعالى كما تقدم ذكر ذلك.

ثم قال " **إلى أن قال** " وبدأ بذكر صفة جاءت النصوص بذكرها فقال " **بإثبات نفسه** " أي بإثبات صفة

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٦٠٥) ، والترمذي (٢٦٦٣) ، وابن ماجه (١٣) من طريق عبيد الله بن أبي رافع عن بي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وصححه الألباني .

(٢) الترمذي (٢٦٤١) وغيره ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وحسنه الألباني.

النفس له كما يقول الشيخ وسنذكر الخلاف في هذا.

ثم قال: (**فقال: لموسى عليه السلام:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[1] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[2] وقال عز وجل:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[3] وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك في سنته فقال: (يقول الله عز وجل: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) [4] وقال: (كتب كتابا بيده على نفسه: إن رحمتي غلبت غضبي)[5] وقال: (سبحان الله رضا نفسه)[6] وقال في محاجة آدم لموسى: (أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه)[7] فقد صرح بظاهر قوله: أنه أثبت لنفسه نفساً وأثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبنيا على ظاهر قوله:﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**).

إثبات هذه الصفة التي ذكرها الشيخ رحمه الله واستدل لها بالآيات السابقة يجب أن يكون على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فعلى القول بأن النفس صفة له سبحانه وتعالى صفة لذاته فإنها ليست كنفوس المخلوقين " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " كسائر الصفات) يثبتها من أثبتها من أهل السنة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

إلا أن صفة النفس اختلف أهل العلم من أهل السنة في إثباتها على قولين: –

القول الأول: أن النفس المذكورة في الآيات هي الذات نفسها وليست صفة لها.

قوله سبحانه : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[8] أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما

---

(١) سورة: طه : آية (٤١).

(٢) سورة: المائدة : آية (١١٦).

(٣) سورة: الأنعام : آية (٥٤).

(٤) البخاري (٧٤٠٥) ، مسلم (٢٦٧٥) من طريق الأعمش سمعت أبا صالح عن أبي هريرة وأحمد (٨٤٣٦) من طريق عطاء بن السائب عن سلمان الأغر عن أبي هريرة .

(٥) البخاري (٣١٩٤).

(٦) مسلم (٢٧٢٦).

(٧) البخاري (٤٧٣٨).

(٨)سورة: المائدة : آية (١١٦).

عندك ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي لذاتي لي. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي و يحذركم الله ذاته. وهذا ليس من التأويل حتى يقال : كيف تؤولون؟ ! لكن يقال إن لسان العرب يطلق النفس ويريد به الذات. فيقال : سقط الجدار نفسه ومعلوم أن الجدار ليس له نفس والمقصود ذاته.

فهذا جار على لسان العرب. أن يطلق لفظ النفس ويراد به الذات نفسها يراد به الذات هي وهذا القول مال إليه شيخ الإسلام رحمه الله وقال : إنه قول جماهير أهل العلم. والقول الثاني: أن النفس صفة للذات كالسمع والبصر وغيرها من الصفات.

وهذا القول قال به جمع من أهل السنة من أبرزهم إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله في كتابه "التوحيد " وكذا الشيخ ابن خفيف رحمه الله في كلامه.

فهذان قولان في المسألة والراجح منهما القول الأول وهو قول الجماهير كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.

ثم قال: **(فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به صلى الله عليه وسلم وإن مما قضى الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال:﴿ الله نور السماوات والأرض﴾[1] ثم قال عقيب ذلك:﴿ نور على نور﴾ وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم : (أنت نور السموات والأرض)[2] ثم ذكر حديث أبي موسى: (حجابه النور – أو النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)** [3] **وقال: سبحات وجهه جلاله ونوره نقله عن الخليل وأبي عبيد وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السموات نور وجهه.** النور صفة لله سبحانه وتعالى وهو يذكر في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم على نحوين النور المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان: –

---

(١) سورة: النور : آية (٣٥).

(٢) البخاري (١١٢٥) ومسلم (٧٦٩).

(٣) أخرجه : أحمد (١٩١٣٥) ، مسلم (١٧٩) ، وابن ماجة (١٩٥) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري بلفظ: (حجابه النور) واختلف فيه على أبي معاوية فرواه أبو كريب محمد بن العلاء ، وعلي بن محمد باللفظ المذكور و خالفهما أبو بكر بن أبي شيبة فرواه عن أبي معاوية بلفظ (حجابه النار) وهي زيادة شاذة لمخالفة الثقة لمن هو أوثق منه بل ويؤكد ذلك رواية إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش عند مسلم (١٧٩) باللفظ الأول . أما المراد بالإحراق المذكور في الحديث هو في الدنيا وإلا فليس في الجنة أعظم من النظر إلى وجهه الكريم ــ متعنا الله بالنظر إليه ــ قال ابن حجر : (وقد ظهر من نصوص الكتاب والسنة أن الحالة المشار إليها في هذا الحديث = هي في دار الدنيا المعدة للفناء دون دار الآخرة المعدة للبقاء) أ. هـ

النوع الأول: نور يضاف إليه سبحانه وتعالى وهو صفته .

النوع الثاني: نور يضاف إليه سبحانه وتعالى وهو خلقه .

وهذا معنى قول من فسر قوله جل و علا: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي منور فجعل النور المضاف هنا إضافة خلق لا إضافة صفة. فيضاف النور إلى الله جل وعلا ويراد صفته ويضاف إليه النور و يراد به خلقه و هو صفة له سبحانه و تعالى.

ثم قال: (ومما ورد به النص أنه حي وذكر قوله تعالى:﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] والحديث: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)[2] قال: ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام فأثبت لنفسه وجها – وذكر الآيات. ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم فقال في هذا الحديث من أوصاف الله عز وجل لا ينام موافق لظاهر الكتاب:﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾[3] وأن له " وجهاً " موصوفاً بالأنوار وأن له " بصراً " كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير. ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه وفي إثبات السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك. ثم قال: ثم إن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة وذكر الأحاديث في ذلك ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت. ثم ذكر حديث: (يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله)[4] وهي رواية البخاري وفي رواية أخرى يضع عليها قدمه. ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله وذكر قول مسلم البطين نفسه وقول السدي وقول وهب بن منبه وأبي مالك وبعضهم يقول: موضع قدميه وبعضهم يقول واضع رجليه عليه. ثم قال: " فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولة في الأقوال ومحفوظة في الصدر ولا ينكر خلف عن السلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم إلى أن حدث في آخر الأمة من قل

---

(١) سورة: آل عمران : آية (١).

(٢) أخرجه : الترمذي (٣٥٢٤) وفيه يزيد بن أبان الرقاشي قال أحمد: منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس حديثه بشيء وحسنه الألباني.

(٣) سورة : البقرة: آية (٢٥٥).

(٤) البخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨).

الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالستهم ومكالمتهم وأمرنا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس وكفر المتقدمين وأنكروا على الصحابة والتابعين؛ وردوا على الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل) ما ذكره في الروايات السابقة غالبه في الصفات الخبرية وهي الصفات التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى بها عن نفسه وهي كالوجه والأصابع واليدين والأنامل والقدم أو الرجل وما أشبه ذلك من الصفات التي جاءت الأخبار بها أثبتها أهل السنة والجماعة له سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به وليس في ذلك تنقص لأن ما جاء في الكتاب و السنة أحق أن يتبع ولا يلحقه نقص بوجه من الوجوه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] المهم أن الشيخ رحمه الله أخبر بأن سلف الأمة المتقدمين ومن تبعهم ممن سار على طريقهم من المتأخرين يثبتون هذه الصفات الخبرية ويثبتون أيضا الصفات التي فيها نفي النقص عنه جل وعلا فالصفات جاءت على نحوين: جاءت صفات مثبتة وجاءت صفات منفية.

الصفات المثبتة : جاءت مفصلة وجاءت مجملة لكن الأكثر في صفات الإثبات التفصيل : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[2] كل هذه صفات ثبوتية مفصلة وغيرها كثير في كتاب الله سبحانه وتعالى.

وأما الصفات المنفية : فجاءت مجملة وجاءت مفصلة و الأكثر فيها الإجمال لأن التفصيل في صفات النفي لا يدل على الكمال وإنما أتى النفي إما لبيان كمال الصفة أو لنفي ما نسب إليه من النقص و إلا فالأصل صفات النفي تأتي مجملة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[3] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ ﴿ليس كمثله شيء﴾ ما قوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ فهذا نفي مفصل لإثبات كمال الحياة و القيومية ﴿الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[4] فهنا لبيان كمال الصفة المذكورة وكنفي العجز عنه سبحانه وتعالى لبيان كمال قدرته سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة : الشورى: آية (١١).

(٢) سورة : الحشر: آية (٢٣).

(٣) سورة : الإخلاص: آية (٤).

(٤) سورة : البقرة: آية (٢٥٥).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس العشرون

www.almosleh.com

قال: (ثم ذكر: المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري؛ ثم حديث " الصورة)

حديث الصورة هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)[1] واختلف أهل العلم في مرجع الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم : (صورته) هل هو إلى آدم أم إلى الله جل وعلا ؟ والصحيح أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى[2]. وإثبات الصورة لله سبحانه وتعالى كإثبات سائر الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة يثبت له سبحانه وتعالى ذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. ولا يقتضي إثبات الصورة على ما ادعاه المؤولة من أنه جسم أو ما شابه ذلك من التأويلات التي يقولونها و الذي جعل أهل العلم يختلفون في مرجع الضمير أن هذه الصفة ليست كسائر الصفات التي جاء ذكرها في كتاب الله كالوجه والعين واليد جاء ذكرها في الكتاب والسنة وقبلها أهل العلم و لم يكن عندهم إشكال فيها كسائر الصفات. وصفة الصورة لم يأت لها ذكر في كتاب الله جل و علا وإنما جاء ذكرها في الحديث فاختلفوا في مرجع الضمير والصواب رجوعه إلى الله جل وعلا وأن له صورة جل وعلا هو في صورته و في سائر صفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3] سبحانه و تعالى.

ثم قال: (وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده مما خالفنا فيه أهل الزيغ وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة – إن شاء الله –. ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم " الصديق " وأنه أفضل الأمة. ثم قال: وكان الاختلاف في " خلق الأفعال " هل هي مقدرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر. ثم ذكر الخلاف في أهل " الكبائر " ومسألة " الأسماء والأحكام") الأسماء: مؤمن ، فاسق ، كافر ، والأحكام ما يترتب على هذه الأسماء من الأحكام في الدنيا والآخرة. ومسألة الأسماء والأحكام من مباحث الإيمان.

وقال: (قولنا فيها إنهم مؤمنون على الإطلاق وأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم. وقال: أصل " الإيمان " موهبة يتولد منها أفعال العباد فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال

---

(١) البخاري (٣٣٢٦) ، و مسلم (٢٦١٢) ، وأحمد (٧٢٧٩)

(٢) بل ثبتت زيادة (خلق آدم على صورة الرحمن) عند الطبراني من حديث ابن عمر .

(٣) سورة: الشورى : آية (١١)

وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه. وقال: قولنا إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقاً وغير مخلوق فقولنا وقول أئمتنا إن القرآن كلام الله غير مخلوق وإنه صفة الله منه بدأ قولاً وإليه يعود حكماً. ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى في القيامة وذكر الحجة. ثم قال: اعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود. فنقول: ونعتقد: أن الله عز وجل له عرش وهو على عرشه فوق سبع سمواته بكل أسمائه وصفاته؛ كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] ﴿ يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[2] ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه لأنه عالم بما يجري على عباده ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾إلى أن قال: " ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار وإنهما مخلوقتان للبقاء؛ لا للفناء. إلى أن قال: ونعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى[3]. إلى أن قال: " ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: (هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار)[4] ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم " حوضا[5] " ونعتقد أنه أول

---

(١) سورة: طه (٥)

(٢) سورة: السجدة : آية (٥)

(٣) وهذا ثابت كما عند البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٢)

(٤) وهذا معنى حديث مسح الله لظهر آدم أخرجه : مالك (١٦٦١) عن زيد بن أبي أنيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب به ومن طريق مالك أخرجه : أحمد (٣١٣) ، و الترمذي (٣٠٧٥) ، وأبو داود (٤٧٠٣) وفيه انقطاع بين مسلم الجهني وعمر قال الترمذي : (هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً) وهذا المجهول الذي أشار إليه الترمذي جاء ذكره في رواية أبي داود (٤٧٠٣) قال حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية حدثني عمر بن جعثم القرشي حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عبدالحميد عن مسلم الجهني عن نعيم بن ربيعة عن عمر وهذا سند مسلسل بالعلل : أولها : مخالفة عمر بن جعثم القرشي لا تثبت أمام مالك نجم الأثر خاصة إن كان عمر المذكور لم يوثقه سوى ابن حبان والذهبي . ثانيها: في الطريق بقية بن الوليد المشهور بتدليس التسوية مما يشترط التحديث في كل طبقات السند . ثالثها : جهالة نعيم بن ربيعة فلم يرو إلا عن واحد و لم يرو عنه إلا واحد و لم يوثقه إلا ابن حبان فهو مجهول الحال على قواعد أهل الحديث . ضعفه الألباني.

(٥) وأدلته مشهورة منها ما جاء في مسلم : (٦٥٨٥) وغيره كثير.

شافع وأول مشفع[1] وذكر " الصراط " و " الميزان " و " الموت " وأن المقتول قتل بأجله واستوفى رزقه[2]

خلافاً للمعتزلة في هذه المسألة الذين قالوا : بأن المقتول قطع أجله و إلا فأجله الذي كتبه الله هو وقت موته بدون قتل لكن القاتل قطع أجل المقتول وهذا مبني على قولهم بأن الله لم يخلق أفعال العباد وأن الله جل وعلا لم يعلم ما الخلق عاملون إلا بعد أن يعملوه.

قال: **(إلى أن قال: " ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر؛ فيبسط يده فيقول: ((ألا هل من سائل))[3] الحديث)** هذا فيه إثبات علوه جل وعلا وفيه إثبات نزوله وفيه إثبات صفة اليد وأنه يبسط يده وأنه جل و علا يتكلم. كل هذا في هذا الحديث.

(وليلة النصف من شعبان وعشية عرفة وذكر الحديث في ذلك) هذا بناء على الأحاديث التي وردت وهي أحاديث ضعيفة لا تثبت. ونزوله جل وعلا عشية عرفة فهذا ثابت في صحيح مسلم[4]. **(قال: ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليماً. واتخذ إبراهيم خليلاً وأن الخلة غير الفقر؛ لا كما قال أهل البدع)** يعني أن الخلة التي نثبتها له لا يلزم فيها نقص وحاجة. مقصوده الفقر أي حاجة الخليل إلى خليله فهي صفة له سبحانه وتعالى نثبتها وأنه اتخذ إبراهيم خليلاً دون أن نثبت ما يذكرونه من لوازم أنه لا يلزم على كلام الله عز وجل نقص ولا على كلام نبيه صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[5]

قال : **(ونعتقد أن الله تعالى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية. واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً و نعتقد أن الله تعالى خص محمداً صلى الله عليه و سلم :خص بالرؤية)** هذا يحتمل أن يكون الشيخ يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه التي في رأسه صلى الله عليه وسلم في الدنيا

---

(١) مسلم (٢٢٧٨) وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع).

(٢) أخرجه: ابن ماجة (٢١٤٤) وغيره ، وصححه الألباني . وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، و مسلم (٧٥٨) وغيره.

(٤) مسلم (١٣٤٨).

(٥) سورة : الشورى : آية (١١).

وهذا القول قول مرجوح. فإنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه وإنما الذي رآه عند سدرة المنتهى رأى جبريل كما خلقه الله سبحانه وتعالى على الصفة التي خلقه الله عليها دون أن يتمثل له بهيئة غير الهيئة التي خلقه الله عليها وهذا هو القول الصحيح في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فإنه لم يره بعينه وإنما رآه بفؤاده ورآه في المنام حيث قال صلى الله عليه وسلم: **((رأيت ربي البارحة في أحسن صورة))**[1].

(ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[2] الآية. ونعتقد المسح على الخفين ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم) المسح على الخفين من مسائل الفروع وإنما ذكرها الشيخ رحمه الله وغيره من المصنفين في الاعتقاد مخالفة لما عليه المبتدعة من الروافض الذين لا يرون ذلك فذكرها لأنها من علامات أهل السنة وإلا فهي ليست من مسائل الأصول بل هي من مسائل الفروع.

(ونعتقد الصبر على السلطان من قريش؛ ما كان من جور أو عدل. ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد. والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة. والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب) قوله الصبر على السلطان هذا خلافاً للخوارج و المعتزلة الذين يرون الخروج على السلاطين إذا رأوا منهم الجور والظلم.

(والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب؛ إذا لم يكن عذر أو مانع والتراويح سنة؛ ونشهد أن من ترك الصلاة عمداً فهو كافر والشهادة والبراءة بدعة والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة؛ ولا نترل أحداً جنة ولا ناراً حتى يكون الله يترلهم) ظاهر قوله : **(لا نترل أحداً)** ظاهر كلامه أنه يشمل أهل القبلة وغيرهم. وغير أهل القبلة هم الكفار كاليهود و النصارى وغيرهم. فظاهر قوله **(ولا نترل أحدا جنة ولا نارا أي بعينه)** فلا نجزم أن هذا من أهل الجنة أو أن هذا من أهل النار وفي بعض كلام أهل العلم تقييد ذلك بأهل القبلة كما في السنة للإمام أحمد وغيره من أهل العلم. تقييد ذلك بأهل القبلة أي لا نترل أحداً من أهل القبلة لا جنةً ولا ناراً حتى يكون الله يترله يعني حتى يأتينا النص بأن فلاناً من

---

(١) أخرجه : أحمد (٣٤٧٤) ، والترمذي (٣٢٣٣) من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس به صححه الألباني .

(٢) سورة: لقمان : آية (٣٤).

أهل الجنة وأن فلاناً من أهل النار. و كلام أهل السنة في هذا محتمل. فيحتمل العموم يعني لا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل النار حتى ولو كان من الكفار.

(والمراء والجدال في الدين بدعة). المراء و الجدال بالباطل وإلا ففي مقارعة أهل البدع و الرد عليهم وبيان بطلان أقوالهم هذا ليس من البدع بل هذا قد يكون واجباً وقد قال الله عز وجل في كتابه في أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] فنهى عن الجدال السيئ وأمر بالجدال الذي يكون بالحسن وهذا الذي يوصل إلى الحق ويدفع الباطل.

قال: (**ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم إلى الله ونترحم على عائشة ونترضى عنها؛ والقول في اللفظ والملفوظ؛ وكذلك في الاسم والمسمى بدعة**) هذه الأشياء مسائل أحدثها المتكلمون فيما بعد القرون المفضلة. هل لفظي بالقرآن مخلوق أولا ؟ ! هذه لم تكن في عهد الصحابة ولا في القرون المفضلة من التابعين وتابعيهم وإنما حدثت بعد بدعة الجهمية في إنكار كلام الله سبحانه وتعالى. والأولى الصد عن هذا وعدم الحديث فيه و كذا الاسم والمسمى وهل الاسم عين المسمى أم زائد عليه. كل هذا إنما حدث بعد ما أدخله المتكلمون على أهل الإسلام من بدعة الكلام واتباع الفلاسفة والآراء الباطلة في باب أسماء الله وصفاته.

(والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة. واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملاً من غير استقصاء؛ إذ تقدم القول من مشايخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة إلا أني أحببت أن أذكر " عقود أصحابنا المتصوفة " فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك. إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه " التبصير " كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم؛ وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه؛ فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى؛ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة. ونسب هذه المقالة إلى " الصوفية " قاطبة لم يخص طائفة. فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم؛ وكان من نسب إليه ذلك القول – بعد أن ادعى على الطائفة – ابن أخت عبد الواحد بن زيد؛ والله أعلم بمحله عند المخلصين؛ فكيف بابن أخته. وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولا نسب إلى الجملة) هذه مهمة تفيد طالب العلم في التعامل مع الناس

(١) سورة: العنكبوت: آية :(٤٦).

الطوائف والفرق والقبائل وأهل البلدان أنه إذا أحدث أحد منهم خطئاً فإنه لا ينسب إلى الجملة بل النسبة إلى الجملة من الظلم الذي ينهى عنه.

(كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه؛ وليس فيه حديث يناسب ذلك؛ ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين. واعلم أن لفظ " الصوفية " وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير) يعني لم يفهم مرادهم وينصرف عنهم وعما عندهم من خير ، هذا معنى قوله رجع عنهم وهو خاسئ وحسير. وعلى كل حال الواجب على كل من دخل في هذه العلوم على تنوعها أن يتقن مصطلحات القوم ومراداتهم بألفاظهم وكلماتهم لأن الحكم على أقوالهم فرع عن فهمها وتصورها وإدراكها ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة اصطلاحاتهم ومراداتهم من هذه الألفاظ التي يستعملونها.

(ثم ذكر إطلاقهم لفظ " الرؤية " بالتقييد. فقال: كثيراً ما يقولون رأيت الله يقول. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان؛ ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان ثم قال: " وإنه تعالى يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم) هذا يبين الصوفية الذين يدافع عنهم ويبين طريقهم لا يقولون بنفي الرؤية وأنهم يثبتونها ولا يفهم من قول هذا الذي سئل أنه لم تره الأبصار بتحديد الأعيان ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان أن هذا نفي للرؤية بل هذا مراده في الدنيا ولا شك أن الدنيا لا يمكن أن يرى فيها جل وعلا كما قال لموسى عليه السلام : **(لن تراني)**[1] ولكنه سبحانه وتعالى يرى رؤية قلبية. يرى في قلب العبد وتكون هذه الرؤية. بحسب ما عنده من الإيمان ولهذا كانت أعلى مراتب الدين الإحسان **((وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))**[2] .

(هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا. وإن مما نعتقده أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم وذكر ذلك في حجة الوداع فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح

---

(١) البخاري : كتاب : أحاديث الأنبياء : باب: قول الله تعالى (وواعدنا موسى)

(٢) متفق عليه : البخاري (٥٠) ، ومسلم (٨)

الحق له ما حظر على المؤمنين – إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات – فذلك كفر بالله وقائل ذلك قائل بالإباحة وهم المنسلخون من الديانة. وإن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية " العشق " على الله تعالى وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به. وقال: أدنى ما فيه إنه بدعة وضلالة وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية. وإن مما نعتقده: أن الله لا يحل في المرئيات وأنه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته بائن من خلقه مستو على عرشه وأن القرآن كلامه غير مخلوق – حيث ما تلي ودرس وحفظ – ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خليلاً وحبيباً والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة. إلى أن قال: " والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف؛ فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف قد انتفى عنهما التشبيه فالإيمان به واجب واسم الكيفية عن ذلك ساقط).

هذا كلام جيد وتحقيق هذه المنقولات فيها خير كثير لأن كثيرا من المبتدعين لا يقبلون ما يذكره أئمة أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية و من بعده. يقولون : هذا مذهب محدث ولا يعضده نقل عن السلف ولكن مثل هذه النقول تؤكد لكل من طلب الحق أن طريق السلف هو إثبات الصفات وتنزيه الله سبحانه وتعالى وأنه مخالف لطريق المبتدعين المؤولين الذين يصدق عليهم قوله جل وعلا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1].

(١)سورة: الأنعام: آية (٩١)

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الحادي والعشرون

www.almosleh.com

(ومما نعتقده أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرم الله الغش والظلم وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع؛ إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء إنما حرم الله ورسوله الفساد؛ لا الكسب والتجارات؛ فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة وإن مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة؛ والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام؛ فهو مبتدع ضال إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض. ومما نعتقده أنا إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه؛ جائز أن يؤكل طعامه والمعاملة في تجارته؛ فليس علينا الكشف عما قاله. فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط؛ جاز إلا من داخل الظلمة. ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه؛ فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا فلا يطلق عليه الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبه؛ فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق. وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة).

هذا المقطع فيه بيان ما يعتقد في المكاسب و التجارات وأن الله سبحانه وتعالى أباحها ولا شك في هذا. و الأصل في المعاملات الحل ، دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم و مصادر التحريم في المعاملات ثلاثة: الربا ، والغرر ، و الظلم ويضاف أمر رابع وهو ما أدى إلى هذه الأمور. كل ما أدى على هذه الأمور من المعاملات فإنه يمنع لأنه وسيلة إلى المحرم ووسيلة المحرم محرمة. وإنما ذكر الشيخ رحمه الله هذا ليرد على بعض الصوفية الذين يتورعون عن أكل أموال الناس إذا جاءت من سبيل مشروع أي من سبيل مباح. ويعتذرون في التنزه عن أموال الناس و أنها محرمة أنه امتنع الحلال في هذه الأعصار لكثرة المعاملات المحرمة في زمانه وفي زماننا من باب أولى ولكن هذا الكلام غير صحيح لأن الأصل في أموال الناس الإباحة أي أنها مباحة ويباح التعامل معهم فيها بالتجارات و بغيرها. ولكن إذا علم أن المال الفلاني محرم كأن يكون قد غصبه أو سرقه فهنا لا يجوز التعامل معه لعلمه بتحريم هذا المال وأما من اشتبه ماله فاختلط فيه الحلال والحرام فالأصل إباحة معاملته إلا إذا علم أن المعاملة تقوم على محرم كأن يدفع إليه عوضاً من مال يعلم أنه كسبه من محرم فهنا يمتنع من أخذه على أن بعض أهل العلم كما ذكر الشيخ رحمه الله أجاز معاملاتهم حتى فيما علم أنهم كسبوه من محرم لأن الكسب عليهم وتبعة ذلك وأثم

الكسب المحرم عليهم وأما هذا فقد أخذه من طريق مباح وهي المعاملة والتجارة التي قال الله سبحانه وتعالى فيها :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[1] فلم يشترط للتجارات وسائر المعاوضات إلا أن تكون عن تراض وذكر هذا في هذه الرسالة استطراداً و إلا فليس له صلة بباب الاعتقاد إلا في الرد على من اعتقد تحريم المكاسب فهنا يبين له أنه مخطئ.

قال : **(وإن مما نعتقد أن العبد ما دامت أحكام الدار جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء وكل من ادعى " الأمن " فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك. ونعتقد: أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه ((فيبقى)) على أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الآخرية: فهو كافر لا محالة؛ إلا من اعتراه علة أو رأفة؛ فصار معتوها أو مجنونا أو مبرسماً).**

الشيخ رحمة الله في هذا المقطع يتكلم في الرد على الصوفية الغلاة الذين يقولون : إن الإنسان يبلغ درجة من العبودية يسقط فيها عنه التكليف وهذا كذب وبهتان فالتكليف لا يسقط عن أحد بل قد قال الله جل وعلا لنبيه الذي غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] أي حتى يأتيك الموت فالعبادة لا تنقطع إلا بانقطاع الأجل. أما ما دام العرق ينبض والعين تلحظ والنفس يتردد فإن العبادة لازمة للعبد لا ينفك عنها بحال ومن أدعى أنه يخرج عن العبودية إلى فضاء الحرية يعني إلى عدم العبادة فهو كافر بإجماع أهل العلم وأما قوله **(إلى أحكام الأحدية)** فهذا ما يعتقده بعض الصوفية من اتحاد الله جل وعلا لبعض خلقه فيكون العابد معبودا والمعبود عابدا وهذا كذب وبهتان وضلال مبين.

(وقد اختلط عقله أو لحقه غشية يرتفع عنه بها أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة؛ فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.ومن زعم الإشراف على الخلق: يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله –

---

(١) سورة: النساء:آية (٢٩)

(٢) سورة : الحجر : آية (٩٩) .

بغير الوحي المنزل من قول رسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الملة) ولا شك أنه كفر لأن من ادعى علم مقامات الخلق ومقاديرهم فقد ادعى علم الغيب وقد قال الله جل وعلا : ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾[1] فعلم الغيب لله وحده لا شريك له فيه إلا ما أظهره سبحانه وتعالى وبينه فهذا يرجع فيه إلى بيانه وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فالواجب الوقوف في ذلك على ما أخبر سبحانه وتعالى.

قال: **(ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم – بغير الوحي من قول الله وقول رسوله – فقد باء بغضب من الله. و " الفراسة " حق على أصول ما ذكرناه)** هذا المقطع ذكره الشيخ هنا لأنهم يدعون أنهم يقفون على هذه الأمور كمعرفة مقامات الخلق ومقاديرهم ومنقلبهم ومآلهم بالفراسة والفراسة أمر غير علم الغيب. فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله جل وعلا و أما الفراسة فهي تأمل ونظر وكشف يأتيه الله سبحانه وتعالى بعض خلقه ولكنهم لا يجزمون ولا يدعون علم ما لم يعلمون بل يستأنسون بها ويعرفون بها بعض أحوال الرجال وأحوال الناس فهو معرفة الشيء بمقدماته بخلاف الغيب فانه لا مقدمات له هو علم استأثر الله به ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : **((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا زراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها))**[2] وذكر العكس صلى الله عليه وسلم فعلم الغيب أمره إلى الله لا يعلمه أحد والفراسة هي نظر في أحوال الناس بمقدمات يستأنس بها لكن لا يجزم بها وقد ذكرت في كتاب الله كما في قوله تعالى :﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾[3] قال المفسرون : للمتفرسين أي أهل الفراسة و ذكرت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما رواه الترمذي **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)** [4] وبه تعلم أن الفراسة أمر غير علم الغيب لأنها مستمدة من الهام الله عز وجل وما يقذفه في قلب العبد ولا يجزم بها والحديث هذا اختلف أهل العلم في ثبوته على قولين منهم من ضعفه ومنهم من أثبته

---

(١) سورة : النمل : آية (٦٥) .

(٢) البخاري (٢٨٩٨) ، ومسلم (١١٢) .

(٣) سورة : الحجر : آية (٧٥) .

(٤) أخرجه : الترمذي (٣١٢٧) من طريق محمد بن إسماعيل البخاري عن أحمد بن أبي الطيب عن مصعب بن سلام عن عمرو بن قيس عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري . قال الترمذي: هذا حديث غريب إنام نعرفه من هذا الوجه . وضعفه الألباني ، فيه : عطية العوفي ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهما ، وكذا مصعب بن سلام ضعفه ابن معين وابن المديني .

وقد حسنه الشوكاني لكثرة طرقه ويذكره ابن القيم رحمه الله استدلالاً.

قال: **(وليس ذلك مما رسمناه في شيء ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته – ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية – وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة: فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام وذلك كفر لا محالة).**

و من زعم أن صفاته جل وعلا مشتركة بصفاته أي بصفات البشر فالضمير الأول مرجعه إلى الله والثاني إلى البشر. و يشير بذلك إلى آية العظمة و التوفيق و الهداية و أشار إلى صفاته عز وجل القديمة فهو حلولي يعني ومن قال : إن صفاته تحل فيه فهو حلولي قائل باللاهوت والالتحام وهو قول النصارى الذين يقولون بأن الله يحل ببعض خلقه وذلك كفر لا محالة. نعوذ بالله من ذلك.

قال: **(ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة. ومن قال إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى – النسطورية – في المسيح وذلك كفر بالله العظيم)** النسطورية : فرقة من فرق النصارى عدلت أئمتهم و بدلت في الإنجيل على حسب آرائهم و أهوائهم وهم من جملة النصارى الكفار الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال: **(ومن قال: إن شيئا من صفات الله حال في العبد؛ أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر؛ والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق؛ وأنه كيفما تلي وقرئ وحفظ: فهو صفة الله عز وجل؛ وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق ومن قال بغير ذلك فهو كافر. ونعتقد أن القراءة " الملحنة " بدعة وضلالة. وأن " القصائد " بدعة).**

الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة يجيب عن كثير من بدع الصوفية ومنها ما ذكره هنا القراءة الملحنة وهي التي يعتاضون بها عن كلام الله وعن كلام رسوله وهي أيضاً القراءة التي يتكلف لها التلحين فتكون على إيقاعات معينة و حركات مدروسة ويتفرغون لذلك ويتعلمونه وليس المراد القراءة الملحنة التي ليس فيها تكلف ولا تعلم وقد تكلم على هذه المسألة ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد كلاماً مطولاً وانتهى في نهاية بحثه إلى أن القراءة الملحنة قسمان: –

الأول : ما لم يكن فيه تكلف ولا تعلم وإنما هو موافق للسجية والطبيعة فهذا لا بأس به.

والثاني : ما فيه تكلف وتعلم وتحديد إيقاعات وحركات معينة فهذا ممنوع. وقد تكلم على هذا في المجلد الأول وبحثه فيه مفيد.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثاني والعشرون

www.almosleh.com

(ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة. وأن القصائد بدعة. ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين فذلك جائز وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر واستماع الغناء والربعيات على الله كفر والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين (على أحكام الدين فسق وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب. وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة – الجائي بين أهل الأطباع – على أحكام الذكر إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك؛ وما لا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[1] وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه وما هو موصوف به عز وجل مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف؛ بل ترك ذلك أولى وأحوط والأصل في ذلك أنها بدعة والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء. و الربعيات بدعة وذلك مما أنكره المطلبي ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين ولا لهم قدم عند المخلصين. وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد. قال مثل أيش؟ قال مثل قوله: اصبري يا نفس حتى تسكني دار الجليل فقال: حسن وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال : قلت : ببغداد فقال: كذبوا – والله الذي لا إله غيره – لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك. قال أبو عبد الله: ومما نقول – وهو قول أئمتنا – إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله صلى الله عليه وسلم ((لأن يأخذ أحدكم حبله))[2]. ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس؛ ومن جعل السؤال حرفة – وهو صحيح – فهو مذموم في الحقيقة خارج. ونقول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال

(١) سورة: الزمر: آية (١٨)

(٢) أخرجه : مالك (١٨٨٣) ، وأحمد (٧٢٧٥) ، والبخاري (١٤٧٠) ، و النسائي (٢٥٨٩) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

عليه السلام: ((الغناء ينبت النفاق في القلب))[1] وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة).

تقدم التعليق على هذه الصفحة من كلامه الخفيف رحمه الله وهو في إبطال ما عليه الصوفية من الإقبال والانكباب على القصائد الملحنة وعلى الغناء وجعل ذلك من القربات التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ولا شك أن ما عليه أهل التصوف من التعبد لله سبحانه وتعالى بسماع الغناء والتلحين وما إلى ذلك أنه منكر في الدين وليس مما جاء به المرسلون بل هو مما أحدثه البطالون من أتباع الهوى الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وقد أنكر على هؤلاء أهل العلم قديما وحديثا وبينوا أن الله جل وعلا لم يأمر عباده بأن يتقربوا إليه بالأغاني الملحنة لا بسماعها ولا بالإقبال عليها ولا بغير ذلك مما اخترعه هؤلاء وابتدعوه ويخشى على من اعتقد أن سماع الغناء قربة يخشى عليه أن يكون داخلا في قول الشيخ رحمه الله: **(وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله)** أي قصد استماعه تقربا لله جل وعلى **(على غير تفصيله فهو كافر لا محالة)**، فالواجب على المرء أن يعلم أن الدين ما شرعه الله سبحانه فإن الله سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بما شرع وقد رد على هؤلاء الشيخ ابن القيم رحمه الله في كتابه السماع وابن رجب وغيرهما من أهل العلم ردوا على الصوفية هذه البدعة المحدثة كما أن شيخ الإسلام رحمه الله رد عليهم ردا مفصلا في كتابه الاستقامة.

(والذي نختار: قول أئمتنا: إن ترك المراء في الدين والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ومن زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم واسط يؤدي وأن المرسل إليهم أفضل: فهو كافر بالله ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر) هذا قول بعض الصوفية وهو ضلال وكفر بالله العظيم حيث زعم هؤلاء المبتدعون أن مما بلغهم النبي ﷺ يبلغ درجة من التقوى والإيمان ما يزيد فيه على خير الأنام ما يزيد فيه على النبي ﷺ وهذا كفر بالله جل وعلا وتكذيب للنبي ﷺ الذي أقسم بالله فقال قال مخاطباً خير القرون: **((والله إني لأعلمكم بالله و أتقاكم له))** فالنبي ﷺ أعلم الناس بربه وهو ﷺ أخشاهم له ولا يبلغ أحد من الناس لا من الأولين ولا من الآخرين ما بلغه ﷺ من خوف الله تعالى وخشيته ومراقبته والتعبد له بأنواع القربات والعبادات.

أما قولهم : **(من قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر)** فهذا صحيح لأن الوسائط بين الله جل وعلا وبين خلقه نوعان:

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٩٢٧) وفيه شيخ لم يسم ، ضعفه الألباني.

وسائط يجب إثباتها والإيمان بها: وهم الرسل الذين اصطفاهم الله جل وعلا ليبلغوا رسالاته سبحانه وتعالى ويدلوا الناس عليه يدلوهم على ربهم ويعرفوهم به .

والقسم الثاني: هم الوسائط المزعومة الذين اتخذهم أهل الكفر وأهل الشرك وهم أولئك الذين ذكرهم الله جل وعلا في كتابه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1] فهؤلاء وسائط منكرة أنكرها الله سبحانه وتعالى بل حرّم الجنة على من اتخذوا وسائط يتوصلون بهم إلى الله جل وعلا بزعمهم فقال جل وعلا : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[2] فالواجب على العبد أن يثبت الوسائط الذين أرسلهم الله للدلالة عليه ولهداية الخلق وأن يكفر بالوسائط الذين جعلهم هؤلاء المشركون جعلوهم أندادا من دون الله يتقربون لهم ويذبحون لهم ويصرفون لهم أنواع العبادة.

(ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني قال في كتاب " الغنية ": أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[4] ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان؛ بل يقال : إنه في السماء على العرش كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[5] وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال: وكونه على العرش: مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا)

قوله رحمه الله: **(محتو على الملك)** محيط علمه به قوله محتو على الملك أي محيط به أو أنه سبحانه وتعالى منفرد به لا شريك له فيه وليس معناه أنه قد حل فيه شيء من خلقه أو أن خلقه فيه هذا لا يقوله أحد

---

(١) سورة:الزمر: آية (٣).

(٢) سورة: المائدة: آية (٧٢).

(٣) سورة : فاطر: آية (١٠).

(٤) سورة: السجدة:آية (٥).

(٥) سورة: طـه: آية (٥).

من أهل الإسلام وليس مرادا من كلام الشيخ رحمه الله إنما المراد هنا محتو على الملك إما أن يقال: محتو عليه أي أنه محيط به كقوله ﴿ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾[1] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾[2] أو أنه منفرد به سبحانه وتعالى.

(ولو ذكرت ما قاله العلماء في هذا لطال الكتاب جداً. قال أبو عمر بن عبد البر ": روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد " في أحاديث الصفات " أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت؛ قال أبو عمر: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم فهو علم يدان به؛ وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة. وقال في " شرح الموطأ " لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت النقل صحيح من جهة الإسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق – سوى هذه – من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش استوى من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على " المعتزلة " في قولهم: إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة. قال: والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله – وذكر بعض الآيات – إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم. وقال أبو عمر بن عبد البر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[3] هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله وقال أبو عمر أيضا: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز إلا إنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج: فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله

---

(١) سورة : فصلت: آية (٥٤).

(٢) سورة:النساء: آية (١٢٦).

(٣) سورة : المجادلةآية (٧).

القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة. هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب).

ومن هذا يعلم أن علو الله سبحانه وتعالى واستواءه على عرشه أنزله الله في كل كتاب أنزله على نبي مرسل وبه يتبين صدق ما ذكر من أن علو الله جل وعلا دل عليه إجماع الأمم فإن الأمم أجمعت على علوه سبحانه وتعالى هذا أحد الأدلة التي دلت على علوه وإلا فإن علو الله سبحانه وتعالى دل عليه الكتاب ودلت عليه السنة ودل عليه الإجماع إجماع الأمة كما دل عليه إجماع الأمم ودل عليه أيضا الفطرة ودل عليه العقل.

وأما قول المعتزلة وأهل البدع من أن الله سبحانه وتعالى في مكان بذاته المقدسة فهذا قول باطل فاسد إنما يقوله من لم يقدر الله جل وعلا حق قدره وذلك أن الكتاب والسنة وإجماع السلف والفطرة والعقل كل هذه الأدلة دلت على علوه جل وعلا وأنه بائن من خلقه عال عليهم وأما من قال بأن الله جل وعلا في كل مكان فإنه لم يتره الله جل وعلا التنزيه الواجب إذ إن من لازم قوله بأن يكون الله جل وعلا في أحشائه وأن يكون الله جل وعلا في الحشوش والأماكن المستقذرة وهذا في غاية الفساد والبطلان، كما أنه يلزم عليه أن يزيد بزيادة المكان وأن ينقص بنقصانه وهذه كلها لوازم باطلة تدل على فساد هذا القول وأما إثبات العلو فلا يلزم عليه باطل بوجه من الوجوه فالواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من العلو وأثبته له رسوله وأجمع عليه سلف الأمة ودلت عليه الفطرة ودل عليه العقل الصحيح نسأل الله أن يوفقنا إلى العلم النافع والعمل الصالح.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثالث والعشرون

www.almosleh.com

(وفي عصره الحافظ " أبو بكر البيهقي " مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم قال: في كتابه " الأسماء والصفات ". باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين – لا من حيث الجارحة – لورود خبر الصادق به قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] وقال:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[2] وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة: (يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده)[3] ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: (أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده)[4] وفي لفظ: (وكتب لك التوراة بيده)[5] ومثل ما في صحيح مسلم (أنه سبحانه غرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده)[6] ومثل قوله صلى الله عليه وسلم (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر؛ نزلا لأهل الجنة)[7] وذكر أحاديث مثل قوله: (بيدي الأمر)[8] (والخير في يديك)[9] (والذي نفس محمد بيده)[10] و (أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)[11] وقوله: (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين)[12] وقوله: (يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟

---

(١) سورة: صّ: آية (٧٥) .

(٢) سورة: المائدة: آية (٦٤) .

(٣) متفق عليه : البخاري (٣٣٤٠) مسلم (١٩٤) .

(٤) البخاري (٣٤٠٩) ، ومسلم (٢٦٥٢) .

(٥) مسلم (٢٦٥٢).

(٦) مسلم (١٨٩) .

(٧) البخاري (٦٥٢٠) ، مسلم (٢٧٩٢) .

(٨) البخاري (٤٨٢٦) ، ومسلم (٢٢٤٦) .

(٩) متفق عليه : البخاري (٣٣٤٨) و مسلم (٢٢٢) .

(١٠)ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من موطن .

(١١) مسلم (٢٧٥٩) .

(١٢) مسلم (١٨٢٧) .

أين المتكبرون؟)[1] وقوله: (يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع)[2] وكل هذه الأحاديث في الصحاح. وذكر أيضا قوله: (إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة)[3] وحديث (إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره بيده)[4] إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع. ثم قال " البيهقي ": أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب؛ وكذلك قال في " الاستواء على العرش " وسائر الصفات الخبرية؛ مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين).

في هذا النقل نقل الشيخ رحمه الله عن أبي بكر البيهقي بعد أن فرغ من النقل عن أئمة أهل السنة والجماعة على اختلاف عصورهم أتى بهذا النقل عن البيهقي وهو من الأشاعرة رحمه الله وغفر له و أراد الشيخ بالنقل عنه أن يثبت أن إثبات الصفات يلزم حتى من ذهب إلى التأويل وقال به فإنه مضطر إلى إثبات بعض الصفات ومن ذلك ما نقل الشيخ رحمه الله عن أبي بكر البيهقي في إثبات صفة اليدين وهي من الصفات الخبرية التي وصف الله سبحانه وتعالى بها نفسه وقد أولها كثير من المتكلمين إلا أن الأشاعرة وهم من جملة المتكلمين سلكوا في هذه الصفات طريقين فالمتقدمون منهم أثبت هذه الصفات الخبرية التي جاءت في القران كاليدين والعين والوجه. هذه أثبتوها لله سبحانه وتعالى ووصفوا الله بها ثم هؤلاء المتقدمون انقسموا إلى فريقين منهم من أثبت معناها ومنهم من فوضها وأما الطريق الثاني وهو طريق المتأخرين من الأشاعرة وهو طريق التأويل فأولوا هذه الصفات و لم يثبتوها لله سبحانه وتعالى فأولوا اليدين بالنعمة وأولوا العين بالرعاية والعناية وأولوا الوجه بأنه الذات أو الجهة أو ما أشبه ذلك من

---

(١) مسلم (٢٧٨٨) ، وأبو داود (٤٧٣٢) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبدالله أخبرني عبدالله بن عمر وذكر فيه (ثم يطوى الأرضين بشماله) وخالف عمرَ بن حمزة عبيدُالله بن مقسم عند ابن ماجة (١٩٨) فرواه عن عبدالله بن عمر دون ذكر هذه الزيادة وخالفه أيضاً نافع ..... فلم يذكرها كذلك ، وهذه الزيادة وإن كانت منكرة سنداً لمخالفة هذا الضعيف على أفضل أحواله لهذين الثقتين على جلالتهما ، إلا انها منكرة متناً كذلك فقد ثبت عند مسلم (١٨٢٧) من حديث عبدالله بن عمرو رفعه : (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) وفي حديث أبي هريرة عند مسلم ( ) : (قال آدم أخذت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين) والأدلة كثيرة.

(٢) البخاري (٤٦٤٨) ، مسلم (٩٩٣).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٣٦٨) وصححه الألباني.

(٤) يأتي تخريجه.

التأويلات التي ذكروها في كتبهم.

والبيهقي سار في هذه الصفات على طريقة المتقدمة من الأشاعرة إلا أنه يظهر من آخر النقل عنه أنه فوض معناها حيث قال: **(وأما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب)** فكأنه أثبتها دون التعرض لمعناها لكونه قد نقل عن المتقدمين عدم تفسيرها. والناظر في كلام أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين يعلم أنهم رحمهم الله قد فسروا هذه الآيات وأنهم تكلموا عليها كسائر الآيات التي في كتاب الله سبحانه وتعالى إلا أنهم أعرضوا عن ذكر الكيفية على القاعدة التي سلكوها في هذا الباب من عدم البحث في الكيفية وأن الكيفية لا يمكن الوقوف عليها لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما لا تعلم كيفية ذاته جل وعلا فكذا لا تعلم كيفية صفاته.

قال : **(وقال القاضي أبو يعلى في كتاب " إبطال التأويل " لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق؛ ولا يعتقد التشبيه فيها؛ لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة. وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري والأوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي والأسود بن سالم وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول. إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها؛ ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها؛ فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه؛ لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة)**

هذا نقل آخر عن بعض المتأخرين الذين خالفوا طريقة السلف في إثبات الصفات وهو القاضي أبو يعلى رحمه الله وهو من كبراء الحنابلة إلا أنه في باب الأسماء والصفات لم يسلك مسلك المتقدمين من أهل السنة والجماعة بل كان له أغلاط ناشئة عن جهله بمعاني الآيات والأحاديث وفهم طريقة السلف رحمهم الله وقد نقل عنه الشيخ رحمه الله هذا النقل الذي فيه أنه أثبت الصفات وهو يترع إلى التفويض أكثر منه إلى التأويل فمرة يفوض ومرة يؤول ولكن أكثر كلامه يميل فيه إلى التفويض. وقد يفهم هذا من قوله: **(ولم يتعرضوا لتأويلها)** قد يقول قائل: إن (تأويلها) هنا المراد به تفسيرها ولكن قد يكون هذا المعنى بعيد لقوله :**(ولا صرفوها عن ظاهرها)** أي بمعنى أنهم أجروها على معناها الظاهر حملوها على ظاهرها دون تعرض لتأويلها التأويل الذي سلكه المأولة من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى معنى

يحتمله النص مرجوح. قال : (وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري " المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في " اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين " وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم. ثم قال : مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة. قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالى؛ وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون شيئا من ذلك وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن الله على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3] وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[4] وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ﴾[5] وأن أسماء الله تعالى لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج. وأقروا أن لله علما كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[6] وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[7] وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[8] وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال: ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله

---

(١) سورة: طه : آية (٥).

(٢) سورة : صّ: آية (٧٥).

(٣)سورة : المائدة: آية (٦٤).

(٤) سورة : القمر: آية (١٤).

(٥) سورة : الرحمن:آية (٢٧).

(٦) سورة : النساء : آية (١٦٦).

(٧)سورة : فاطر: آية (١١).

(٨) سورة: فصلت: آية (١٥).

محجوبون قال عز وجل: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[1] وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء. إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار. إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة عندهم. إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[2] وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء؛ كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] إلى أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الآثار؛ والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع؛ وحسن الخلق مع بذل المعروف؛ وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والشكاية وتفقد المآكل والمشارب. قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب؛ وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان) الأشعري رحمه الله وغفر له وهو من أصحاب الطرق الكلامية كان في أول أمره معتزلياً ثم بعد ذلك عدل عن هذه الطريق وانتقل إلى الرد عليهم ثم بعد ذلك سلك طريقة أهل السنة إلا أنه لعدم فهمه ولطول مكثه على طريقة أهل البدع لم يفهم أقوال أهل السنة والجماعة الفهم التام الصحيح فبقيت عنده رواسب كثيرة ناشئة عن عدم معرفته لمراد أهل السنة والجماعة فمثلاً على سبيل التمثيل ما سيذكره بعد قليل من إثباته العرش أو استواءه على العرش فهو يثبت الاستواء كما يثبته أهل السنة والجماعة إلا أنه يفسر الاستواء بغير ما فسره به أهل السنة والجماعة من أنه فعل يقوم بالله جل وعلا فهو فسره بأنه فعل يقوم بالعرش بخلاف طريقة أهل السنة والجماعة المهم أنه رجع في آخر أمره إلى طريقة أهل السنة إلا أنه لم يوفق إلى الطريقة التي كانوا عليها لطول عهده بالبدعة ولعدم فهمه الفهم التام لطريقة أهل السنة والجماعة فكان عنده بعض الرواسب التي خالف فيها سبيل المتقدمين.

---

(١) سورة: المطففين : آية (١٥).

(٢) سورة: الفجر:آية (٢٢) .

(٣) سورة: قّ: آية (١٦).

وما نقله عنه الشيخ في هذا المقطع موافق لأهل السنة والجماعة وفي آخره ذكره رحمه الله **(ويرون مجانبة كل داع إلى البدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه)** يعني والإعراض عن طريق وغيرهم ممن اشتغلوا بكلام الفلاسفة واليونان قال : **(مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الأذى و ترك الغيبة والنميمة والسعاية و تفقد المآكل و المشارب ليبين)** أيضاً أن طريق السلف ليس فقط مقصوراً على التقرير النظري للأسماء والصفات بل يشمل أيضاً التقرير العملي لهذه الأسماء والصفات والتعبد لله عز وجل بمقتضاها قال: **(فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله. . . . . .)**

قال : **(وقال الأشعري أيضاً في " اختلاف أهل القبلة في العرش " فقال: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم؛ ولا يشبه الأشياء وإنه استوى على العرش؛ كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ولا نتقدم بين يدي الله في القول؛ بل نقول استوى بلا كيف وإن له وجها كما قال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأَكْرَامِ﴾ وأن له يدين كما قال ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وأن له عينين كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات أخرى. وقال أيضا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه " الإبانة في أصول الديانة " وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه – فقال: – (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة. فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل؛ والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال؛ وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير**

مفهم. وهذا يبين أنه رجع عن قوله السابق الواضح في كلام المتقدمين إلا أنه كما ذكرنا رحمه الله وغفر له لم يوفق إلى إصابة ما كان عليه الإمام أحمد والسلف إصابةً تامةً .

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الرابع والعشرون

www.almosleh.com

(وجملة قولنا " أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ؛ وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية وأن الله يبعث من في القبور. وأن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأَكْرَامِ﴾[2] وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[4] وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[5] وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً وذكر نحواً مما ذكر في الفرق إلى أن قال: ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل[6] وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[7] إلى أن قال: وإن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله

---

(١) سورة: طه: آية (٥).

(٢) سورة: الرحمن: آية (٢٧).

(٣) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٤) سورة: المائدة: آية (٦٤).

(٥) سورة: القمر: آية (١٤).

(٦) وهذه الصفة ثابتة عن مجموعة من الصحابة منهم: أنس بن مالك ، والنواس بن سمعان ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعبدالله بن عمرو بن العاصي . أما حديث أنس فأخرجه : أحمد (٢١٤٠) ، الترمذي (١١٦٩٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس وفيه أبو سفيان طلحة بن نافع : ليس به بأس كما قال أحمد . وصححه الألباني . وأما حديث النواس بن سمعان فقد أخرجه : أحمد (١٧١٧٨) من طريق الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيدالله عن أبي إدريس الخولاني عن النواس بن سمعان وأما حديث عائشة فرواه أحمد من طريقين أولهما برقم (٢٤٠٨٣) ، والآخر برقم (٢٥٦٠٢) وأما حديث أم سلمة فقد أخرجه : أحمد (٢٦٠٣٦) و (٢٦١٣٩) من طريق شهر بن حوشب عن أم سلمة .وأما حديث عبدالله بن عمرو فأخرجه : مسلم (٢٦٥٤) ، وأحمد (٦٥٣٣) من طريق عبدالله بن يزيد المقرىء عن حيوة عن أبي هانىء عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالل .

(٧) متفق عليه : البخاري (٧٥١٣) ، مسلم (٢٧٨٦) من طريق منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله .

صلى الله عليه وسلم – إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا وأن الرب عز وجل يقول: (هل من سائل؟ هل من مستغفر؟)[1] وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل: ونعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم. ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[2] وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[4] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[5] إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره باباً باباً)

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين أما بعد:

فهذا صلة ما بدأه الشيخ رحمه الله من النقل عن أبي الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة وهو في سياق ذكر الشيخ رحمه الله للنقول عن أهل العلم على اختلاف مذاهبهم وطرائقهم في أن جميعهم يلزمه إثبات ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه من الأسماء والصفات ونقله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله في بيان أن من المتكلمين من التزم منهج أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه مما اعتقدوه وقرروه في باب الأسماء والصفات وأبو الحسن الأشعري رحمه الله كان في أول أمره معتزلياً ثم إنه ترك الاعتزال وتخلى عنه إلى مذهب الكلابية ثم إنه ترك ذلك إلى مذهب السلف فمر رحمه الله وغفر له بثلاثة أطوار إلا أنه لما كان غير ملم مدرك لما ذهب إليه السلف وقع في أخطاء في تفصيل وفهم كلام السلف رحمهم الله وما نقله عنه في كتاب الإبانة وهو من آخر كتبه يبين أنه راجع عما كان يقوله من الاعتزال ومذهب ابن كلاب في باب الأسماء والصفات وأنه نزع إلى مذهب السلف في آخر أمره رحمه الله وغفر له وذكر في جملة ما نقل عنه جملة من الأمور وابتدأها بقوله: **(وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله)** وفي هذا أن الإيمان بالأسماء والصفات وبالأخبار التي ذكرها الله سبحانه وتعالى عن نفسه أو ذكرها عنه رسوله ﷺ أن الإيمان بذلك والاعتقاد به هو من لازم الإيمان بالله جل وعلا

---

(١) مسلم (٧٥٨).

(٢) سورة: الفجر:آية (٢٢).

(٣) سورة: قّ: آية (١٦).

(٤) سورة: النجم: آية (٨).

(٥) سورة: النجم:آية (٩).

وملائكته وكتبه ورسله لأن الله تعالى أخبر عن نفسه ونقلت ذلك الملائكة وما أخبر به عن نفسه موجود في كتبه وقد نطقت به رسله وبلغته الخلق فمن لازم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله أن نؤمن بما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه أو أخبرت به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم وذكر في جملة ما ذكر صفة الاستواء وأن الله مستو على عرشه وهذا أمر دلت عليه نصوص الكتاب والسنة دلالة واضحة والاستواء صفة فعلية ضل فيها من ضل من المتكلمين فذهب فيها مذاهب باطلة ومذهب أهل السنة والجماعة أن الاستواء صفة فعلية من صفات الله سبحانه وتعالى تليق به وتفسيرهم لها دائر على أربع كلمات على الصعود والاستقرار والارتفاع والعلو وأما المؤولة فقد سلكوا في ذلك مسالك فأولوا الاستواء بالاستيلاء وأولوا العرش بتأويلات باطلة كل هذه التأويلات ليصدوا الناس عن اعتقاد استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه والعرش هو خلق من مخلوقات الله العظيم تقدم الكلام عليه ومما ذكر أيضا إثبات صفة الوجه في قوله: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأَكْرَامِ ﴾[1] ووجه الله سبحانه وتعالى صفة له سبحانه وتعالى صفة ذاتية خبرية أثبتها لنفسه فيثبتها أهل السنة والجماعة كما يثبتها بعض المتكلمة **وأن له يدين بلا كيف كما قال:** ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3] **وأن له عينين بلا كيف:** ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[4] **وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً)** وهذه المسألة حدثت بعد القرون المفضلة وأثارها المتكلمة وهي هل أسماء الله ذاته أو أنها غيره ومثل هذا الإطلاق لا يطلق لا إثباتاً ولا نفياً بل يستفصل ويثبت منه المعنى الصحيح ويُنفى منه المعنى الباطل لأن الألفاظ المجملة يسلك فيها هذا المسلك عند أهل السنة والجماعة.

قال: **(ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً فالإسلام يشمل الإيمان وليس كل إسلام إيماناً لأن الإيمان أخص من الإسلام وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعيه)** وهذا فيه إثبات صفة الأصبع له سبحانه وتعالى وهي صفة ذاتية خبرية **(وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ)** إلى أن قال: **وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)** وهذا

---

(١) سورة: الرحمن: آية (٢٧).

(٢) سورة : صّ: آية (٧٥).

(٣) سورة: المائدة: آية (٦٤).

(٤) سورة: القمر : (١٤).

من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم وهي مسألة الإيمان اختلفوا فيها في عدة أمور منها تعريف الإيمان فاختلف أهل السنة مع غيرهم في تعريف الإيمان والصواب أن الإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح واختلفوا أيضا في زيادته ونقصه على أقوال والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة وأن نقصانه بالزلل (**ونسلم بالرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ**) إلى أن قال: (**ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل في النزول إلى السماء الدنيا**) وهذه صفة اختلف فيها أيضا أهل السنة مع غيرهم أو خالف فيها أهل السنة غيرهم فأهل السنة يثبتون النزول صفة فعلية له سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا وأولها المؤولون من المتكلمة فحرفوها وقالوا: إن النزول المضاف إلى الله هو نزول أمره أو نزول قضائه وقدره أو نزول ملائكته وما أشبه ذلك (**وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل هل من مستغفر؟**[1] **وسائر ما نقلوه وأثبتوه أي نصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه**) يعني ما كان في معنى الإجماع مما توافر عليه النقل و لم يذكر فيه مخالف (**ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله مالا نعلم ونقول إن الله يجيء**): وهذا فيه إثبات صفة المجيء وهي صفة فعلية (**يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾**[2] **وأن الله يقرب من عباده كيف شاء**): وهذا فيه إثبات صفة القرب له سبحانه وتعالى واستدل لها بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] وهذه الآية فيها أن القرب صفة عامة كالمعية تكون مع كل إنسان إلا أن في هذا نظراً لأن القرب على الصحيح ليس صفة عامة وليس من كل أحد بل هو قرب خاص فإن الله سبحانه وتعالى قريب من أهل الموقف يوم عرفة وقريب ممن دعاه وقريب من العبد حال سجوده كما قال النبي ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**))[4] فهو قرب خاص وليس قرباً عاماً لكل أحد.

---

(١) مسلم (٧٥٨) .

(٢) سورة: الفجر: آية (٢٢).

(٣) سورة :ق: آية (١٦).

(٤) مسلم (٤٨٢).

وأما قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فقد اختلف أهل العلم في تأويلها على قولين منهم من جعل الضمير عائداً إلى الله جل وعلا ومنهم من جعل الضمير عائداً إلى الملائكة وهذا الثاني هو الصحيح أن الضمير في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ عائد إلى الملائكة لا إلى الله جل وعلا ويدل على هذا ما بعد هذه الآية من الآيات التي تفسر وتبين القرب المذكور في هذه الآيات: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [1] فبين معنى القرب المذكور في هذه الآية وهو قرب الملائكة التي تسجل وتكتب ما يصدر عن العبد من أقوال ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ وهذا لو قلنا بدلالته على قربه سبحانه وتعالى فإنه ليس عاماً بل قرب للنبي ﷺ خاص على أن هذه الآية في تأويلها نزاع فمن أهل العلم من يقول: إن القرب والدنو المذكور في هذه الآية هو قرب النبي من الله جل وعلا ومنهم من يقول: إن الدنو و القرب المذكور في هذه الآية هو قرب جبريل وهذا هو الصحيح أن الذي دنا وتدلى هو جبريل إلى أن قال: (**وسنحتج لما ذكرنا من قولنا وما بقي مما لم نذكره باباً باباً**) هذا أيضاً في إثبات صفة القرب وكذلك الكلام واستدل على أن من وقف في القرآن يعني توقف هل هو من كلام الله أو غير ذلك ؟ وقال : (**لا أقول : إنه مخلوق ولا غير مخلوق وأن هذا ابتداع في الدين**) و عدم سلوك لطريق أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى منه بدأ وإليه يعود.

(١) سورة :قّ: آية (١٦ ــ ١٧)

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الخامس والعشرون

www.almosleh.com

(ثم قال: فصل : وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[1] أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء – وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها – لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها. وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل)

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين. أما بعد

فذكر المؤلف رحمه الله فيما نقله عن أبي الحسن أن المعتزلة والجهمية والحرورية خالفوا فيما تقدم من ذكر الاستواء، والاستواء كما ذكرنا في السابق أنه صفة فعلية أثبتها أهل السنة والجماعة لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة بل إن إثبات استواء الله عز وجل من المتواتر الذي جاءت فيه النصوص واستواء الله عز وجل على العرش ذكرنا أن أهل السنة والجماعة أطلقوا في تفسيره أربعة معان أو أربع كلمات لتفسيره وهذه المعاني الأربعة (العلو ، الصعود، الاستقرار ، الارتفاع) هي الكلمات التي وردت عن السلف في تفسير معنى الاستواء وهي تفسير وليست تأويلاً يعني وليست تحريفا للكلم عن مواضعه كما سلك أرباب الكلام وقد بين الشيخ فيما نقله عن أبي الحسن تأويلات المتكلمين لهذه الصفة فقال : **(وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية)** والحرورية: فرقة من فرق الخوارج **(أن معنى قوله " الرحمن على العرش استوى " أنه استولى وقهر وملك ، استوى بمعنى استولى وقهر وملك)** وهذا تحريف للكلم عن مواضعه لأن استوى جاء تفسيرها في كلام السلف بالمعاني المتقدمة وأما تأويلها بأنه استولى وقهر وملك فهذا باطل لا يصح من حيث اللغة ولا من حيث المعنى ومن تأويلاتهم أيضاً أن الاستواء بمعنى الإقبال فقالوا: استوى على العرش بمعنى أقبل

(١) سورة: (طـه:٥).

عليه أو أقبل إليه وكل هذه تأويلات باطلة لم ترد عن السلف وهي مضادة لما فهم من كلام الله سبحانه وتعالى قال: (**وإن الله عز وجل في كل مكان**) وهذا أمر لا يتعلق بالاستواء فحسب بل يتعلق أيضا بالعلو فإن الاستواء دليل خاص من أدلة علو الله سبحانه وتعالى على خلقه ولذلك استدل به أهل السنة على علو الله سبحانه وتعالى وأما أدلة العلو فهي كثيرة اجتمعت عليه جميع الدلالات من الكتاب ومن السنة ومن الإجماع ومن الفطرة ومن العقل اجتمعت عليه جميع الأدلة ، والعلو الذي يثبته أهل السنة والجماعة صفة لله سبحانه وتعالى هو علو الذات وعلو القهر وعلو القدر علو القهر و علو القدر لا خلاف فيه بين أهل القبلة فكلهم يثبت علو القهر وعلو القدر لكنهم اختلفوا في علو الذات فأثبت أهل السنة والجماعة علو الله سبحانه وتعالى بذاته على خلقه ، وخالفوا في ذلك أهل الكلام فقالوا: إنه ليس عالياً على خلقه وأولوا النصوص التي فيها إثبات علوه بأنه علو القهر أو علو القدر ليفروا من إثبات علو الذات وهؤلاء الذين نفوا العلو اختلفوا بعد ذلك في هل الله سبحانه وتعالى في كل مكان أو أنه ليس في مكان فمنهم من قال : إنه في كل مكان وهذا قول المعتزلة والأشاعرة وقال آخرون: إنه ليس في مكان وهو قول الجهمية ، مقتضى قول الجهمية الذين يقولون : لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل العالم ولا خارج العالم وما إلى ذلك من تفصيلاتهم الباطلة فلما اختلفوا في هذه المسألة ذكرها الشيخ رحمه الله في كلامه وقال: (**وإن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق**) وهؤلاء يلزم على قولهم هذا لوازم باطلة يلزم على القولين على قول من نفى أنه داخل العالم وخارجه ومن أثبت أنه في كل مكان يلزم على القولين لوازم باطلة وهم إنما فروا من إثبات العلو لأنهم ادعوا أنه يلزم على إثبات العلو لوازم باطلة لكن يقال لهم في الجواب : إن ما فررتم إليه من أنه سبحانه وتعالى ليس في مكان أو أنه في كل مكان يلزم عليه من اللوازم الباطلة أكثر مما توهتموه في إثبات العلو فإن إثبات العلو لله عز وجل لا يلزم عليه أي لازم باطل ، إذ إن كلامه سبحانه وتعالى: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[1] فكلامه محكم لا باطل فيه ثم قال الشيخ رحمه الله : (**وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة**) يعني في تفسير الاستواء إلى قدرته (**وقالوا: إنه استوى على العرش يعني قدر عليه**) وهذا معنى قولهم: استولى ، ثم قال الشيخ في مناقشة هذا التأويل الباطل : (**فلو كان كما ذكروه**) يعني لو كان معنى الاستواء الاستيلاء (**لا فرق بين**

(١) سورة: فصلت : آية (٤٢).

العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء) على العرش وعلى الأرض السابعة.

فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم **(فلو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش وعلى الأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها)** فلا معنى لتخصيص الاستواء بالعرش في سبع آيات من كتابه قال وإذا كان قادراً على الأشياء كلها و لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : يعني أن يقول القائل إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في كل شيء فلما كان من الممكن عند أهل الإسلام أن يقولوا : إن الله مستو على الحشوش وعلى الأخليه دل ذلك على أن معنى الاستواء المذكور في كتابه والذي خص به العرش ليس هو معنى الاستيلاء الذي هو ثابت على كل شيء ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل يعني على ما قرره من أن الاستواء ليس معناه الاستيلاء وأن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل.

ثم قال: **(باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك. ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته: مثل قوله فإن سئلنا أتقولون لله يدان؟ قيل: نقول ذلك وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده)** [3] **وقد جاء في الخبر المذكور عن النبي صلى الله عليه وسلم :(أن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده)**[4] **وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويريد بها النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا**

---

(١) سورة: الفتح: آية (١٠).

(٢) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٣) أما مسح الله لظهر آدم بيده فهو ثابت من حديث عمر بن الخطاب أخرجه: مالك (١٦٦١) ، وأحمد (٣١٣) ، والترمذي (٣٠٧٥) ، وأبوداود (٤٧٠٣) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب.

(٤) أخرجه : البيهقي في " الأسماء والصفات " (ص : ٤٠٣).

يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت كذا بيدي ويعني بها النعمة: بطل أن يكون معنى قوله تعالى ﴿بِيَدَيَّ﴾[1] النعمة. وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه).

وهذا كما ذكر في هذا النقل أن الصواب إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى وهي صفة اليدين وهما ثابتتان له سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به وأما تأويل المؤولين لهذه الصفة بأنها القدرة أو النعمة فهذا تأويل غلط لا تدل عليه النصوص بل النصوص دالة على خلافه وأجاب على تأويل الدين بالنعمة بأجوبة فقال: بعد أن ذكر الآيات والنصوص الدالة على إثبات صفة اليدين له سبحانه وتعالى (**وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي ويريد بها النعمة)** لأن التثنية لا يراد بها إلا عين المعدود ومعلوم أن نعمة الله سبحانه وتعالى لا حصر لها ولا إحصاء لقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[2] فيصعب إحصاؤها إن عدت ، إذاً هذا الوجه الأول في إبطال تفسير اليدين بالنعمة : أن اللفظ جاء مثنى جاء بصيغة التثنية ؛ والتثنية لا ترد إلا ويقصد منها العدد المذكور بخلاف الجمع فقد يرد للتعظيم وبخلاف الإفراد أو المفرد فقد يراد به الجنس ولذلك كانت هذه الصيغة التي وردت بها إثبات صفة اليدين من أقوى الأدلة على إثبات هذه الصفة لأنه لا مجال للتأويل فيها بخلاف الإفراد والجمع فقد يقال : إن الجمع للتعظيم وقد يقال: إن الإفراد لجنس النعمة وليس المراد اليد الحقيقية مع أن الأدلة التي فيها الإفراد والجمع دالة أيضاً على إثبات صفة اليد له سبحانه وتعالى لأنه لا تنسب هذه الصفة إلا لمن له يد لا تذكر الصفة وتضاف إلى شيء إلا لمن كان متصفاً بها فلا تقول هذا ما عمله بيده وليس له يد بل لابد أن يكون من وُصف وأضيفت له اليد موصفا بها **(وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي ويعني بها النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله تعالى ﴿بيدَيَّ﴾[3] النعمة يقول وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه** والكلام في تقرير هذه الصفة طويل المراد أن صفة اليد ثابتة لله سبحانه وتعالى وقد وردت في كتابه على ثلاثة أوجه وردت بالإفراد ووردت

---

(١) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٢) سورة: النحل: آية (١٨).

(٣)سورة: صّ: آية (٧٥).

بالتثنية ووردت بالجمع ، الإفراد كقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] و كقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[2] والتثنية كقوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] ، والجمع كقوله ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[4] وكلها دالة على إثبات هذه الصفة له سبحانه وتعالى.

(وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم – وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده – قال في " كتاب الإبانة " تصنيفه: فإن قال قائل: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[6] فأثبت لنفسه وجها ويدا. فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة؟ قلنا لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً؛ لأنا وإياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك وكذلك الجواب لهم إن قالوا: يجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرضاً واعتلوا بالوجود. وقال: " فإن قال فهل تقولون إنه في كل مكان "؟ . قيل له: معاذ الله بل مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[7] وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[8] وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[9] قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها؛ ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا

---

(١) سورة: الفتح: آية (١٠) .

(٢) سورة: المائدة: آية (٦٤).

(٣) سورة:صّ: آية (٧٥) .

(٤) سورة: يّس: آية (٧١).

(٥) سورة: الرحمن: آية (٢٧).

(٦) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٧) سورة: طه: آية (٥).

(٨) سورة: فاطر: آية (١٠).

(٩) سورة: الملك: آية (١٦).

خلق منها ما لم يكن وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان؛ ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله. وقال أيضاً في هذا الكتاب: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها: هي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا. وقال في " كتاب التمهيد " كلاماً أكثر من هذا – لكن ليست النسخة حاضرة عندي – وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه).

الشيخ رحمه الله وأمانته في النقل يقول: وقد وجد هذا الكتاب وحققه بعضهم بعض أهل الزيغ والضلال و لم يجد فيه هذا المقطع من الكلام الذي نقله شيخ الإسلام وأيضا نقله ابن القيم فكتب أن ما ذكر عن الباقلاني وهو من أئمة الأشاعرة يعني هو المجدد الثاني والذي سعى في تقعيد مذهب الأشعري ونشره بين الناس قالوا إن ما نسبه إليه شيخ الإسلام من هذا الكلام ليس صحيحاً وليس موجوداً في الكتاب المذكور كتاب التمهيد وأبطل الله كيدهم وكذبهم حيث إن الكتاب حققه مستشرق من نسخة أخرى ووجد فيه ما نقله الشيخ بنصه وهذا من توفيق الله ونصرته لأهل الحق .

(وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.) وهذا ليقر به من يعظم هؤلاء من المتكلمة وهذا احتجاج على هؤلاء بكلامهم لأنك إذا قلت :قال الباقلاني استسلم الخصم لأنه يجله ويقدره ويعده من كبار الأئمة قال الجويني: قال الأشعري يستسلم في هذه الحالة وما من إنسان ذهب مذهباً من مذاهب المتكلمين إلا وجدت في كلامه ما ينقض قاعدته ولذلك أسلم الطرق وأحكمها وأضبطها وأبعدها عن الاضطراب طريق أهل السنة والجماعة المطرد في باب أسماء الله عز وجل وصفاته.

(وملاك الأمر " أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثيرا من الناس قد صار منتسبا إلى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم ومتوهما أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم؛ فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم. ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم؛ فلو أنهم أخذوا بالهدى: الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى).

أسلافهم تخبطوا وضلوا وضربوا في طرق عديدة ثم رجعوا في آخر أمرهم إلى بدايات طريق السلف فلو أن هؤلاء ابتدؤوا من حيث انتهى أئمتهم لكان خيراً لهم مع الصدق في الطلب ، في طلب الحق إلى زيادة هدى وخير ولكن هؤلاء أعرضوا عن نهاياتهم وابتدؤوا ببداياتهم أي ببدايات أئمتهم فتخبطوا وضلوا وكان خاتمة كثير منهم أن وصل إلى حيث يبتدىء أهل السنة والجماعة.

(ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة؛ ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق: ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] فإن اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا. قال الله تعالى لهم ﴿تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم يقول سبحانه وتعالى لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم فهذا حال من لم يتبعوا الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان).

ما أصدق بيانه وأجمل كلامه رحمه الله يعني وهو يبين لهؤلاء أنكم إذا لم تقبلوا كلام السلف وقلتم: إنهم لم يخاطبوا بهذه المعاني فاقبلوا كلام أئمتكم ولا تكونوا كالذين ذمهم الله بأن تركوا كلام أنبيائهم وتركوا كلام الأنبياء غير أنبيائهم.

(١) سورة: البقرة: آية (٩١).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السادس والعشرون

www.almosleh.com

(وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتابه " الرسالة النظامية " اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر؛ فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب. فقال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة وهو حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة. وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها – وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها – فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً: لا شك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى؛ فليجر آية الاستواء والمجيء. وقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[2] وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[3] وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه.

هذا آخر نقل ينقله الشيخ رحمه الله من النقول التي حشدها لتقرير مذهب أهل السنة والجماعة وبيان أن طريقة أهل السنة لازمة حتى للمتكلمين فإن كثير ا منهم قال فيما كتب وألف كلاما يوافق فيه الصواب الذي جاء عن السلف الصالح رحمهم الله والنقل الأخير هو عن أبي المعالي الجويني وهو من أئمة الأشاعرة الكبار إلا أنه تميز عن سائر الأشاعرة بأنه خطا بالمذهب الأشعري خطوات غير قليلة نحو الاعتزال فهو من أئمتهم الذين نزعوا إلى الطريقة الاعتزالية والذي حمله على ذلك تناقض الطريقة الأشعرية و اضطرابها الجويني كان في أول أمره مؤولاً أي محرفاً على طريقة المتكلمين ثم إنه بعد أن رأى أن طريقته لا توصل إلى معرفة بالله سبحانه وتعالى ولا إلى علم بما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه انصرف عن هذه الطريقة

(١) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٢) سورة: الرحمن: آية (٢٧).

(٣)سورة : القمر: آية (١٤).

إلى ما اعتقده أنه طريق السلف وهو التفويض فترك التأويل إلى التفويض ولذلك قال : **(وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل)** ومقصوده بالتأويل أي بالتحريف الذي عليه المتكلمون **(وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب)** وهذا غلط منه كما غلط غيره في فهم منهج السلف حيث ظن أن منهج السلف التفويض وأن طريقهم عدم التعرض لمعاني هذه الأسماء والصفات وقد تقدم إبطال هذا الطريق وإبطال هذا الأمر وبيان أن أهل السنة والجماعة يفسرون كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي تحتمله اللغة والوجه الظاهر منها والذي يفهمه أهل اللسان ومع ذلك فهم فيما يثبتونه لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات لا يحرفون ولا يعطلون ولا يمثلون ولا يكيفون بل يثبتون كل ذلك على قاعدتهم التي أخذوها من كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] ثم قال : **(والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا إتباع سلف الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك في صحة هذا وهو وجوب اتباع السلف وإجماع الأمة وهو حجة متبعة)** فالأمة أجمعت على أن أفضل الطرق وأن خير السبل في جميع الأبواب العلمية والعملية الاعتقادية وغيرها أفضل الطرق هو طريق السلف فلما كان الإجماع على ذلك فإن طريقهم في باب أسماء الله وصفاته تختلف عن طريق المؤولين والمتكلمين فوجب الرجوع إليها. ثم قال: **(وهم صفوة الإسلام)** ذكر بعد ذلك دليلاً عقلياً على صحة طريقهم الذي ثبت وهو أنهم يثبتون ما أثبته لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. قال :**(درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها)** والمقصود الصحيح من هذا الكلام أي ترك تحريفها وإلا فهم فسروا آيات الصفات وبينوا ما علموا .

قال : **(وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظه)** ولا شك من ظن غير هذا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي التابعين وتابعيهم رضي الله عنهم ورحمهم الله فقد كذب قوله صلى الله عليه وسلم : **(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)**[2] **(وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محكوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة)** لأن العلم

---

(١)سورة : الشورى: آية (١١).

(٢) البخاري (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٣) بلفظ : (خير أمتي قرني).

بالصفات هو أصل العلوم إذ أنه علم بالله سبحانه وتعالى وإنما جاءت الرسل وبعثت وأنزلت الكتب لتعريف الخلق بربهم فإذا كان الصحابة لم يهتموا بهذا مع شدة الحاجة إليه كان في ذلك اتهام لهم بل لو كان الطريق الذي سلكه المتكلمون هو الطريق الصحيح لكان اهتمام السلف في بيان صحة هذا الطريق وتقريره أعظم من اهتمامهم بأي أمر آخر ، والمتكلمون يعتذرون للصحابة والتابعين عما لم ينقل عنهم من تصحيح طريق المتأخرين أو سلوك طريق المتأخرين بأنهم كانوا مشغولين بتبليغ الرسالة والدعوة إليها والجهاد في سبيل الله وما إلى ذلك فانشغلوا عن الطرق الكلامية والحجج العقلية وهذا كذب لأنهم إنما انشغلوا بهذا لدعوة الناس إلى ما جاء به الكتاب والسنة . والكتاب والسنة قد جاءا بما اعتقده الصحابة رضي الله عنهم ودعوا إليه من إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ ثم قال رحمه الله: **(وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين عن الاضطراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين)** يعني عن كلام المحدثين في باب أسماء الله وصفاته وغير ذلك من الأبواب الغيبية قال : **(ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى)** والصواب في هذا أن يقال : وأن يحمل المشكلات على المحكمات كما هو منهج الراسخين في العلم الذين أثنى الله سبحانه وتعالى على طريقهم وسبيلهم فليجر آية الاستواء أو المجيء وقوله:﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[1] وقوله:﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾[2] وقوله:﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾[3] **(وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه)** يعني ما ذكره من اعتقاده التفويض بمنهج السلف ونحن نقول : على ما سبق تقريره من القاعدة الكلية في هذا الباب من إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وأن يعتقد أن كل كمال فالله به أولى وأنه لا يلزم على كلام الله ولا على كلام رسوله صلى الله عليه وسلم باطل إذ لو لزم على ذلك باطل لما صدق قوله جل وعلا : ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[4] ولما صدق قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[5] المهم أن

---

(١) سورة: صّ: آية (٧٥).

(٢) سورة: الرحمن:آية (٢٧).

(٣) سورة: القمر: آية (١٤).

(٤) سورة:هود: آية (١).

(٥) سورة: فصلت:آية (٤٢).

أهل الكلام أقروا في ما كتبوه وفي آخر أمرهم وبعد تجوالهم في الطرق الكلامية أقروا بسلامة طريق السلف وأنه هو الطريق الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وهذا من فضل الله ونعمته فالحمد لله الذي هدانا لما أضلهم عنه .

(قلت: وليعلم السائل أن الغرض " من هذا الجواب " ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب؛ وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله – من المتكلمين وغيرهم – يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره؛ ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به؛ وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه. المشهور عنه؛ الذي رواه أبو داود في سننه : اقبلوا الحق من كل من جاء به؛ وإن كان كافراً – أو قال: فاجراً – واحذروا زيغة الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً أو قال كلاماً هذا معناه. فأما تقرير ذلك بالدليل وإماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامه فما تتسع له هذه الفتوى وقد كتبت شيئا من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب – إن شاء الله – في ذلك ما يحصل به المقصود)

ما كتب في تقرير هذا الباب وبيانه فكتبه رحمه الله من أفضل ما كتب في تقرير مسائل الاعتقاد جملة وتفصيلا فرحمه الله وجزاه الله عن الأمة خيرا والكلام واضح فيما ذكر و ما نقله عن أهل العلم لاسيما المتكلمين لا يوافقون أهل السنة والجماعة ولا يوافقون ما قرره الشيخ في كل ما قاله وما ذهب إليه إنما قد يكونون وافقوا في بعض الأمور وخالفوا في البعض وهذا فيه فائدة وأشار إليه الشيخ أن الحق يقبل من كل من تكلم به والحق يعرف بموافقته للكتاب والسنة وما ذكره معاذ رحمه الله ورضي عنه في قوله: إن على الحق نورا، النور الذي على الحق هو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في وصف كتابه فإنه وصف كتابه بأنه نور والنور الذي في الحق هو من نور كتاب الله جل وعلا.

(وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته. ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا ألبتة).

كلام الله جل وعلا لا تناقض فيه وهذا مقتضى الإحكام الذي وصفه به سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ

﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[1] أي صينت وحفظت وأتقنت عن أن يكون فيها شيء من الاضطراب والاختلاف ثم انظر إلى الشروط التي يحصل بها الاهتداء بالحق وهذان سطران فيهما إجمال الأسباب التي يهتدي بها الإنسان إلى الصواب. **(جماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه)** بشروط فالواجب التدبر ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2] فالتدبر من أفضل ما يعين الإنسان على معرفة وفهم مقاصد الشريعة والأصول الكلية في هذا الدين العظيم فإن النية مطية كما قيل وإنما الأعمال بالنيات فإذا صدق العبد في نيته وفي طلبه للحق فتح الله له الحق ويسره له وأما إذا كانت نيته مشوبة أو غير خالصة فانه لا يوفق لإصابة الصواب ، قال **(وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه)** و الصواب أن يحسن الإنسان في النية والقصد.

قال : **(وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته)** أي أعرض عن طريق المخالفين لمن فقه هذا الكتاب وهذه السنة وهو سبيل السلف رحمهم الله فإذا اجتمع في الطريق تدبر وحسن قصد وإعراض عن سبيل المخالفين للكتاب والسنة وفق إلى خير كبير ، ثم أعطى قاعدة ليحل بها ما قد يرد على المؤمن من إشكالات في هذا الباب في باب الأسماء والصفات وفي غيره **(أن كلام الله جل وعلا لا يضطرب ولا يختلف)** فإذا حصل اضطراب أو اختلاف فليتهم الإنسان نفسه ورأيه و إلا فكلام الله لا اضطراب فيه ولا اختلاف ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[3] انظر إلى هذه الآية ، الله سبحانه وتعالى دعا المؤمنين دعا الناس دعا الخلق إلى تدبر هذا الكتاب.

ثم أخبر بأن الكتاب لا خلاف فيه لأنه منه وهذا يشير إلى أن الاختلاف الذي قد ينقدح في ذهن أحد أو يظنه ظان إنما أتي وأصيب به من قبل عدم تدبره ونظره ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ لكن لما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ، والسبيل إلى الوقوف على أنه لا اختلاف فيه أن يتدبر الإنسان كلام الله سبحانه وتعالى. ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من هذا

---

(١)سورة:هود: آية (١).

(٢) سورة: صّ: آية (٢٩).

(٣) سورة : النساء: آية (٨٢).

ينقاض بعضه بعضاً ألبتة مثل أن يقول القائل : ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله :﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[1].

(١) سورة: الحديد: آية (٤).

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس السابع والعشرون

www.almosleh.com

(ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[1] وقوله صلى الله عليه وسلم : (إذ قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه)[2] ونحو ذلك فإن هذا غلط. وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)[3] وذلك أن كلمة مع في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجاعته لك؛ وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة)

ذكر المؤلف رحمه الله بعد أن قال: **(ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه البعض ألبتة)** ذكر مثالاً لما قد يتوهم من التناقض فيما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه فقال رحمه الله: **(مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه)** ونحو ذلك يعني من الأحاديث أو النصوص سواء من الكتاب أو السنة التي تدل على معيته سبحانه وتعالى قال: **(فإن هذا غلط)** أي اعتبار نصوص المعية مخالفة لنصوص العلو والاستواء غلط وذلك أن الله معنا حقيقة أي كما أخبر به عن نفسه سبحانه وتعالى لا نحتاج في ذلك إلى تأويل أي لا نحتاج في ذلك إلى تحريف بل نثبته كما أثبته سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه **(وهو فوق العرش حقيقة)** يعني كما أخبر في كتابه وكما أخبر

---

(١) سورة : الحديد: الآية (٤).

(٢) البخاري (٤٠٦) ، ومسلم (٥٤٧).

(٣) جزء من حديث الأوعال الذي سبق تخريجه وهو عند أحمد (١٧٧٣) ، وأبي داود (٤٧٢٣) ، والترمذي (٣٣٢٠) وهو ضعيف .

به نبيه صلى الله عليه وسلم (**كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[1] فجمع بين هذين المعنيين وبين هاتين الصفتين في آية واحدة،فدل ذلك على أنه لا تعارض بينهما ولا تناقض بل إثبات علو الله سبحانه وتعالى على عرشه لا يناقض أنه سبحانه وتعالى مع خلقه حقيقة ثم قال : (**فأخبر أنه فوق العرش**) يعني في هذه الآية يعلم كل شيء (**وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال**) وهو حديث مشهور رواه الترمذي بسند لا بأس به وفيه ((**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**))[2] وأضيف الحديث للأوعال لأن فيه ذكر الأوعال ، والأوعال : جمع وعل وهو في اللغة تيس الجبل ويطلق أيضا في اللغة على الأشراف والكبراء من كل شيء ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**لا تقوم الساعة حتى تعلو السفول وتهلك الوعول**)). قيل : وما السفول يا رسول الله؟ قال فيما معناه : أنهم أردأ القوم ، قيل وما الوعول يا رسول الله ؟ قال: أهل البيوت الصالحة أي الأشراف من أهل الخير والصلاح. فالوعول : هم الأشراف وهم من أشرف خلق الله سبحانه وتعالى ، كما ثبت أنهم ثمانية يحملون العرش في هذا الحديث حديث الأوعال (**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**) فالله جل وعلا على عرشه وهو فوقه سبحانه وتعالى ومع ذلك هو يعلم سبحانه وتعالى ما أنتم عليه وهذا تفصيل وبيان لمعنى المعية المذكورة في الآية وأنها ليست المعية التي تقتضي المخالطة والممازجة بل هي معية العلم كما فسرها بذلك المفسرون من أهل السنة والجماعة قال: (**وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب ممارسة أو محاذاة عن يمين أو شمال**) أو عن أي جهة الذي تفيده كلمة (مع) المقارنة والمصاحبة لكن لا يستلزم ذلك وجوب المماسة أو المحاذاة من أي جهة من يمين أو شمال أو فوق أو تحت (**فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى**) إذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة و لم تهب المحاذاة والمماسة ، يقول في ضرب الأمثال على صحة هذه القاعدة : (**وأن (مع) في اللغة تدل على المعية أنها تدل على المقارنة المطلقة من المحاذاة والمماسة**) تقول : مازلنا نسير والقمر معنا ومعلوم أن القمر ليس مخالطاً ولا محاذياً ولا مماساً لمن

(١) سورة : الحديد : آية (٤).

(٢) سبق الكلام عليه قريباً وهو ضعيف.

قالوا هذا القول قال أو النجم معنا أو قال: هذا المتاع معي لجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة فلا تعارض بين معنى العلو و معنى المعية و لما كان بعض من يفهم المعارضة بين هاتين الصفتين جرى كثير من أهل العلم على ذكر الصفتين مقترنتين فإذا ذكر بحث العلو أو الاستواء ذكر معه بحث المعية ليبين عدم التعارض بين هاتين الصفتين كما جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في آية الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

(ثم هذه " المعية " تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلا هُوَ﴾[2] إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ الآية. ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار:(لا تحزن إن الله معنا)[3] كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد. وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[4] وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد).

الشيخ رحمه الله بعد أن فرغ من بيان عدم التعارض بين إثبات صفة المعية وإثبات صفة العلو بين أن المعية تطلق ويختلف معناها بحسب موردها يعني بحسب السياق الذي وردت فيه فهي تدل على معنى مشترك في الجميع إلا أنها تختص في مواردها بمعان خاصة فقوله جل وعلا في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وفي سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى

---

(١) سورة : الحديد : آية (٤).

(٢) سورة: المجادلة: آية (٧).

(٣) البخاري (٣٦١٥) ، مسلم (٢٠٠٩).

(٤) سورة: النحل:آية (١٢٨).

ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[1] هذه المعية معناها معية العلم وهي على حقيقتها وهي التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال يعلم ما أنتم عليه **(والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه)** فهي معية العلم التي تقتضي تمام علمه سبحانه وتعالى وإحاطته بخلقه وبما يجري منهم وهذه المعية تسمى المعية العامة وهو القسم الأول منها وهي مع كل أحد ومع كل شيء يعلم سبحانه وتعالى به، فهو الظاهر الباطن الأول الآخر وهو سبحانه وتعالى بكل شيء محيط ،القسم الثاني من أقسام المعية هو المعية الخاصة التي تدل على معنى زائد على معنى العلم والإحاطة وهي معية النصر والتأييد والحفظ وما إلى ذلك من المعاني التي يدل عليها هذا اللفظ في موارده فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصحابه كما قص الله في كتابه: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2] قال : **(كان هذا حقاً على ظاهره لا تأويل فيه ولا تحريف ودلت الحال على أن حكم هذه المعية يخالف حكم المعية السابقة)** فإنما حكم المعية في الآيتين السابقتين الإحاطة والعلم أما هنا فهو أمر زائد على الإحاطة والعلم وهي معية الاطلاع والنصر والتأييد والحفظ وما إلى ذلك من المعاني ، قال : **(وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**[3] وقوله ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ قال: **(هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد)** وهذا هو القسم الثاني من أقسام المعية الخاصة التي لا تكون إلا لعباد الله الصالحين من المحسنين والمتقين والمرسلين وهي تختلف باختلاف الإحسان وباختلاف التقوى وباختلاف مرتبة الرسول.فعلى قدر تحقق هذه الأوصاف التي أخبر الله سبحانه وتعالى فيها بأنه مع أهلها على قدر التفاوت بينهم في هذه الأوصاف على قدر تحقق هذه الصفة لهم.

(وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف؛ أنا معك أو أنا هنا؛ أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها؛ وربما صار مقتضاها من معناها. فيختلف باختلاف المواضع. فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما

---

(١) سورة: المجادلة:آية (٧).

(٢) سورة: التوبة: آية (٤٠).

(٣) سورة: النحل:آية (١٢٨).

أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها – وإن امتاز كل موضع بخاصية – فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها) سواء قلنا : إن المعية في كل موضع تختص بمعنى خاص أو: إن المعية تشترك في هذه المواضع كلها بمعنى عام مشترك وفي كل موضع تختص بمعنى خاص بها مع وجود المعنى العام المشترك فعلى كلا التقديرين ليست هذه الصفة معارضة لما ثبت من علو الله سبحانه وتعالى على خلقه **(فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال : قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها. ونظيرها من بعض الوجوه " الربوبية والعبودية " فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[2] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق؛ فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره)** إضافة معنى الربوبية إلى جميع الخلق ليس كإضافته إلى بعض الخلق فإن الربوبية هي الإصلاح والرعاية والتنمية والتدبير وربوبية الله للعالمين ليست على درجة واحدة فربوبيته لعموم الخلق ليست كربوبيته لموسى وهارون ولأوليائه الصالحين من عباده المتقين بل هي متفاوتة فكذلك المعية وهذا وجه ذكر الربوبية هنا هو تنظير المعية بها فالمعية معناها العام مشترك واحد ولكن هي تختص في كل موضوع بمعنى يقتضيه ذلك المورد أو ذلك الموضوع ؟ فكذلك الربوبية ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الربوبية هنا في موسى وهارون ليست هي الربوبية التي أضيفت للعالمين على العموم بل هي أمر زائد علي ذلك المعنى.

(وكذلك قوله: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[3] و ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾[4] فإن العبد تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما) كما يقال : طريق معبدة أي مذللة فالخلق كلهم عبيد لله عز وجل بهذا المعنى العام أي إنهم ذليلون لله لا مناص لهم ولا إمكانية لهم أن يخرجوا عن أحكامه سبحانه وتعالى عن أحكامه القدرية الكونية . المراد العابد بالأمر الشرعي لا العابد بالأمر الكوني

---

(١) سورة: الأعراف: آية (١٢١).

(٢) سورة:الأعراف: آية (١٢٢).

(٣) سورة : الانسان: آية (٦).

(٤) سورة: الاسراء: آية (١)

القدري فالعابد بالأمر الكوني القدري يدخل مثل قوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[1] وتارة يعني به العابد فيخص). ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ يدخل في ذلك الكفار والمشركون وأهل الكتاب والنصارى والملحدون لله ورسوله لكن المعنى الخاص في مثل قوله: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ هنا المقصود أهل العبادة الشرعية الدينية الذين امتثلوا أمر الله عز وجل الشرعي فقاموا به كذا قول : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ هنا العبودية التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم هي أعلى أنواع العبادة الشرعية الدينية التي تطلق ويراد بها العابد

(فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل؛ فكانت الإضافة في حقه أكمل مع أنها حقيقة في جميع المواضع. ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس " مشككة " لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط) الأسماء المتواطئة هي: ما اتحد لفظه ومعناه كالإنسان يطلق على زيد وعمرو ومحمد وعلي بمعنى واحد فاللفظ واحد والمعنى واحد أو من قبيل المشتركة فاللفظ فقط دون المعنى فهي مشتركة في الفظ لكن معناها يختلف باختلاف الأفراد فتقول مثلاً: نور القمر ونور الشمس ونور المصباح .هل معنى النور في هذه الإضافات واحد أو مختلف ، مختلف من جهة القوة والشدة والضعف وما إلى ذلك .

(والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة) لأن اللفظ المشترك داخل في الأسماء المتواطئة يعني ما اتحد لفظه ومعناه. **(إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك وإن كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ)** العبودية فيها معنى مشترك وهو الذلة لكن هذا المعنى يختلف فالعابد لله عز وجل شرعاً تحقق فيه كمال العبودية القدرية التي يشترك فيها جميع المخلوقات وتحقق فيها العبادة الخاصة وهي العبادة الشرعية التي يتميز بها عباد الله فالمعنى المشترك موجود بين من تعبد لله شرعا وبين من لم يتعبد لله شرعا يعني الكافر والمؤمن يشتركان في ماذا؟ في أنهما عبدان لله من جهة ، أن أمر الله الكوني القدري يمضي على هذا وعلى هذا لكن الذي تميز به المؤمن أنه تعبد لله شرعا أطاع أمره ونهيه فتميزه بالعبادة الشرعية هل يخرجه عن وصف العبودية لا يخرجه عن وصف العبودية.

(ومن علم أن " المعية " تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات – كإضافة الربوبية مثلا – وأن

---

(١) سورة: مريم: آية (٩٣).

الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش) الاستواء لا يضاف إلا للعرش ليست المعية والربوبية والعبودية تضاف إلى عموم الخلق ،الاستواء لم يضفه الله عز وجل إلا إلى عرشه .

(وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازا: علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف) إثبات هذه الصفات على الوجه الذي دلت عليه ألفاظ الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وأنه لا اضطراب بينها ولا تناقض بينها في إثبات ما أثبتته وما حوته من معان.

إذاً اللفظ المتواطئ ما هو؟ ما اتحد لفظه ومعناه مثل الإنسان ولقد ذكرت لكم النور في المشترك و هذا غلط النور في المتواطئ لأنه متحد لفظا ومعنى لكن القدر مختلف ولكن المثال الصحيح للمشترك هو المشتري أو العين ، المشتري يطلق على الذي أخذ الشيء بثمن ويطلق على الكوكب فاللفظ واحد والمعنى مختلف والعين تطلق على الذهب وتطلق على الماء وتطلق على العين الباصرة ، اللفظ واحد والمعنى مختلف إذاً المشترك ما اتحد لفظه فقط وأما المتواطئ فهو ما اتحد لفظه ومعناه مثل الإنسان ومثل النور هذا والله تعالى أعلم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثامن والعشرون

www.almosleh.com

(ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب – إن نقله عن غيره – وضال – إن اعتقده في ربه – وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله " إن الله في السماء " إن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا. وإذا كان الأمر هكذا: فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند الناس "أن الله في السماء" "وهو على العرش" واحد؛ إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السُفل وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض).

المؤلف رحمه الله ذكر في هذا صلة ما تقدم من صفة المعية وأن ما ورد من نصوص بأن الله سبحانه وتعالى في السماء ليس ظاهره ما قد أثاره بعض المتكلمين أو شكك فيه بعض المشككين من أن السماء تحويه أو تحيط به فتعالى الله جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً ، إنما المقصود أنه سبحانه وتعالى في العلو فقوله:﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[1] أي أأمنتم من في العلو ؟ لأن السماء اسم جنس لما علا ولذلك قال المؤلف رحمه الله : إذاً السماء إنما يراد به العلو فالسماء اسم جنس يراد به ما علا أو يراد به العلو فقوله :﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي أأمنتم من في العلو وليس المراد ما توهمه المتوهمون من أنه سبحانه وتعالى تحيط به السماء أو ما إلى ذلك من الظنون الكاذبة والأقوال الباطلة. ثم إن هذا الظاهر الذي يزعمونه في قوله :﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ لا يأتي إلا على آراء هؤلاء المشككين أما أهل اللسان وأهل الإسلام فإنهم لا يقولون بهذا ولا يوردون هذا على ظنونهم ولا على آرائهم لأن الله سبحانه وتعالى العلي الكبير فلا يحيط به شيء بل هو جل وعلا محيط بكل شيء.

(وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض[2] وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة[3] وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟)

---

(١) سورة: الملك: آية (١٦)

(٢) قال تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٥)

(٣) وهو ثابت من حديث أبي ذر عند ابن حبان ، قال ابن حجر في الفتح : (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند جيد)

مخلوقاته جل وعلا تحيط بالسماوات و الأرض كما قال في الكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وكرسيه في عرشه كحلقة ملقاة بأرض فلاة فكيف به جل وعلا وهو الكبير المتعال فتعالى الله عن هذه الظنون التي ظنها هؤلاء علواً كبيراً. فإنه أبطل هذا المعنى بأنه لا يرد ، أولاً: لا يرد على أذهان أهل الإسلام بل لو سألت سائر أهل الإسلام لما ورد على أذهانهم هذا ، ثانياً: أن اللغة لا تدل عليه إذ إن اللغة يراد بالسماء فيها العلو ، ثالثاً: أنه إذا كان بعض مخلوقاته وسع السماوات والأرض فكيف هو سبحانه و تعالى.

(وقد قال سبحانه: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] وقال: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾[2] بمعنى: على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه)[3].

هذا هو المعنى الثاني الذي يمكن أن تفسر به الآية: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي أأمنتم من على السماء وليس المراد أن السماء تحويه كقوله ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ ومعلوم أنه لم يشق النخل ويضعهم فيه وإنما علقهم عليها كذا ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ والمراد سيروا عليها لا بداخلها.

(وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه) الحديث[4] حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات. فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك – ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق – فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأنبئك بمثل ذلك في

---

(١) سورة:طه: آية (٧١).

(٢) سورة: آل عمران: آية (١٣٧).

(٣) البخاري : (٤٠٦) ، مسلم : (٥٤٧).

(٤) البخاري (٤٠٦) ، ومسلم (٥٤٧) .

آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله؛ فالله أكبر)[1] أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر)[2] فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون إذاً رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه؛ كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلاً. ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله: يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد. واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ " مجمل " فإن قوله: ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين؛ مثل أن يراد بكون (الله قبل وجه المصلي) أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه وإن " الله معنا " ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غير مراد. ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع. اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الإطلاق. فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية. وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر أن هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى. وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم).

هذا المعنى الأول من قول القائل : إن مذهب السلف إقرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، الشيخ رحمه الله فصل في هذا الإطلاق في قول القائل: ظاهرها غير مراد فإن هذا لفظ مجمل يحتاج إلى تفصيل وهذا هو شأن الشيخ رحمه الله في كثير من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً هذا معنى قوله: **(مجمل)** مجمل أي أنه يشتمل على حق وعلى باطل ففي مثل هذه الألفاظ المجملة يجب الاستفصال فلا تُثبت مطلقاً ولا تنفى مطلقا بل يفصل قال: **(فإن قوله ظاهرها)** أي نصوص الصفات **(غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين)** يعني يحتمل أن مراده بظاهرها

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٧٣١) ، وابن ماجه (١٨٠) من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين ، حسنه الألباني وسبق الكلام عن وكيع بن حدس.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٥٤) ، مسلم (٦٣٣)

غير مراد يعني ما يفهم من هذه النصوص من أنها كصفات المخلوقين فالسمع الذي أثبته الله لنفسه والبصر الذي أثبته الله لنفسه إذا كان ظاهرها الذي يشير إليه صاحب هذه المقولة أنها كسمع الناس أو سمع الخلق وبصرهم فلاشك أن هذا ليس بصحيح ثم يقال : يناقش في هل أن هذا هو ظاهر النصوص أو لا لكن إذا كان هذا مراده فهل هذا إطلاق صحيح أم لا. . . إذا كان يراد أن ظاهر النصوص في قوله **(وظاهرها غير مراد)** أن ظاهرها المماثلة هل نفيه صحيح أولا؟ نفيه صحيح يعني قوله : ظاهرها غير مراد صحيح لكن يناقش في أمرين يناقش أولاً : في أن هذا لفظ مجمل ينبغي ألا يطلق بل يفصل ويبين المعنى المراد ويناقش أيضاً في : أن هذا اللفظ هل ظاهره ما ذكر أولا ؟ هل ظاهره يقتضي المماثلة أو لا ؟ وهذا لا شك أن ظاهر النصوص لا تقتضي المماثلة لأن الخالق له ما يناسبه والمخلوق له ما يناسبه وقد بين ذلك بيان واضحاً في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] **(مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه وأن الله معنا ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلاشك أن هذا غير مراد ومن قال : إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب المعنى)** انظر إلى دقة الشيخ أصاب في المعنى و لم يصب في ماذا؟ في اللفظ يعني لم يصب في قوله: **(ظاهرها غير مراد)** لأن هذا لفظ مجمل يحتمل حقاً وباطلاً لكن الخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث إذاً هذا الخطأ الذي أشار إليه أولاً وهو أن اعتقاد أن ظاهر النصوص وما ذكره هؤلاء باطل ليس صحيحاً فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بينا في غير هذا الموضع ثم استدرك الشيخ رحمه الله فقال : **(اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس)** كأن يكون هذا في بعض البلدان أو في بعض الأماكن أو في بعض الجماعات يظهر لهم من هذا اللفظ ما ذكروه فهنا يكون الإطلاق صائباً باعتبار لأنه ظاهر بالنسبة لهم ولذلك قال : **(معذوراً في هذا الإظهار فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية فيخفى على شخص ما يظهر لغيره)** ويظهر له ما يخفى على غيره وكان أحسن من هذا أن يبين أن هذا ليس هو الظاهر **(ولا تطلق مثل هذه العبارات حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا**

(١) سورة: الشورى: آية (١١).

قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب؛ فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل – لا نصاً ولا ظاهراً – أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة. وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون : إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف – بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى – ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك ويقولون: الفرق بين الطريقين أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره. وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف: أما في كثير من الصفات فقطعاً: مثل أن الله تعالى فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم – الذي لم يحك هنا عشره – علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجيا غير مراد).

هذا الأمر الثاني أو الاحتمال الثاني لهذا الإطلاق الظاهر غير المراد عندهم، قال: إن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة يعني أن النصوص التي احتوت الصفات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه وأنها تليق بالله سبحانه وتعالى وهي من صفاته الواجبة أو من صفاته الجائزة ، من قال: إن هذه النصوص التي احتوت هذه الصفات غير أن ظاهرها غير مراد فقد أخطأ وقد ضل لأن ظاهر النصوص في مثل هذا لاشك أنه مراد لأن الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين فلا يجوز لأحد أن يصرف هذا الظاهر ويقول: إن ظاهر النصوص غير مراد بل ظاهر النصوص مراد يجب الإيمان به و إلا لما كان في كلام الله سبحانه وتعالى ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فائدة إذا كان ظاهر كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم غير مراد إذا فهمنا المعنى الباطل من قوله : **(الظاهر غير مراد)** أي إن المعاني الصحيحة التي اشتملت عليها هذه الآيات وهذه الصفات غير صحيحة ، هذا المعنى الباطل الذي احتملته هذه اللفظة والسلف منه براء ولذلك قال : فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب وهذا من العدل أن تذكر جميع

الاحتمالات إما أن يكون أخطأ فيما نقله يعني وقف على نصوص فهم منها أن السلف لم يتطرقوا للمعاني و لم يثبتوا ظاهرها أو أنه كذب عليهم بعض مطالعته لما ذكروه رحمهم الله من إثبات معاني الصفات ، فما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع و بصر ويد حقيقة ، فذكر ـــ رحمه الله ـــ الصفات الذاتية وذكر الصفات الخبرية وذكر الصفات الفعلية ، فقوله : أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش هذا فيه إثبات الصفات الفعلية لأنه استوى على العرش بعد أن لم يكن ولا أن الله ليس له سمع وبصر و هذا في الصفات الذاتية ويد حقيقة هذه من الصفات الخبرية وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف وهذا ليس بصحيح ، طريقة أهل التأويل طريقة محدثة مبتدعة نهى عنها السلف وهي لا توصل إلى علم ولا إلى معرفة بالله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى لكنهم اختلفوا في أي شيء؟ في كيفية التعامل مع هذه النصوص فالمتأخرون خاضوا في هذه النصوص وأولوها وصرفوها عن ظاهرها وأما السلف على قول هذا. . . أما السلف فإنهم أمسكوا عن هذه النصوص ومعانيها وفوضوها دون نظر إلى معانيها إنما قالوا: الظاهر غير مراد.

يقول: ولكن السلف سكتوا عن تأويلها وهو مذهب من؟ المفوضة والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك ويقولون : الفرق أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف وهذا الكلام من الشيخ ـــ رحمه الله ـــ عود على بدء عود على ما تقدم في أول الرسالة من إبطال قول من قال: إن السلف يسلكون مسلك التفويض في باب الأسماء والصفات ، قال رحمه الله : وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف أما في كثير من الصفات فقطعاً لأنه ورد عنهم رحمهم الله تفسير هذه الصفات ، فلما ورد عنهم تفسير هذه الصفات علم منه أن السلف يثبتون هذه الصفات ويثبتون معانيها وأن من قال: إن السلف أولوا و لم يخوضوا في المعاني فهذا كذب عليهم و ضرب أمثلة لما فسره الصحابة والتابعون رضي الله عنهم قال : مثل أن الله تعالى فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحل هنا عشره علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قطعاً وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك ، يعني صرحوا بحقيقة معانيها وأن معانيها مرادة

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس التاسع والعشرون

www.almosleh.com

(والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل – لا نصاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن – على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل – إما نصاً وإما ظاهراً – على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة؛ وما رأيت أحداً منهم نفاها. وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه؛ مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضا؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها. وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهمي معطل؛ وهذا كثير جداً في كلامهم فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً – كذبا منهم وافتراءً – حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك حتى قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة؛ موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ﴾[1] وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[2] ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (ينزل ربنا)[3] وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة: مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والأوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة.

هذا المقطع الذي سمعناه فيه أن الشيخ رحمه الله لم يقف على من نفى الصفات الخبرية من السلف رحمهم الله وذلك في جميع ما أثر عنهم وجاء عنهم لا في نص كلامهم ولا ظاهره ولا بالقرائن التي تحتف بالنصوص فمذهب السلف رحمهم الله هو إثبات هذه الصفات لله سبحانه وتعالى وهي الصفات الخبرية كمذهبهم في الصفات الفعلية والصفات الذاتية ونص على الصفات الخبرية لأن كثيرا من المتكلمين يشغبون على أهل السنة والجماعة في إثباتها ويسمونهم بما وسموهم به ووصفوهم به من التشبيه والتمثيل لأنهم لم يعقلوا من تلك الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين والقدم والأصابع إلا ما عرفوه من

---

(1) سورة : لأعراف: آية (١٥٥)

(2) سورة: المائدة: آية (١١٦)

(3) البخاري : (١١٤٥) ، مسلم : (٧٥٨)

المخلوق فقالوا : إن إثباتها يقتضي التشبيه ويقتضي التجسيم ويقتضي التركيب هذه شبهتهم الكبرى التي صرفتهم عن إثبات هذه النصوص فلما اعتقدوا أن هذه النصوص تقتضي التجسيم وأنها تقتضي التركيب وأنها تقتضي التمثيل نفوها وسموا من أثبتها مجسمة أو مشبهة أو حشوية أو غير ذلك من الأسماء التي سموا بها أهل السنة والجماعة ، وأهل السنة والجماعة رحمهم الله كما أنهم أثبتوا الصفات على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى وكما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته فإنهم أنكروا على الممثلة الذين قالوا بأن صفات الخالق كصفات المخلوق ، أنكروا عليهم ذلك أشد الإنكار فهم جمعوا في عقدهم وما دانوا به رب العالمين في باب الأسماء والصفات بين الإثبات الموصوف بأنه من غير تعطيل ولا تأويل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فهم نفوا هاتين البدعتين فهم رحمهم الله وسط بين الممثلة وبين المعطلة ونقل عن نعيم بن حماد هذا القول : من شبه الله بخلقه فقد كفر من جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر فكلا هذين السبيلين ضل عن سواء السبيل وأخذ بنصيب من البدعة في باب الأسماء والصفات وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه بل تثبت على الوجه الذي وردت به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل هذا الواجب في باب الأسماء والصفات ثم ذكر عنهم رحمهم الله : **(وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من إثبات الصفات قالوا : هذا جهمي معطل)** وهذا الوصف يصف به أهل السنة والجماعة جميع المتكلمة فلفظ أو اسم الجهمية يطلقه السلف على كل من عطل في باب الأسماء والصفات سواء كان تعطيله كلياً كالجهمية الذين ينفون الأسماء والصفات أو كالمعتزلة الذين ينفون الصفات ويثبتون الأسماء ،أو كالأشاعرة الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات فقوله : هذا جهمي معطل أي هذا متكلم ضل عن طريق السلف في باب الأسماء والصفات فأول وحرف ويقولون هذا كثيراً جدا في كلامهم وذلك أن الجهمية كانوا يغلون في نفي التشبيه ولكنهم لا يثبتون الصفات فاستدل أهل السنة والجماعة على من سلك هذه الطريق أنه جهمي معطل قال : (فإن الجهمية والمعتزلة) ومقصوده بالجهمية هنا من نفى الأسماء والصفات لأنه قرنهم بالمعتزلة من نفي الأسماء والصفات ، والمعتزلة أي الذين نفوا الصفات إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء **(حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك أي بالتشبيه حتى قال ثمامة بن الأشرس: ثلاثة من الأنبياء مشبهة فإذا كان طريق الأنبياء هو التشبيه باعترافهم فلا طريق يوصل إلى مرضاة رب العالمين إلا الطريق الذي سلكه الرسل صلوات**

الله وسلامه عليهم) إذ إنهم الأدلاء على الله جل وعلا فهم الذين دلوا الخلق على ربهم وعرفوهم به سبحانه وتعالى.

ثم ذكر أن جل المعتزلة يعد أئمة الإسلام الكبار يعدونهم من المشبهة ، فدل ذلك على أن المعتزلة يقرون بأن طريق السلف طريق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وطريق أئمة الدين هو ما كان عليه السلف رحمهم الله من إثبات الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

(وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءا سماه: " تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة " ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب " أهل السنة " بلقب افتراه – يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد – كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي بألقاب افتروها. فالروافض تسميهم نواصب والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا إلى أمثال ذلك. كما كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعرا وتارة كاهناً وتارة مفترياً. قالوا : فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة – وإن اعتقدوا صدقها بناءً على عقيدتهم الفاسدة – فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات؛ باطناً وظاهراً. وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن والذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان: فلا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة – وإن اعتقدوا صدقها – كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر – رضي الله عنه – وعمر: فقد أبغض علياً؛ لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً؛ بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب. وكقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد: فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة. وكقول الجهمي: من قال إن الله فوق العرش: فقد زعم أنه محصور وأنه جسم مركب محدود وأنه مشابه لخلقه. وكقول الجهمية المعتزلة: من قال إن لله علماً وقدرةً فقد زعم أنه جسم مركب وأنه مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض

والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة. ومن حكى عن الناس " المقالات " وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة – بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها – فهو وربه والله من ورائه بالمرصاد ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ ﴾[1].

في هذا المقطع ذكر الشيخ رحمه الله التهم التي اتهم بها أهل السنة والجماعة بسبب استقامتهم على الصراط المستقيم، في هذه الأبواب التي ذكرها رحمه الله فقال : (ذكر فيه) يعني في كتاب أبي إسحاق **(ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم أنه صحيح على رأيه)** ثم شبه حال هؤلاء مع أهل السنة بحال المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ما وصف به أهل السنة والجماعة من هذه الألقاب التي تشمئز منها النفوس وتكرهها وتنفر منها ليس دليلا على ضلال طريقهم وخطأ سبيلهم بل طريقهم صواب ومقياس ذلك ومعياره هو كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال رحمه الله : **(فالروافض تسميهم)** أي تسمي أهل السنة **(نواصب)** يزعمون أن أهل السنة ناصبوا أهل البيت العداء فسموهم بذلك ، أي بهذا السبب نواصب **(والقدرية يسمونهم مجبرة)** لأن أهل السنة والجماعة وسط بين القدرية الذين يقولون : إن الأمر أنف وإن الله سبحانه وتعالى لم يقدر أفعال العباد أو لم يخلق أفعال العباد ولما كانت المجبرة تقابلهم فتقول: إن كل ما يصدر عن المرء مجبر عليه لا خيار له فيه ولا إرادة ، فلما كان أهل السنة وسطاً بين القولين نسب القدرية أهل السنة والجماعة إلى المجبرة وهم من يقابلهم **(والمرجئة تسميهم شكاكاً)** لأن المرجئة عندهم الإيمان مجرد المعرفة ولما كان أهل السنة والجماعة يدخلون الأعمال في الإيمان فإنهم سموهم بالشكاك لأن الإيمان لا يكمل إلا بالعمل هذا وجه ووجه آخر لأن أهل السنة والجماعة يجيزون الاستثناء في الإيمان إذا كان للتبرك أو إذا كان بالنظر إلى العاقبة والخاتمة فانه لا يدري ما يختم له به هل يختم له بالإيمان أو لا فيستثني ففي هاتين الحالتين يجوز الاستثناء عند أهل السنة والجماعة ، أما المرجئة فلا يجوز عندهم الاستثناء وذلك لما أجاز أهل السنة والجماعة الاستثناء في هاتين الحالتين سموهم شكاكاً أي أنهم شكوا في حصول الإيمان منهم ، قال : **(و الجهمية تسميهم مشبهة)** ومقصوده بالجهمية هنا المعطلة من أهل الكلام عموما من الأشاعرة والمعتزلة

([1]) سورة: فاطر: آية (٤٣)

والجهمية وغيرهم على اختلاف درجاتهم ، قال : **(وأهل الكلام يسمونهم حشوية)** والحشوية من الحشو وهو الفضل الذي لا خير فيه ، كذا **(نوابت)** النوابت جمع نابت وهو النبت الصغير مما لا نفع فيه أيضا **(وغثاء)** وهو الرديء من كل شيء **(وغتراً)** أي جهالاً لا يفهمون ولا يفقهون إلى أمثال ذلك **(كما كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفترياً)**

ثم قال رحمه الله :(فهذه) أي تسمية هؤلاء الضلال لأهل السنة والجماعة بما سموهم به ورموهم به كل هذا دليل على صحة طريقهم وسلامته فهذا **(علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة)** لأن من صدق في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتزم بسنته فإنه مصيبه ما أصابه .

قال: (**فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً)** **(اعتقاداً)** يعني بالعقل **(واقتصادا)** يعني أي استقامة في السلوك والعمل **(وقولاً وعملاً ، فكما أن المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة وكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطناً وظاهراً)** أي كذلك هم في رميهم وسبهم ونسبتهم وتسميتهم بهذه الأسماء القبيحة ، ثم إن الشيخ رحمه الله قسم الناس في إتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم إلى أقسام : منهم من يتابع النبي صلى الله عليه وسلم في الباطن والظاهر ومنهم : من يتابعه في الباطن دون الظاهر ومنهم: من يتابعه في الظاهر دون الباطن وأردأ هذه الأقسام هو من تابعه في الظاهر دون الباطن.

ثم قال: **(والذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الإمكان)** أي بحسب ما تبين لهم مع عدم إصابتهم بما كان عليه صلى الله عليه وسلم ، يعذرون فيما أخطؤو فيه ويؤجرون فيما أصابوا فيه ويكونوا من المجتهدين الذين تدور حالهم بين الأجر والأجرين، قال : **(فلابد من للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به ويرمونهم به ويسمونهم بأسماء مذمومة)** كما ذكر رحمه الله ، ثم فصل ما أجمل فيما تقدم فقال : **(كقول الروافض من لم يبغض أبا بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه فقد أبغض علياً لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما)** وهذا كذب وتلازم باطل فالصحابة وأهل السنة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين يحبون أبا بكر وعمر ويحبون علياً ولا تعارض في الجمع بين محبة هؤلاء **(ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب وكقول القدرية من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب من**

العبد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا اختيار) والصواب خلاف هذا كما مر معنا في العقيدة الواسطية فأهل السنة والجماعة يثبتون أن للمخلوق إرادة ولكن هذه الإرادة لا تخرج عن ما أراده الله سبحانه وتعالى والمخلوق له إرادة معتبرة ليست كالجمادات وهذه الإرادة لا تخرج عن ما أراده الله جل وعلا وقدره. قال: **(و كقول الجهمي من قال أن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور)** لأنه فوق العرش وما كان فوق العرش فلا بد أن يكون محصوراً على زعمه، **(وأنه جسم)** لأن إثبات الاستواء يقتضي التجسيم ، قال : **(جسم مركب محدود)** لأن العرش مركب محدود **(وأنه مشابه لخلقه)** كل هذه لوازم باطلة وخيالات فاسدة إنما ألقاها في روعهم الشيطان الرجيم الذي شبه عليهم بهذه الشبهات حتى يبعدهم عن طريق المرسلين **(و كقول الجهمية المعتزلة من قال إن لله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم)** لأنه لا يوصف بهذه الصفات إلا ما كان جسماً **(مركب)** يعني من أجزاء ، وأنه مشبه قال لأن هذه الصفات هذا تعليل ما ذكروه من لازم على إثبات العلم والقدرة وسائر الصفات **(لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز والجوهر هو حقيقة الشيء وذاته والعرض هو ما ينتابه ويزول عنه)**

قال : **(لا يقوم إلا بجوهر متحيز)** ثم قال : **(و كل متحيز)** يعني كل جوهر ينقسم إلى قسمين مركب أو جوهر فرد ، المركب وهو المركب من أجزاء وهو ما كان من جوهرين فردين فيما فوق ، هذا المركب في اصطلاح المتكلمين، وأما الجوهر الفرد فهو الشيء الذي لا يقبل القسمة ، يعني إذا جئت بجسم فقسمته وقسمته حتى وصلت إلى جزء لا يقبل القسمة فهذا يسمى عند المتكلمين جوهراً فرداً يعني لا يقبل القسمة **(ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة)**

ثم قال **(ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التي هم مخالفون فيها فهو وربه)** يعني الله حسيبه والله جل وعلا على ما يقول رقيب وهو على ما يقول شهيد وينبغي على العبد أن يتأنى وأن يطلب الصواب وأن لا يتهم الآخرين الموافقين للكتاب والسنة لا يتهمهم بهذه التهم الباطلة.

ثم قال : **(والله من ورائه بالمرصاد﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾)** وهذا واقع فإن الذين اتهموا أهل السنة بما اتهموهم به رجعوا إلى طريق أهل السنة والجماعة هذا في أئمتهم فضلاً عن صغارهم الذين يعدون من الأتباع ولا عبرة بهم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الثلاثون

www.almosleh.com

(وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها " ستة أقسام " كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة. " قسمان " يقولان: تجري على ظواهرها. و " قسمان " يقولان: هي على خلاف ظاهرها. و " قسمان " يسكتون. أما الأولون فقسمان:أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق. الثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات ونحو ذلك؛ على ظاهرها اللائق بجلال الله؛ فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرض قائم به. فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك: في حق العبد أعراض؛ والوجه واليد والعين في حقه أجسام فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة – وإن لم يكن ذلك عرضاً؛ يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين – جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين. وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه؛ وهو أمر واضح).

في ختام هذه الرسالة أجمل الشيخ رحمه الله الفرق في باب الأسماء والصفات ،فقال: **(وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة)** أي من أهل الإسلام الذين ينتسبون إليه الذين يتوجهون إلى القبلة وهذه من أوسع الألفاظ التي تشمل الفرق المنتسبة إلى الإسلام **(أهل القبلة)** كل من توجه للقبلة بغض النظر عن ما اعتقده في باب الأسماء والصفات وغيره من العقائد **(قسمان يجريان يقولان تجري على ظواهرها)** أي تجري الأسماء والصفات وآياتها وأحاديثها على ظواهرها **(وقسمان يقولان : هي على خلاف ظاهرها ، وقسمان يسكتون)** ويأتي تفصيل ذلك فيما سمعنا بعضه أما الأولون فقسمان : أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين **(فهؤلاء المشبهة)** أي هؤلاء الممثلة الذين يقولون:صفات الله جل وعلا كصفات خلقه لا فرق بينها فالسمع الذي أثبته الله لنفسه كالسمع الذي ثبت للمخلوقين وسائر الصفات كذلك و البصر وغير ذلك من الصفات وهؤلاء قلة لنفور النفوس عن تشبيه الخالق بالمخلوق فإن النفوس مفطورة على إجلال الله وتقديره وتعظيمه وأنه ليس كخلقه فلما كان الأمر كذلك كان

القائل في هذا القول قلة لا يذكرون و قد انقرض مذهبهم فلا ممثل بعد انقراض مذهب الكرامية ثم قال: **(ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليه توجه الرد بالحق أما الثاني فمن يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات)** فالعليم والقدير والرب والإله كل هذه من أسماء الله سبحانه وتعالى و أما الموجود والذات فهذه ليست أسماء لله لأن الأسماء مبناها على التوقيف و لم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على أن الله يسمى بهذين الإسمين وإنما ذكرهما الشيخ رحمه الله تبعاً وليس مراده أن الله سبحانه وتعالى يسمى بالموجود أو أنه يسمى بالذات قال : **(ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث)** جوهر تقدم لنا تفسيره في الدرس السابق وهو حقيقة الشيء ويفسره المتكلمون بالمتحيز **(إما جوهر محدث و إما عرض قائم به)** يعني قائماً بذلك الجوهر المحدث.

هذا بالنسبة للمخلوق فإثبات هذه الصفات بالنسبة للمخلوق إما جوهر محدث وإما أعراض تقوم بهذا الجوهر وأما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهي ليست كالتي تثبت للمخلوق بل الذي له سبحانه وتعالى يليق به ولا يلزم عليه هذه اللوازم التي يذكرونها ، قال: **(فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه يعني في حق المخلوق أجسام أي جوهر ،فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرةً وكلاماً ومشيئةً وإن لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوق)** وهذا إلزامهم ببعض ما قالوه فلما قالوا في جواز وصف الله سبحانه وتعالى بالعلم والقدرة والإرادة والحياة و الكلام والمشيئة وغير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية التي يثبتونها جاز وصفه بذلك و لم يلزم من هذا الإثبات مشابهتها لما اتصف به المخلوق كذلك في الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين وما أشبه ذلك. فلا تلازم بين إثبات هذه وبين التمثيل بل نثبتها على الوجه الذي يليق بالله من غير تحريف و لا تعطيل ومن غير تكييف و لا تمثيل قال: **(فإن كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وإن لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين وهذا)** أي ما تقدم من إثبات ما أثبته الله لنفسه وإثبات ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

(هذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف رحمهم الله وعليه) أي على هذا **(يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه)** وهذا من دقة الشيخ رحمه الله وإنصافه يدل عليه كلام جمهورهم يعني من نقل عنه الكلام في هذا الباب منهم أي من السلف فإنه يدل عليه ومن لم ينقل عنه النص على هذا فإن عموم كلامه يدل على صحة هذا المذهب وهذا أمر واضح.

(وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات. فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقية من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات. فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين؛ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته؛ فمن لم يفهم من صفات الرب – الذي ليس كمثله شيء – إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه).

الاستدلال بالقاعدة الأساسية في باب الأسماء والصفات وهي أن ما ثبت أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فما يثبت في الذات يثبت في الصفات. قال : فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

(وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر. فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف؛ فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك. بل هذه " المخلوقات في الجنة " قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماءوقد أخبر الله تعالى: أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين[1] وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2]. فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى. وهذه " الروح " التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها؛ أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ مع أنا نقطع بأن الروح في البدن وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء؛

---

(1) كما في قوله تعالى : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:17)

(2) ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد عند مسلم (2825) وغيره كثير.

وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم – حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص؛ فيكونون قد أخطئوا في اللفظ وأنى لهم بذلك).

بعد أن ذكر الشيخ رحمه الله الدليل الأول على صحة ما ذهب إليه السلف وأن إثبات الصفات لا يقتضي المماثلة وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وأن الكلام في بعض الصفات كالكلام في باقيها أتى بما يدل على أن من المخلوقات ما لا تدرك حقيقته وإن كان قد وصف بأوصاف وذكرت له أحكام إلا أنه لا تدرك حقيقته للجهل بحقيقة ذلك المذكور. قال: (**بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذا كان نعيم الجنة هو خلق الله كذلك**) لا تعلم حقيقته ولا تدركه العقول على الحقيقة ولا تتصوره على حقيقته فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى فالواجب إذا كان هذا في بعض المخلوقات أن يكون الخالق أولى في هذا من خلقه وألا تصله الظنون بل يجب على المؤمن أن يثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. فبعد أن ذكر المثال الأول وهو الجنة وما أخبر من النعيم فيها ذكر مثالاً آخر وهو الروح في الدنيا وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها مع وجوب إثباتها و الكل يثبت الروح و يختلفون في حقيقتها ومع هذا لم يصلوا إلى معرفة كنهها وحقيقتها بل لما سألوا عنها قال الله عز وجل ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً**﴾[1] فأثبت الروح وبين الجهل في حقيقتها وإدراكها وهي مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى فالله سبحانه وتعالى وما أخبر به عن نفسه يجب أن يجرى على هذه الطريقة .

قال : (**مع أنا نقطع بأن الروح في البدن وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة**) أي لا نغالي في تجريد الروح من هذه الأوصاف كما غلت من؟ (**المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول**

(1) سورة : الإسراء: آية (85)

والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته) فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، يعني بحسب ما يناسبها ويليق بها **إلا أن يفسر كلامهم بما يوافق النصوص فيكونوا قد أخطؤوا في اللفظ وأنى لهم بذلك)** يعني يبعد أن يفسروا كلامهم الذي خالف النصوص على معنى يوافق النصوص .

فالمقصود من هذين المثالين إثبات أن بعض المخلوقات يعرف ولا تدرك حقيقته ولا تدرك كيفيته أو كيفية صفاته فكذلك الله جل وعلا وما أخبر به عن نفسه ، نؤمن بذلك من غير أن نطلب كيفية ولا أن نمثل ولا أن نؤول أو نعطل ، وبهذا يكون قد انتهى القسمان الأولان وهم من يقولون : تجرى على ظواهرها.

(ولا نقول إنها مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبخار مثلا؛ أو صفة من صفات البدن والحياة وأنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة كما يقول طوائف من أهل الكلام بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن؛ وأنها ليست مماثلة له؛ وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازا؛ فإذا كان مذهبنا في حقيقة " الروح " وصفاتها بين المعطلة والممثلة: فكيف الظن بصفات رب العالمين؟).

(لا نقول : إن الروح مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبخار مثلاً) يعني لا نقول : إن الروح هي جزء كالدم والبخار بل هي تختلف لأن الدم والبخار لا قوام له بغير البدن وأما الروح فإنها تكون قائمة موجودة متأثرة بدون البدن ، قال **(أو صفة من صفات البدن والحياة وإنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة كما يقول طوائف من أهل الكلام بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن)** وهذا يجب اعتقاده أنها عين وأنها تقبض وأنها تصعد وتنزل هذا الذي يجب اعتقاده وقد تكلم عليها ابن القيم رحمه الله كلاما مفصلا في كتابه الروح قال : **(وإنها ليست مماثلة له)** أي ؟ للبدن **(وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازاً فإذا كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها يبين المعطلة والممثلة)** المعطلة الذين ينفون إثبات الصفات للروح و يقولون :إنها مجردة عن الصفات ، والممثلة الذين يقولون : إنها كالبدن أو كجزء منه كالدم و البخار **(فكيف الظن بصفات رب العالمين)** فكما أنا في الروح بين الممثلة والمعطلة فكذلك نحن في صفات الله سبحانه وتعالى وما أخبر به عن نفسه بين الممثلة والمعطلة.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

لفضيلة الشيخ

الدرس الحادي والثلاثون

www.almosleh.com

(وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها؛أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط وأن الله لا صفة له ثبوتية؛ بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات – وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر – أو يثبتون الأحوال دون الصفات ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين. فهؤلاء قسمان :قسمٌ يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى؛ أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش؛ أو بمعنى انتهاء الخلق إليه؛ إلى غير ذلك من معاني المتكلمين ؛ وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها؛ لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه).

المؤولة من المتكلمين الذين نفوا ظواهر النصوص وقالوا : إن النصوص لا تدل على صفات نثبتها لله سبحانه وتعالى هؤلاء انقسموا إلى أقسام كما هو ظاهر من كلام الشيخ رحمه الله فمنهم من قال: إن الله لا صفة له ثبوتية، يعني لا يثبتون له صفة ثبوتية ، يعني لا يثبتون له علماً ولا قدرةً ولا إرادةً بل صفات إما سلبية فيقال مثلاً: لا عليم لا سميع لا بصير وإما إضافية يقولون: إن هذه الصفات المثبتة له هي مضافة إضافة خلق لا إضافة صفة إلى الموصوف فالذين يقولون: سمع الله وكلام الله يقولون: نثبت أن لله سمعاً لكنه ليس صفة له بل هو مخلوق من مخلوقاته ، فيقول : السمع مضاف إلى الله إضافة خلق لا إضافة صفة قال: **(وإما مركبة منهما)** أي من السلب والإضافة ، فيقولون : سميع بلا سمع ،بصير بلا بصر فيجمعون السلب أو يقولون: لا نقول: سميع و لا نقول: ليس سميعاً فيصفونه بالسلب والإثبات جميعاً فيجمعون بين الإضافة و بين السلب ، وهؤلاء هم الجهمية.

قال : **(أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبع أو الثماني أو الخمس عشرة)** هذا يشير به إلى مثبتة الصفات من المتكلمة وهم الأشاعرة وما شابههم كالكلابية والماتريدية وغيرهم فهؤلاء أثبتوا بعض الصفات لله سبحانه وتعالى واختلفوا فيما يثبتونه له من الصفات فأثبتت الأشاعرة وهو قول جمهورهم سبع صفات و أضاف البعض صفة ثامنة وهي صفة البقاء وزاد بعضهم صفات أخرى ،فقالوا: نثبت لله الصفات و ننفي عنه أضدادها فتكون أربع عشرة صفة ولكن المشهور من مذهب الأشاعرة هو الاقتصار على سبع صفات ، قال : **(أو يثبتون الأحوال دون الصفات)** والأحوال جمع حال وهي مما يصعب تعريفه وإدراكه لأنه لا حقيقة له وقد قال بالأحوال أبو هاشم من المعتزلة وهو معدود من الأقوال أو من

الأمور التي لا حقيقة لها ككسب الأشعري وطفرة النظام هذه ثلاثة أمور يذكرها أهل العلم ويذكرون أنه لا حقيقة لها.

قال : (**أو يثبتون الأحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذهب المتكلمين فهؤلاء**) أي هؤلاء الذين ينفون ظواهر النصوص ويؤولونها (**قسمان : قسم يتأولونها ويميزون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معاني المتكلمين**) أي المتأولين المحرفين للكلم عن مواضعه (**و قسم : يقولون الله أعلم بما أراد لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عن ما علمناه**) يعني لا يثبت بهذه النصوص من الآيات والأحاديث لا يثبت صفة خارجية إنما نثبت أن ظاهرها غير مراد وأن معناها الله أعلم به وهؤلاء الذين يجعلون آيات الصفات من المتشابه الذي يدخل في قوله جل وعلا : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ**﴾[1] ويقفون هؤلاء جعلوا آيات الصفات غير مرادة الظاهر وأن لها معنى لكن لا يعلم وهذا من أقسام المفوضة كما تقدم في ذكر أقسامه.

(**وأما القسمان الواقفان: فقوم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله؛ ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك. وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم. وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات. فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها**)

قال: (**وهذان القسمان**) قسم يقول: إن النص يحتمل هذا أي يحتمل ظاهرها ويحتمل التأويل ، وقسم لا ينظرون في هذه النصوص أصلاً ويعرضون عنها و لا يتأملونها ولا يتدبرونها يقبلون على قراءة القرآن وعلى قراءة الأحاديث دون النظر إلى المعاني وهؤلاء يصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم (**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**)[2] أي لا تنفذ معانيه إلى قلوبهم ولا تؤثر فيهم لأنهم يقرؤونه كما يقرؤون ألف باء تاء ثاء حروف الهجاء لا يعقلون لها معاني ، فهؤلاء يصدق عليهم قوله جل وعلا: ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**﴾[3] لأنهم لا يعقلون هذه المعاني وكل هذه الفرق ضالة إلا من أثبت لله

---

(١) سورة: آل عمران: آية (٧)

(٢) البخاري : (٣٣٤٤) ، مسلم : (١٠٦٣)

(٣) سورة: الجمعة: آية (٥)

ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها؛ القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله – سبحانه وتعالى – فوق عرشه وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك؛ دلالة لا تحتمل النقيض).

وتعلم طريقة الصواب في هذا أي في نصوص الأسماء و الصفات من الآيات و الأحاديث في هذا و أمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع **(وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك؛ دلالة لا تحتمل النقيض؛)** على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض كآيات الاستواء، فإنها دلالة لا تحتمل النقيض من المراد من أن مراد الله تعالى إثبات الاستواء لنفسه و كدلالة النصوص على علوه سبحانه وتعالى فإنها دلالة لا تحتمل النقيض بل هي ظاهرة في معناها لا تحتمل نقيض ما دلت عليه قال:**(وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض)** مثل النصوص التي فيها اليد والعين ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] قالوا : يحتمل أن المراد عنايتها وحفظها لكن هذا ليس هو الظاهر من النص المتبادر فهو معنى مرجوح ليس معنى ملغا إنما هو معنى مرجوح والراجح هو إثبات النص على ما دل عليه في إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى فهذا يغلب على الظن إثبات هذا الوصف الذي دلت عليه الآية مع احتمال النقيض مع احتمال عدم دلالته على الإثبات لكن هذا احتمال ضعيف.

قال: **(وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان)** بين هاتين المرتبتين بين أن تكون دلالة النص لا تحتمل النقيض وبين أن تكون دلالته غالبة ، هذا يختلف باختلاف قدر الناس وعلمهم ومعرفتهم بدلالات النصوص.

(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ؛ ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي من الليل قال: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من

---

(١) سورة: القمر: آية (١٤)

تشاء إلى صراط مستقيم)[1] وفي رواية لأبي داود: أنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك[2] . فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى؛ ثم إن كان قد خبر نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب؛ وعرف أن غالب ما يزعمونه برهاناً هو شبهة ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها؛ أو شبهة مركبة من قياس فاسد؛ أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية؛ أو دعوى إجماع لا حقيقة له؛ أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة. ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم – أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان – ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فإن " الضد يظهر حسنه الضد " وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيما وبقدره أعرف إذا هدي إليه)

هذا الكلام مفيد جداً في إصابة الصواب في جميع الأبواب في جميع أبواب العلم وفي جميع أنواع الخير إنما يخطىء المرء الخير والصواب في العلم بسبب اختلال أحد الأمور التي ذكرها الشيخ رحمه الله ، بعد أن ذكر تفاوت الناس في دلالات النصوص على صفات الله سبحانه وتعالى بين أن تكون دالة دلالة لا تحتمل النقيض وبين أن تكون دالة دلالة تحتمل النقيض ، قال: **(ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم)** وذكر الدعاء العظيم الذي فيه افتقار العبد لله جل وعلا أن يبلغه الرشاد وأن يدله إلى الصواب وبعد أن ذكر الشيخ رحمه الله هذا الحديث قال: **(فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر أي أدام النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهداية)** فهذه موجبات الهداية وأسبابها وهذه مقتضياتها فمن أخذ بها فقد انفتح له طريق الهدى الدعاء والافتقار الذي فيه شدة اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى ومطالعة الكتاب والسنة وإدامة النظر فيهما وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين الذين تلقوا عنهم ثم إن كان بعد هذا أيضا مما يثبته و يدله على الصواب أن يعلم نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب نهاياتهم تناقض واضطراب وحيرة وضلال كما تقدم ذلك في النقول عنهم **(وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً وهو شبهة إذا طالع كلامهم وطالع أدلتهم وحججهم رأى أنها شبه وأن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها.**

---

(١) مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه : أبوداود (٧٦٧) وصححه الألباني. والزيادة ثابتة في رواية مسلم.

أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية) هذه عمدتهم فيما ذهبوا إليه من تأويلات وكلها أدلة فاسدة باطلة يصدق عليها ما ذكره الشيخ :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

ثم ختم طرقهم بقول :(**وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيما وبقدره أعرف،فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أفاه نهايته فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية ومن أفاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله وأما المتوسط : فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء. وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان. ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب ﴿ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ (١) ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾(٢) يعلم الذكي منهم والعاقل: إنه ليس هو فيما يعلم الذكي منهم والعاقل: إنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة)**

يعني هو فيما يقوله في الحقيقة بين شبهة و خيال ليس حجة يعتمد عليها و يستند إليها و ينطلق منها إنما هو في شبه و خيال و لذلك تجده ينقض و يرد على نفسه بنفسه و لا يحتاج أن ينقضها خصمه فتجده يثبت في كلامه ما نفاه و ينفي ما أثبته و هذا لتناقضه و ضعف حججه و دلالة القول الصحيح و الدليل السليم عدم التناقض فالتناقض دليل الفساد هذه قاعدة إذا تناقض خصمك فاعلم أنه دليل على فساد قوله.

(وأن حجته ليست ببينة وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر – والحيرة

---

(١) سورة: الذريات: آية (٨)

(٢) سورة: الذريات: آية (٩)

مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم – رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاء وما أوتوا ذكاء وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[1] ومن كان عليما بهذه الأمور: تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدا. فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين. والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين).

قال رحمه الله: (**وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب و السنة لم يزدد من الله إلا بعداً**)هذا نصيب كل من ترك الكتاب و السنة فإنه لا يصل إلا إلى ضلال و لذلك كانت البدعة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعداً مع أنه يظن أنها تقربه إلى الله و هي في الحقيقة لا تزده من الله جل وعلا إلا بعدا ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**))[2] و هذا فيه رد العمل وفيه أنه لا يحصل له مقصوده من العمل فهو رد من حيث العمل ذاته وهو رد أيضاً من حيث حصول مقصوده.

(فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين. والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين).

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه الرسالة المباركة التي نسأل الله جل وعلا أن يرزقنا الانتفاع بما فيها وأن يجعلها في موازين حسناتنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) سورة: الاحقاف: آية (٢٦)

(٢) مسلم (١٧١٨)